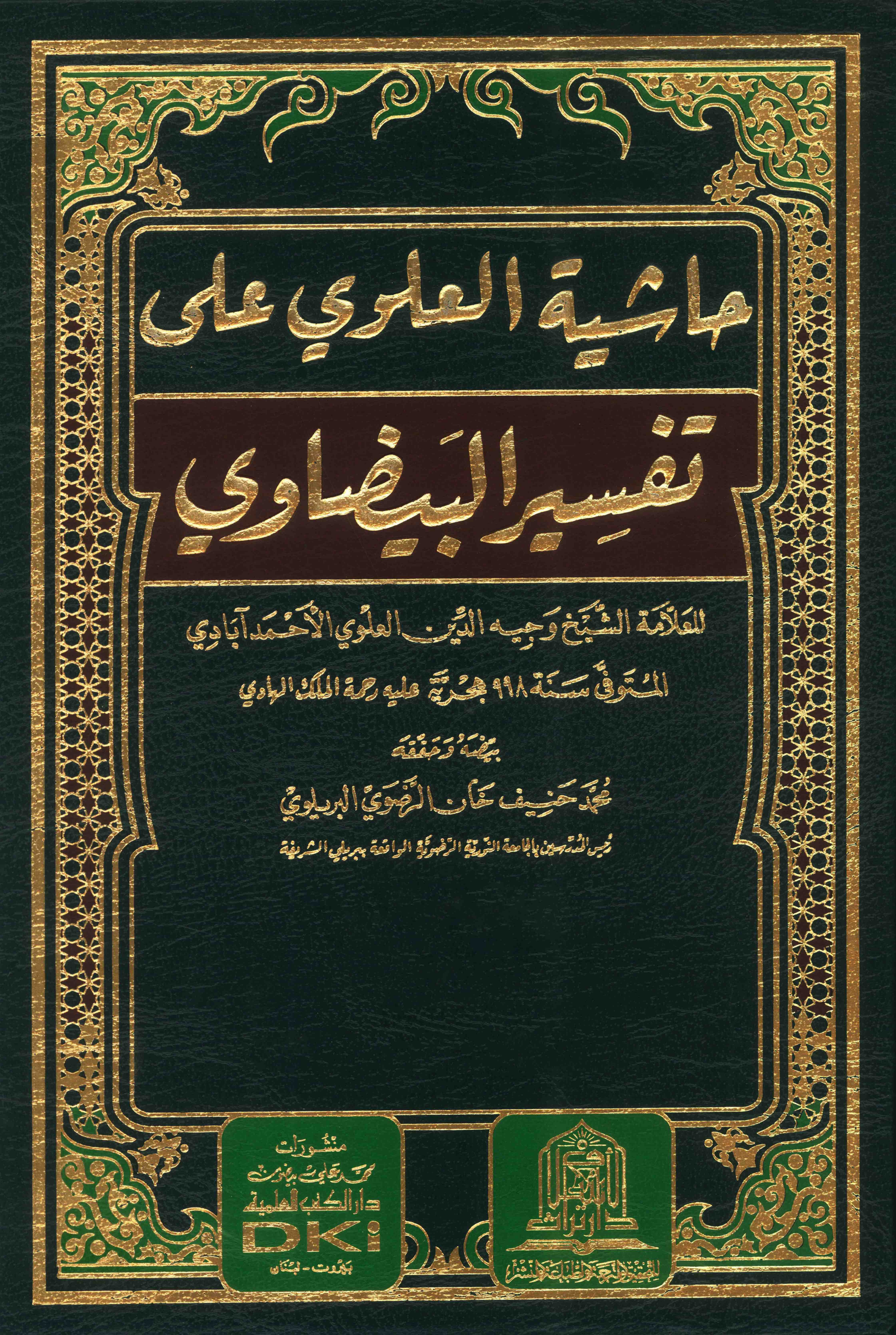

حاشية العلوي على
تفسير البيضاوي
للعلامة الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد آبادي
المتوفى سنة ٩٩٨ هجرية عليه رحمة الملك الهادي
بيضه وحققه
محمد حنيف خان الرضوي البريلوي
رئيس المدرسين بالجامعة النورية الرضوية الواقعة ببريلي الشريفة
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان
للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر

# حاشية العلوي

## على

# تفسير البيضاوي

للعلامة الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد آبادي

المتوفى سنة ٩٩٨ هجرية عليه رحمة الملك الهادي

بيّضه وحقّقه

محمد حنيف خان الرضوي البريلوي

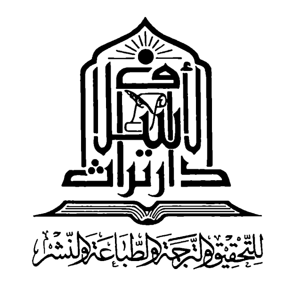
رئيس المدرسين بالجامعة النورية الرضوية الواقعة ببريلي الشريفة

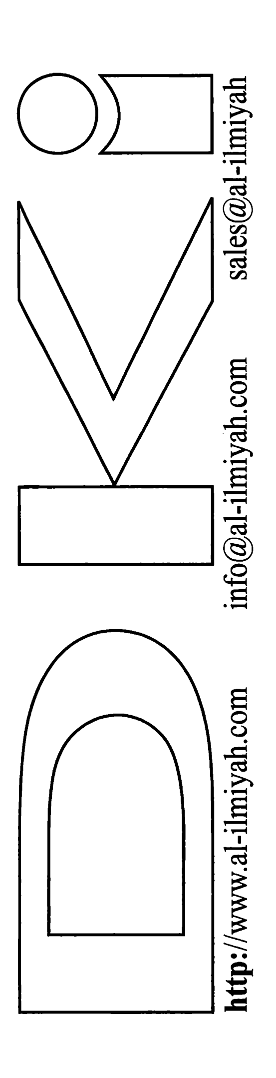
## الجزء الثالث

المحتوى:

من أول سورة الأعراف حتى الآية الثانية عشرة من سورة الحجر







| | |
|---|---|
| **الكتاب:** حاشية العلوي على تفسير البيضاوي | **Title:** ḤĀŠIYAT AL-'ALAWĪ 'ALĀ TAFSĪR AL-BAYḌĀWĪ |
| **التصنيف:** تفسير قرآن | **Classification:** Exegesis Of Qur'an |
| **المؤلف:** الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد آبادي (ت ٩٩٨ هـ) | **Author:** Al-Shaykh Wajih Addin Al-Alawi Al-Ahmad Abady (D. 998 H.) |
| **المحقق:** محمد حنيف خان الرضوي البريلوي | **Editor:** Mohammad Haneef Khan Al-Radawi Al-Bareillwy |
| **الناشر:** دار الكتب العلمية - بيروت | **Publisher:** Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut |

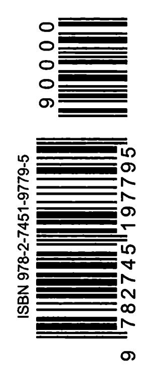
| | | |
|---|---|---|
| **Pages** (3Parts/3Vols.) | 1248 | **عدد الصفحات** (٣أجزاء/٣مجلدات) |
| **Size** | 17 x 24 cm | **قياس الصفحات** |
| **Year** | 2021 A.D. - 1442 H. | **سنة الطباعة** |
| **Printed in** | **Lebanon** / لبنـــان | **بلد الطباعة** |
| **Edition** | 1st / الأولى | **الطبعة** |

**Dar Al-Kotob Al-ilmiyah**
**Est. by Mohamad Ali Baydoun**
**1971 Beirut - Lebanon**



Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب:١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

# سورة الأعراف مكية

وَآياتها ست ومائتان غير ثمان آيات من قوله: ﴿واسألهم﴾ إلى قوله﴿وإذنتقنا الجبل﴾ محكمة كلها وقيل إلا قوله ﴿ وأعرض عن الجاهلين﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓصٓ[١]﴾ سبق الكلام في مثله .

﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب . أو خبر "الٓمص" والمراد به السورة أو القرآن . ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ صفته . ﴿فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي شك . فإن الشاك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذب فيه . أو تقصر في القيام بحقه . وتوجيه النهي فيه للمبالغة كقولهم : لا أرينّك هٰهنا . والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل: إذا أنزل إليك لتنذر به فلا يحرج صدرك . ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾ متعلق بأنزل أو بلا يكن لأنه إذا أيقن أنه من عند الله جسر على الإنذار . وكذا إذا لم يخفهم أو علم أنه موفق للقيام بتبليغه . ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِيْنَ[٢]﴾ يحتمل النصب بإضمار فعلها أي : لتنذر ولتذكر ذكرى فإنها بمعنى التذكير . والجر عطفًا على محل لتنذر والرفع عطفا على "كتاب" أو خبراً لمحذوف .

---

قوله:فإن الشاك حرج الصدر.سمي الشك حرجا لأن الشاك ضيق الصدر كما أن المتيقن منشرح الصدر .

قوله: وتوجيه النهي إليه للمبالغة .جواب سؤال، تقدير السؤال أن النهي في "لا يكن" متوجه إلى الحرج مع أن ظاهره يقتضي أن يكون متوجها إلى الشاك، فأجاب بأنه من الكناية وهو أبلغ من الصريح والمعنى لو كان الحرج لنهيناه عنك فانته عنه بترك التعرض له كماأن قوله ﴿لا أرينّك﴾ ظاهره يقتضي أن المتكلم تنهى نفسه من أن يري المخاطب والمراد نهي المخاطب كناية عنه أي لا تكن ههنا حتى لاأراك فإن كينونتك ههنا مستلزم لرويتي .

قوله: فإنها بمعنى التذكير. قال في القاموس قوله تعالىٰ:﴿ وذكرى للمؤمنين﴾ للتذكير وذكرى لأولي الألباب عبرة لهم .

﴿اتَّبِعُواْ مَآ أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ يعم القرآن والسنة لقوله سبحانه وتعالى ﴿ وما ينطق عن الهـوى .إن هو إلا وحي يوحى﴾[٥٣. النجم:٣،٤] ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يضلونكم مـن الـجـن والإنس . وقيل الضمير في "من دونه" لما أنزل أي: ولا تتبعوا من دون دين الله ديـن أوليـاء . وقـرئ: ولا تبتـغـوا. ﴿قَلِيْلًا مَّاتَذَكَّرُونَ[٣]﴾ أي تذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره . وما مزيدة لتاكيد القلة وإن جعلت مصدرية لـم ينتصب قليلاً بتذكرون . وقـرأ حـمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء . وابن عامر تتذكرون على أن الخطاب مع النبي ﷺ .

﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ وكثيراً مـن الـقـرى .﴿أَهْلَكْنٰهَا﴾ أردنـا إهلاك أهلهـا . أو أهـلكناها بالخذلان . ﴿فَجَآءَهَا﴾ فجاء أهلها .﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا. ﴿بَيَاتًا﴾ بائتين كقوم لـوط . مـصدر وقع موقع الحال . ﴿أَوْهُمْ قَآئِلُونَ[٤]﴾ عطف عليه أي: قائلين نصف النهار كـقوم شعيب . وإنـمـا حذفت واو الحال استثـقـالًا لا جتـمـاع حرفي العطف . فإنها واو عـطف استـعيـرت لـلـوصل لا اكتفاء بالضمير فإنه غير فصيح . وفـي التعبيرين مبالغة في

---

قوله: لم ينتصب قليلاً يتذكرون .قال أبوالبقاء لا يجوز أن يكون مصدرية لأن قليلاً لا يبقـى لـه ناصب لأن المصدر لايتقدم معموله عليه .ورد عليه بأنه جعلت مصدرية لم ينتصب قـليلاً يتـذكـر ون بـل بـمـحذوف يفسره ما بعده والأظهر كما قاله الرضي إ نـه جائز إذا كان المعمول ظرفًا أو شبهه ،قال الله تعالىٰ ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾.

قـولـه: وابـن عـامـريتـذكـرون على أن الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم. يعني قرأ ابن عامر يتذكرون بياء الغيبة على أن قوله: اتبعوا في تقدير قل اتبعوا .

قـولـه: أو أهـلكناها بالخذلان. أرادأن المراد بالإهلاك إما إهلا ك الابل أو إهلاك نـفـس الـقرية فالعطف والمقابلة باعتبار إرادة إهلاك الأهل أو نفس القرية لا بإعتبارالإرادة فإرادة الفعل باق على كلا التقديرين .

قـولـه: وإنـمـا حـذف الـواو الـخ . قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقـال: لـو قـلـت جـاء نـي زيد راجل أو هو فارس أو جاء ني زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى واو،لأن الـذكـر قـد عاد إلى الأول. قال صاحب الكشاف: إنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف مبالغة .

قوله: وفي التعبيرين مبالغة: أي في التعبير عن الحال الأول بالمصدر وهو بياتا.

غفلتهم وأمنهم من العذاب . ولذلك خص الوقتين ولأنهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي دعاء هم واستغاثتهم . أو ماكانوا يدعونه من دينهم ﴿إِذْ جَآءَ هُمْ بَأْسُنَآ إِلَّآ أَنْ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِيْنَ[٥]﴾ إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسراً عليهم .

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِيْنَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل .﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ الْمُرْسَلِيْنَ[٦]﴾ عما أجيبوا به . والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم . والمعنى في قوله .﴿ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون﴾[٢٨ .القصص:٧٨] سوأل استعلام أو الأول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة .

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الرسل حين يقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب . أو على الرسل والمرسل إليهم ماكانوا عليه .﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بظواهرهم وبواطنهم .أو بمعلومنا منهم . ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِيْن[٧]﴾ عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم .

---

وعن الحال الثاني وهو قائلين بالجملة الإسمية مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب وذلك أن النوم إنما يكون عند الغفلة والأمن من العذاب ولذلك خص الوقتين لأنهما وقتا غفلة وأمن يجيء العدو فيهما للغارة .

قوله: أي دعاء هم واستغاثتهم .يعني أن دعواهم إما من الدعاء أو من الدعوى وعلى الأول إما يجري على ظاهره ويكون المعنى فما كان دعاء هم ربهم إلااعترافهم بالظلم على أنفسهم بسبب المعاصي لعلمهم أن دعاء هم لا ينفعهم حين دعاء ولا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ماكان منهم أو محمول على الإستغاثة:أي فما كان استغاثتهم إلااعترافهم بالظلم على أنفسهم والإقرار بالعجز تحسراً، وعلى الثاني يكون المعنى فما كان دعواهم أي ما كانوا يدعونه من دينهم إلااعترافهم ببطلانه تحسراً عليه .

قوله: والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة. جواب سؤال وهو أنه إذا كان تعالىٰ عالماً بذلك فما معنى السؤال عليهم؟ فأجاب بأن هذا سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استعلام.

﴿وَالْوَزْنُ﴾ أي القضاء .أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء . والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان . ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمعدلة وقطعًا للمعذرة . كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم . ويؤيده ما روي: أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر . فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، وقيل : توزن الأشخاص لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال:ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة " ﴿يَومَئِذٍ﴾ خبر المبتدأ الذي هو الوزن .﴿الْحَقُّ﴾ صفته . أو خبر محذوف ومعناه العدل

---

قوله: أي القضاء. يعني أن وزن الأعمال بالموازين عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل .

قوله: يوزن بميزان له لسان وكفتان. فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة آخري. عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم: توضع الموازين يوم القيامة فتوزن السيئات والحسنات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابة دخل النار.قيل يا رسول الله' صلى الله عليه وآله وسلم' فمن استوت حسناته وسيئاته قال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون .

قوله: سجلا. قال في الصحاح: السجل الصك، والمراد هنا القرطاس الذي كتب فيه الأعمال وقال فيه البطاقة بالكسر رقيعة توضع في الثوب فيها رقم الثمن .

قوله: ﴿الحق﴾ صفته. ويجوز الفصل بينه وبين الموصوف بأجنبي كذا في الوافي. فلا يرد الإشكال بلزوم الفصل بينهما بالأجنبي كما قيل. قال ابن الحاجب في الأمالي: الأجنبي هو المستقل غير الجملة المعترضة كالمبتداء والخبر والفاعل والمفعول، وغير الأجنبي هو ماكان له تعلق بذلك الجزء فإذا قلت: ضربي في الدار زيدا أحسن لم تفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وإنما فصلت بينهما بمتعلق به داخل في حيزه بخلاف قولك: ضربي حسن زيدا. فإنك فصلت بينهما بالخبر المستقل لا يصلح أن يكون لما قبله في الجزية وإنما أجريت الجمل المعترضة مجرى التتمة لأنها مستقلة بنفسها فكأنها عرضت بين الجزئين لغرض مع أنه لا لبس في أنها ليست تتمة لأ حد الجزئين لاستقلالها بنفسها بخلاف ما ذكرنا فإنه يوهم أنه للثاني وهو للأول أو للأول وهو للثاني إلى هنا كلامه .

السوي: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهٗ﴾ حسناته.أو ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون أو ميزان. ﴿فَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[٨]﴾ الفائزون با لنجاة والثواب .

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهٗ فَأُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْٓا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتضييع الفطرة السلمية التي فطرت عليها، واقتراف ما عوضها للعذاب﴿بِمَا كَانُوْا بِاٰيٰتِنَا يَظْلِمُونَ[٩]﴾ فيكذبون بدل التصديق

﴿وَلَقَدْ مَكَّنّٰكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها . ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيْهَا مَعَايِشَ﴾ أسبابًا تعيشون بها . جمع معيشة . وعن نافع أنه همزه تشبيهًا بما الياء فيه زائدةً كصحائف . ﴿قَلِيْلاً مَّا تَشْكُرُونَ[١٠]﴾ فيما صنعت إليكم .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنٰكُمْ﴾ أي خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه . نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره . أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه .﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ﴾ وقيل ثم لتأخير الإخبار﴿فَسَجَدُوْٓا إِلَّآ إِبْلِيْسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السّٰجِدِيْنَ[١١]﴾ ممن سجد لآدم .

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أي أن تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم . مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه . ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود . وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل: ما اضطرك إليأن لا تسجد . ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ دليل على أن مطلق الأمر للوجوب والفور . ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادًا لأن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله كأنه قال: المانع أني

---

قوله: تشبيها بما فيه الياء زائدة .يعني لا يبدل الياء همزة إلا إذا كانت زائدة وههنا أصلية فشبه هذا بما فيه الياء زائدة كالصحائف فأبدل .

قوله:مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه. كما في ما زيد بقائم أي ما منعك عن السجود المحقق اللازم.

قوله: الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه. فالاضطرارإلى ترك السجود لازم للمنع عن السجود فاستعمل في اللازم .

قوله: جواب من حيث المعنى. جواب سؤال وهو أن يقال: كيف يكون 'أنا خير' جوابا وإنما الجواب أن يقول: منعني كذا، فأجاب بأنه جواب من حيث المعنى بأن استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وعلة فضله عليه.

خير منه . ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول . فكيف يحسن أن يؤمر به . فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولاً . ﴿خَلَقْتَنِى مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ[١٢]﴾ تعليل لفضله عليه . وقد غلط في ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله تعالى ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[٣٨.ص:٧٥] أي بغير واسطة . وبا عتبار الصور كما نبه عليه بقوله .﴿ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[١٥.الحجر:٢٩] وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم وأن له خواص ليست لغيره . والآية دليل الكون والفساد وأن الشيا طين أجسام كا ئنة .ولعل إضافة خلق الإنسان إلى الطين والشيطان إلى النار باعتبار الجزء الغالب.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من السماء او الجنة . ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ فما يصح . .﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيْهَا﴾ وتعصي فإنها مكان الخاشع والمطيع . وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه سبحانه وتعالى إنما طرده وأهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه .﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصّٰغِرِيْنَ[١٣]﴾ ممن أهانه الله لتكبره . قال عليه الصلاة والسلام " من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله" ﴿قَالَ أَنْظِرْنِىٓ إِلٰى يَومِ يُبْعَثُونَ[١٤]﴾ أمهلني إلى يوم القيامة فلا تمتني . أو لا تعجل عقوبتي .

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ[١٥]﴾ يقتضي الإجابة إلى ما سأله ظاهرًا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله تعالى إلى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى . أو وقت يعلمه الله انتهاء أجله فيه . وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد . وتعريضهم للثواب بمخالفته .

---

قوله: والآية دليل الكون والفساد .حيث خلع كل من الطين والنار صورته ولبس صورة آدم والشيطان .

قوله: ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾[صٓ:٨١،الحجر:٣٨] .وهي النفخة الأولى فعلى هذا يكون المراد بالوقت المعلوم الوقت المسمى فيه انقراض الناس كلهم أو المراد بالوقت المعلوم وقت في علمه تعالىٰ انتهاء أجله فيه .

قوله: وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد. جواب سؤال وهو أن يقال: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظره ليفسد عباده ويغويهم، فأجاب بأن فيه ابتلاء للعباد وتعريضهم للثواب بمخالفته ففيه منفعة .

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي بعد أن أمهلتني لأجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني بسبب إغوائك إياي بواسطتهم تسمية . أو حملا على الغي . أو تكليفًا بما غويت لأجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بـأقعدن فإن اللام تصد عنه وقيل : البـاء للقسم . ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ ترصدًا لهم كما يقعد القطاع للسابلة . ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ[١٦]﴾طريق الإسلام ونصبه على الظرف كقوله .

لَدنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيْهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيْقَ الثَّعْلَبُ

وقيل تقديره على صراطك كقولهم :ضرب زيد الظهر والبطن.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِم وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾أي من جميع الجهات الأربع .مثل قصده إياهم بالتسويل والإضلال من أي وجه يمكنه بإتيان العدو من الجهات الأربع .ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم .وقيل لم يقل من فوقهم ؛لأن الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان منه يوحش الناس .وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما :من بين أيديهم من قبل الآخرة .ومن خلفهم من قبل الدنيا.وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم .ويحتمل أن يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه .ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن

---

قوله: تسمية أو حملا على الغي أو تكليفًا بما غويت لأجله. كذافي الكشاف، وهو مبني على مذهب الاعتزال وذلك أن الأصلح واجب على الله تعالٰى فأوّل بأن المراد الإغواء تسمية بأن سميتني غاوياً لا حقيقة الإغواء ، أو الحمل على الغي بأن حملتني وأقدرتني على الغي فغويتِ، أو التكليف بما غويت لأجله وهو السجود .

قوله: وقيل الباء للقسم. أي فأقسم بإغواء ك، وإنما أقسم بالإغواء لأن سببه وهو الأمر بالسجود تكليف، والتكليف من أحسن الأفعال وقيل إن الإغواء فعل الله فأقسم بفعل الله .

قوله: ونصبه على الظرفية .هكذا قاله صاحب الكشاف، واعترض عليه بأن الصراط من الأمكنة غير المبهمة والنصب بتقدير 'في' ممتنع فيها والبيت شاذ .و'اللّدنُ' بمهملة اللين ،يعسل يضطرب، متنه صدره يصف رمحا باللين، يقال :عسل الرمح أي إهتز واضطرب . وضمير "فيه" يعود إلى الهزو 'في' للمصاحبة، يقول: هذا الرمح يضطرب صدره بسبب هذا الكف معه وهو دليل على كثرة اللين .

لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياتهم .وإنما عدى الفعل إلى الأولين بحرف الإبتداء لأنه منهما موجه إليهم وإلى الأخيرين بحرف المجاوزة فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم .ونظيره قولهم: جلست عن يمينه .﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِيْنَ[١٧]﴾مطيعين.وإنما قاله ظناً لقوله تعالى :﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدداً ومبدا الخير واحداً.الملك الملهم، وقيل: سمعه من الملائكة.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوْماً﴾ مذموماً من ذامه إذ ذمه .وقرى مذ ومًا كمسول في مسؤول أو كمكول في مكيل . من ذامه يذيمه ذيما . ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطروداً .﴿لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه .﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِيْنَ[١٨]﴾ وهو ساد مسد جواب الشرط . وقرئ لمن بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على معنى : لمن تبعك هذا الوعيد. أو علة لأخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب .

﴿وَيَآدَمُ﴾ أي وقلنا يا آدم .﴿أُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وقرئ "هذى" وهو الأصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء .﴿فَتَكُونَا مِنَ الظّٰلِمِيْنَ[١٩]﴾ فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم . وتكونا تحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب.

---

قوله: فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عُرضهم. فيكون المعنى متجاوزاً عن صاحب يمينهم .

قوله: أوكمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما.وإن شذ ،قال في الشافية وشرحه النظامي وشذ "مهوب" والقياس "مهيب" وكثر نحو "مبيوع ومكيول" على التمام. قال في الصحاح :ذمته أذيمه ذيماً وذأما،وذأمته،وذممته، كله بمعنى عن الأخفش فهو "مذيم" على النقص و"مذيوم" على التمام، وقال أيضًا: الطعام مكيل ومكيول مثل مخيط مخيوط .

قوله: وهوساد مسد جواب الشرط .وهو من اتبعك.

قوله: و"تكونا" يحتمل الجزم على العطف .أي العطف على "تقربا" أي لا تقربا ولا تكونا من الظالمين أوالتقدير إن تقربا تكونا من الظالمين .

قوله: أي فعل الوسوسة لأجلهما. وذلك لأن تعديته يكون بإلى لا باللام ،قال في الصحاح: يقال: وسوست نفسه إليه .

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطٰنُ﴾ أي فعل الوسوسة لأجلهما . وهي في الأصل الصوت الخفي كالْهَيْنَمَة والخشخشة ومنه وسوس الحلي. وقد سبق في سورة البقرة كيفية وسوسته . ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما . واللام للعاقبة أو للغرض على أنه أراد أيضًا بوسوسته أن يسوء هما بانكشاف عورتهما . ولذلك عبر عنها بالسوأة . وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة. وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع . ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٰاتِهِمَا﴾ ما غطي عنهما من عوراتهما . وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر . وإنما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قبلت في او يصل تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرئ سو اتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو وبقلبها واواً وإدغام الواو الساكنة فيها . ﴿وَقَالَ مَا نَهٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا﴾ إلا كراهة أن تكونا . ﴿مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخٰلِدِيْنَ[٢٠]﴾ من الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة . واستدل به على فضل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وجوابه : أنه كان من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضًا ما للملائكة من الكمالات الفطرية . والاستغناء عن الأطعمة والأشربة . وذلك لا يدل على فضلهم مطقًا.

---

قوله: كالهينمة والخشخشة .الهينمة الصوت الخفي، والخشخشة بالخاء صوت السلاح ونحوه كذا في الصحاح .

قوله: واللام للعاقبة.أي وسوس لأجلهما: أي لأجل إغوائهما يترتب عليه إبداء ما ووري عنهما إذ الظاهر أن لاغرض له فيه، إذ لا قبح فيه، لأنه مباح ، وأيضًا قد تبين الغرض بقوله: لأجلهما، أو للغرض بناء على أن كشف العورة وإن كان مباحاً إلا أنه مستهجن الطباع

قوله: وإنما لم تقلب الواو المضمومةهمزة. يعني لم تقلب الواو الأوسط همزة مع أنه اجتمع واوان فيأول الكلمة كما في 'أو يصل' أصله' وويصل' تصغير' واصل' لأنه إنما تقلب إذا تحركت الثانية وأما إذاكان مدة أي ساكنة فلا تقلب .

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّٰصِحِيْنَ[٢١]﴾ أي أقسم لهما على ذلك . وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة . وقيل أقسما له بالقبول . وقيل أقسما عليه بالله أنه لمن الناصحين فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة ﴿فَدَلَّٰهُمَا﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة . نبه به على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة . فإن التدلية والإدلاء إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل . ﴿بِغُرُورٍ﴾ بما غرهما به من القسم فإنهما ظنا أن أحداً لا يحلف بالله كاذبًا . او ملتبسين بغرور . ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُمَا﴾ أي فلما وجدأطعمهما آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤوم المعصية . فتهافت عنهما لباسهما وظهرتلهما عوراتهما . واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما . وأن اللباس كان نوراً أو حلة أو ظفراً . ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفٰنِ﴾ أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة . ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الجَنَّةِ﴾ قيل كان ورق التين . وقرئ يخصفان من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان وأصله يختصفان . ﴿وَنَادَيٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِيْنٌ[٢٢]﴾ عتاب على مخالفة النهي . وتوبيخ على الاغترار بقول العدو . وفيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم .

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ أضررناها بالمعصية والتعريضللإخراج من الجنة . ﴿وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ[٢٣]﴾ دليل على أن الصغائر معاقب عليها

---

قوله: وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة. أي أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة للتنبيه على أنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم وقيل أقسم لهما بالنصيحه وأقسما له بقبول النصيحة وقيل أقسما عليه بالله أنه لمن الناصحين، أي قالا له: بالله انك لمن الناصحين، فأقسم لهما، فجعل ذلك مقاسمة تنزيلاً لا قسا مهما عليه منزلة قسمهما لأنه يؤكد ما يؤكده قسم إبليس.

قوله: أي يخصفان أنفسهما .أي يخصفان أنفسهما شيئًا من ورق الجنة ويلزقان إياها ذلك، فعلى هذايكون متعدياً إلى مفعولين .

قوله: ويخِصّفان. بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان، أريد ادغام التاء في الصاد فاسكنت، والخاء قبلها فكسرت، لالتقاء الساكنين، فصار يخصفان .

قوله: دليل على أن الصغائر معاقب عليها. هذا بناء على أن الكبائر الذنوب المعدود وإلا فهذا من الكبائر أيضًا .

إن لـم تـغـفر . وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا: إنما قـالا ذلك عـلـى عـادـة الـمـقـربين في استعظام الصغير من السيئات، واستحقار العظيم من الحسنات .

﴿قَـالَ اهْبِـطُواْ﴾ الخطاب لآدم وحواء وذريتهما . أو لهما والإبليس . كرر الأمر له تبعًا ليعلم أنهم قرناء أبداً وأخبر عما قال لهم متفرقا . ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الـحـال أي متعادين . ﴿وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار أي موضع استقرار. ﴿وَمَتَاعٌ﴾ وتمتع . ﴿إِلَى حِيْنٍ[٢٤]﴾ الى أن تقضى آجالكم .

﴿قَـالَ فِيهَـا تَـحْيَـونَ وَفِيْهَـا تَـمُـوتُـونَ وَمِـنْهَا تُخْرَجُونَ[٢٥]﴾ للجزاء وقرأ حمزة والـكسـائي وابن ذكوان ومنها تخرجون . وفي الزخرف "كذلك تخرجون" بفتح التاء وضم الراء .

﴿يَبَنِىٓ آدَمَ قَـدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نـازلة. ونـظيـره قوله تعالى ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾[٣٩. الزمر: ٦] وقوله تعالى ﴿ وأنزلنا الـحـديد﴾[٥٧. الحديد:٢٥] ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ التي قصد الشيطان إبداء ها . ويغنيكم عـن خـصف الـورق . روي : أن الـعـرب كـانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثيـاب عـصيـنـا الله فيها . فنزلت: ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف الـعـورـة أول سـوء أصـاب الإنسـان من الشيطان . وأنه أغواهـم في ذلك كما أغوىٰ أبويهم .﴿وَرِيْشًـا﴾ولبـاساًتتجملون به . والريش الجمال . وقيل مالاً ومنه تريش الرجل إذا تمول . وقرئ رياشاً وهو جمع ريش كشعب وشعاب.﴿وَلِبَاسُ التَّقْوىٰ﴾خشية الله. وقيل:الإيما ن .وقيـل :. السـمـت الـحسن .وقيل :لبا س الحرب ورفعه با لإ بتداء وخبره ﴿ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أو

---

قوله: و أخبر عما قال لهم متفرقا. وهو قوله: أخرج منها، وقوله: اهبطا .

قـولـه: بتـدبيـرات سـمـاوية. كـالـحـر كـات الفلكية وأوضاع الكواكب الموجبة لاستعدادات في المواد .

قوله: ويغنيكم .عطف على 'يواري' .

قـولـه: وقيل السمت الحسن .السمت بالفتح والتسكين الطريق وهيئة أهل التقوى كذا في القاموس .

قوله: وقيل :لباس الحرب. من الدروع والجواشن والمغافرو غيرها مما يتقى به في الحروب .

خبر و"ذلك" سفته كأنه قيل : ولباس التقوى المشار إليه خير . وقرأ نافع وابن عامر والكسائي "ولباس التقوى" بالنصب عطفًا على لباساً.﴿ذٰلِكَ﴾ أي انزال اللباس . ﴿مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ﴾ الدالة على فضله ورحمته .﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ[٢٦]﴾ فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح.

﴿يٰبَنِىٓ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰنُ﴾ لا يمتحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها . والنهي في اللفظ للشيطان . والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتنان به .﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَالِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَآ﴾ حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع إليه للتسبب .﴿إِنَّه يَرٰكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهٗ , مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته . وقبيله جنوده ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا .﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ[٢٧]﴾ بما أو جدنا بينهم من التناسب . أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم من خذلا نهم وحملهم على ما سوّلوا لهم . والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية .

---

قوله: والمعنى نهيهم عن اتباعه .أي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم.

قوله: ورؤيتهم إيانا. رد على صاحب الكشاف حيث قال بامتناع الرؤية وذلك أنه قال :فيه دليل بين على أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زورومخرقة وذلك أن مفهوم الآية أنهم يرون إيانا من حيث لا نراهم في الجملة وهو لا يقتضي امتناع رؤيتهم وكونهم مرئية لنا ولاتمثلهم وإصابتهم لنا .

قوله: بما أوجدنا بينهم من التناسب الخ . أي بسبب ما وجدنا بينهم من التناسب وهذا الوجه بيان للحكمة. والوجه الثاني وهو المذكور في الكشاف مبني على مذهب الإعتزال وهو أن الله تعالىٰ يجب عليه الأصلح فلا يجعل الشياطين أولياء، فأوّل بأنه تعالىٰ لم يجعلهم أولياء وإنما أرسلهم عليهم ومكنهم وأقدرهم من جذبهم والإقدار من الله على ما هو مذهبهم .

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾ فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف . ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَ نَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه وتعالى . فأعرض عن الأول لظهور فساده ورد الثاني بقوله . ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ﴾ لأن عادته سبحانه وتعالى جرت على الأمر بمحاسن الأفعال . أو الحث على مكارم الخصال . ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلاً عقلي . فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم . وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها : لم فعلتم؟ فقالوا: وجدنا عليها آباء نا . فقيل ومن أين أخذ آباء كم ؟ فقالوا: الله أمرنا بها . وعلى الوجهين يمتنع التقليد إذا قام الدليل على خلافه لامطلقًا. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ[٢٨]﴾ إنكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافي طرفي الإفراط والتفريط . ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ وتوجهواإلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها . أو أقيموها نحو القبلة . ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة . أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم ﴿وَّادْعُوهُ﴾ واعبدوه . ﴿مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ﴾ أي الطاعة فإن إليه مصيركم . ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ كما أنشأكم ابتداء . ﴿تَعُوْدُونَ[٢٩]﴾ بإعادته فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة

---

قوله: فعلة متناهية في القبح. أي بلغت النهاية في القبح، قال الجوهري: الفحشاء الفاحشة وكل سوء جاوز حده فهو فاحش.

قوله: لأن عادته تعالى جرت الخ. يعني أن المراد "إن الله لا يأمر بالفحشاء" أي بما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم، لأن عادته تعالى جرت على أن يأمر بمحاسن الأفعال، ويحث على مكارم الأخلاق، لا لأجل أن ما يترتب عليه الذنوب آجلا قبيح عقلا لا يؤمر به، وفيذلك رد على صاحب الكشاف، إذ لا دلالة في الآية على ذلك .

قوله:المتجافي طرفيالإفراط والتفريط .الإفراط هو الإشراك في العبادة للصنم الذي هو الحجر. والتفريط هو أن لا يعبد أصلاً .

قوله: في كل وقت سجود .أرادأن المسجد إما مصدر ميمي فالوقت مقدر لأنه اسم زمان؛ لأن المسجد من الظروف المكانية، أو اسم مكان والمكان هو الصلاة .

وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريراً لإمكانها والقدرة عليها . وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه . وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلًا تعودون . وقيل كما بدأكم مؤمناً وكافراً يعيدكم .

﴿ فَرِيْقًا هَدٰى﴾ بأن وفقهم للإيمان. ﴿وَفَرِيْقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلٰلَةُ﴾ بمقتضى القضاء السابق . وانتصابه بفعل يفسره ما بعده أي وخذل فريقًا . ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُواْ الشَّيٰطِيْنَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالهم . ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ[٣٠]﴾ يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم . وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر .

﴿يٰبَنِي آدَمَ خُذُواْ زِيْنَتَكُمْ﴾ ثيابكم لمواراة عورتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ لطواف أو صلاة. ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة . وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة . ﴿وَّكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ ما طاب لكم . روي أن بني عامر في أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتًا ولا يأكلون دسمًا يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به . فنزلت: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بتحريم الحلال . أوبالتعدي إلى الحرام . أو بإفراط الطعام والشره عليه . وعن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما : كل ما شئت . والبس ما شئت . ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة . وقال علي بن الحسين بن واقد : قد جمع اللّٰه الطب في نصف آية فقال" كلوا واشربوا ولا تسرفوا" ﴿إِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ[٣١]﴾ أي لا يرتضي فعلهم .

---

قوله: أي وخذل فريقا. أو أضل، هذا تقدير المناسب .

قوله: أو تحقيق لضلالتهم. أي تقرير لها بأنهم اتبعوا الشيطان .

قوله: وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر .أي من يفرق بين المخطي والمعاند بأن المخطي لا يستحق الذم بخلاف المعاند فله أن يحمل الآية على المخطي المقصر في النظر، فاستحق الذم لأجل تقصيره في النظر، فلا يستحق الذم المخطي الغير المقصر.

قوله: ما أخطأتك .أي ما دام أخطأتك خصلتان وعد متاك والمخيلة الكبر.

قوله: وقد جمع اللّٰه الطب في نصف آية. حيث بين علاج المرض الذي ينشأ من عدم الأكل بالأكل وعلاج المرض الذي ينشأ من الأكل بعدم الإسراف .

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللّٰهِ﴾ من الثياب وسائر ما يتجمل به . ﴿الَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من النبات كالقطن والكتان . والحيوان كالحرير والصوف . والمعادن كالدروع . ﴿وَالطَّيِّبٰتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ المستلذات من المآكل والمشارب . وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة . لأن الاستفهام في من للانكار . ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ آمَنُواْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ بالأصالة . والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع . ﴿خَالِصَةً يَّومَ الْقِيٰمَةِ﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم . وانتصابها على الحال . وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر . ﴿كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَومٍ يَّعْلَمُونَ[٣٢]﴾ أي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لهم

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ ما تزايد قبحه . وقيل ما يتعلق بالفروج . ﴿مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جهرها وسرها . ﴿وَالْإِثْمَ﴾ وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص . وقيل شرب الخمر . ﴿وَالْبَغْيَ﴾ الظلم . أو الكبر أفرده بالذكر للمبالغة ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ متعلق بالبغي مؤكد له معنى . ﴿وَأَنْ تُشْرِكُواْ بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهٖ سُلْطٰناً﴾ تهكم بالمشركين . وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان . ﴿وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَى اللّٰهِ مَالَا تَعْلَمُونَ[٣٣]﴾ بالإلحاد في صفاته سبحانه وتعالى . والافتراء عليه كقولهم ﴿والله أمرنا بها﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة . أو وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لأهل مكة . ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ انقرضت مدتهم ،أو حان وقتهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَّلَا يَسْتَقْدِمُونَ[٣٤]﴾

---

قوله: وسائر ما يتجمل به. مما أخرج من الحيوان والمعادن كما سيأتي.

قوله: أفرده بالذكر. أي أفرده وإن كان الإثم عاما لكل إثم للمبالغة والإيذان بأن الظلم أو الكبر أفحش الإثم وأقبح المنكر .

قوله: تهكم بالمشركين. أنهم مجوزون نزول الشيطان بالشرك، لأنه لا يجوزأن ينزل برهانا بأن يشرك به تعالىٰ غيره .

قوله:بالالحاد في صفاته. حيث جعلوا الأصنام مثله تعالىٰ فعبدوا كما عبدوه .

قوله: انقرضت مدتهم .تفسير المجيء بالإنقراض يشعر بأن المراد بالأجل جميع المدة لا آخر الوقت، والأجل مطلقا على المدة كلها، وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان: أجل وللموت الذي ينتهي به أجل .

أي لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت . أولا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول .

﴿يَبَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن إتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما ظنه أهل التعليم . وضمت إليها "ما" لتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه . ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[٣٥]﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ[٣٦]﴾والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم . وإدخال الفاء في الخبر الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَتِهِ﴾ممن تقول على الله ما لم يقله أوكذب ما قاله.﴿ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِّنَ الْكِتَبِ﴾مما كتب لهم من الأرزاق والآجال . وقيل الكتاب اللوح المحفوظ أي مما أثبت لهم فيه .﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾أي يتوفون أرواحهم . وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام .

---

قوله: أي لا يتأخرون ولا يتقدمون .وقوله تعالىٰ: ﴿ولا يستقدمون﴾ عطف على مجموع الجملة الشرطية لا على الجزاء وحده لفساد المعنى ظاهرا لا يخفى على عاقل، إذ في حين مجيء الأجل قد انقضي الزمان المتقدم الذي لا يمكن عوده، فلا يتصور تقدمهم على الأجل فلا معنى لنفيه بخلاف التأخر والمعنى لكل أمة مدة عينها الله تعالىٰ لا يتقدمون عليها قبل مجيئها ولا يتأخرون عنها عند مجيئها .

قوله: أقصر وقت. يريدأن تقدير الساعة ليس للتحديد بل للتمثيل بأقصر وقت في العرف، لأن الساعة أقل الأوقات في عرف الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه .

قوله: ولذلك أكد فعلها بالنون. لأن فعل الشرط إنما يؤكد إذا كان الشرط بإمّا، أي 'بإن' مع زيادة 'ما' للتاكيد لئلا يخبط الفعل في التاكيد عن الحرف .

قوله: للمبالغة في الوعد. بأن الموعود يحصل عقيب ما يقتضيه بلا مهلة بخلاف الوعيد فإنه قد يؤخر فيه .

قوله: وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام. لا جارة ولا ناصبة، والكلام هي الجملة الشرطية .

﴿قَـالُـوٓاْ﴾ جـواب إذا ﴿ أَيۡنَمَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها . وما وصلت بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة .﴿ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾غابوا عنا.﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ[٣٧]﴾ اعترفوا بأنهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه.

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ﴾أي قال الله تعالى لهم يو م القيامة . أو أحد من الملائكة.﴿ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم﴾أي كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم يوم القيامة.﴿ مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾يعني كفار الأمم الماضية من النوعين .﴿ فِي ٱلنَّارِ﴾ متعلق "بأدخلوا".﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾أى في النار.﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ التي ضلت بالإ قتداء بها.﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾ أي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار .﴿ قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ ﴾دخولا او منزلة وهم الأتباع.﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾أي لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله لا معهم .﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم .﴿ فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾مضاعفاًلأنهم ضلوا وأضلوا.﴿ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾أما القادة فبكفرهم وتضليلهم.وأماالأتباع فبكفرهم وتقليد هم.﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ[٣٨]﴾ ما لكم أو ما لكل فريق . وقرأ عاصم بالياء على الانفصال

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ عطفوا كلامهم على جواب الله سبحانه وتعالى لأخراهم ورتبوه عليه أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وإنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب.﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ[٣٩]﴾ من قول القادة او من قول الفريقين .

---

قوله: لأنها موصولة. لا شرطية حتى توصل، والمعنى أين الآلهة الذين تدعون من دون الله ليدفعوا عنكم العذاب .

قوله: أو مالكل فريق. منكم من العذاب .

قوله:على الانفصال .أي لم يخاطب به المخاطبون السابقون بل بيان أنه لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر .

قوله: أو من قول الفريقين. أي إذا قالت أولاهم لأخراهم، فما لكم علينا من فضل، قالت كل منهما للآخر﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾. وفي الكشاف: أي من قول الله لهم جميعا، وكل من الوجوه محتمل، فما قيل: الصواب "قول الله للفريقين" بدل قوله: "أومن قول الفريقين" ليس على ماينبغي.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِـاٰيٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾ أي عن الإيمان بها . ﴿لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوٰبُ السَّمَآءِ﴾ لأدعيتهم وأعمالهم . أو لأرواحهم كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة . والتاء في تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها . وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء . لأن التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم . وقرئ على البناء للفاعل ونصب الأبواب بالتاء على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الجَمَل فِى سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة . وذلك مما لا يكون فكذا ما يتوقف عليه . وقرئ "الجُمَّلُ كالقُمَّل . والجُمَل كالنُغَر . والجُمْل كالقُفْل . والجُمُل كالنُصُب . والجَمْل كالحَبْل" هو الحبل الغليظ من القنب . وقيل حبل السفينة . و"سُمّ بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم . ﴿وَكَذَالِكَ﴾ ومثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿نَجْزِى الْمُجْرِمِيْنَ[٤٠]﴾

﴿لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش .﴿وَّمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية . والتنوين فيه للبدل من الاعلال عند سيبويه . و للصرف عند غيره . وقرئ غواش على الياء المحذوف . ﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الظّٰلِمِيْنَ[٤١]﴾ عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الأوصاف الذميمة . وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيهًا على أنه أعظم الأجرام .

﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّٰلِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُولٰٓئِكَ أَصْحٰبُ الجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُونَ[٤٢]﴾على عادته سبحانه وتعالى في أن يشفع الوعيد بالوعد ولا تكلف نفسًا

---

قوله:والتشديد لكثرتها .أي لكثرة الأبواب، لأن باب التفعيل قد يجيء لتكثير المفعول أيضًا .

قوله: أي حتى يدخل ما هومثل .يعني ليس المراد خصوص الجمل وخصوص سم الخياط، بل المراد أعم من ذلك وخصا بالذكر، لأن الجمل مثل في عظم الجرم وسم الإبرة مثل في ضيق المسلك.

قوله: والتنوين فيه للبدل. أي للعوض عن الياء المحذوف للإعلال فعلى هذا يكون غيرمنصرف، وعلى القول الثاني للتمكين فيكون منصرفا .

قوله: تنبيهاً على أنه أعظم الأجرام . لإستلزامه دخول النار .

إلا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا نكلف نفس.

﴿وَنَزَعْنَا مَافِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ أي نخرج من قلوبهم أسباب الغل . أو نطهر ها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد . وعن علي كرم الله وجهه .: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم . ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهٰرُ﴾ زيادة في لذتهم وسرورهم . ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى هَدَيٰنَا لِهٰذَا﴾ لماجزاؤه هذا.﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَيٰنَا اللّٰهُ﴾ لولا هداية الله وتوفيقه . واللام لتاكيد النفي وجواب لو لا محذوف دل عليه ما قبله . وقرأ ابن عامر "ما كنا بغير" واو على أنها مبينة للأولى . ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ فاهتدينا بإرشادهم . يقولون ذلك اغتباطًا وتبجحاً بأن ما علموه يقينًا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة . ﴿وَنُودُواْ أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ إذا رأوها من بعيد . او بعد دخولها والمنادى له بالذات ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٤٣]﴾ أي أعطيتموها بسبب أعمالكم . وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الإشارة . أو خبر و"الجنة" صفة "تلكم" وأن في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لأن المناداة والتأذين من القول .

﴿وَنَادىٰٓ أَصْحٰبُ الْجَنَّةِ أَصْحٰبَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حقًّا﴾ إنما قالوه تبجحًا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيراً لهم . وإنما لم يقل:" ما وعدكم" كما قال:" ما وعدنا" لأن ما ساء هم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصًا وعده بهم . كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة . ﴿قَالُواْ نَعَمْ﴾ وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان . ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ قيل هو صاحب الصور﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين

---

قوله: على أنها مبيّنة للأولى. لأن المقصود من الأولى أنا لا نهتدي بعقولنا .

قوله: اغتباطا .نشاطاء قال الجوهري: الغبطة أن يتمني الرجل مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه وهذاليس بحسد.تقول: منه غبطته بما نال أغبطه غبطاء والتبجح النشاط .

قوله: والمنادى له بالذات ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ .يعني الذي أريد بالنداء وقصد النداء لأ جله هو "أورثتموها" لاجملة" تلك الجنة التي" هي مبتدأ وخبر وإنما هي مقدمة .

قوله: من القول. أي من جنس القول وفي معنى القول على ما هوشرط "أن" المفسرة .

قوله: ونعيم أهل الجنة. لأنه عذاب لهم .

﴿أن لَّعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِيْنَ[٤٤]﴾ وقرأ ابن كثير في رواية للبزي وابن عامر وحمزة والكسائي "أَنَّ لعنة الله" بالتشديد والنصب.و قرئ "إن" بالكسر على إراده القول أو إجراء أذن مجرى قال ﴿اَلَّذِيْنَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ صفة للظالمين مقررة . أو ذم مرفوع أو منصوب . ﴿وَيَبْغُونَها عِوَجًا﴾ زيغاً وميلاً . عما هو عليه . والعوج بالكسر في المعاني والأعيان ما لم تكن منتصبة . وبالفتح ماكان في المنتصبة . كالحائط والرمح . ﴿وَّهُمْ بِالْاٰخِرَةِ كٰفِرُوْنَ[٤٥]﴾

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي بين الفريقين لقوله تعالى . ﴿فضرب بينهم بسور﴾[٥٧ . الحديد:١٢] أو بين الجنة والنار ليمنع وصول أثر إحداهماإلى الأخرى .﴿وَعَلَى الْاَعْرَافِ﴾ وعلى أعراف الحجاب أي علىٰ أعاليه . وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فإنه يكون بظهوره أعرف من غيره ﴿رجالٌ﴾ طائفة من الموحدين قصروافى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله سبحانه وتعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام . أو الشهداء رضي الله تعالى عنهم . أو خيار المؤمنين وعلمائهم . او ملائكة يرون في صورة الرجال . ﴿يَّعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار . ﴿بِسِيْمٰهُمْ﴾ بعلامتهم التي أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده . "فِعلىٰ من سام إبله إذا أرسلها في المرعى معلمة . أو من وسم على القلب كألجأه من الوجه . وإنما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة . ﴿وَنَادَوْا أَصْحٰبَ الجَنَّةِ أَنْ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي إذا نظروا إليهم سلموا عليهم . ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ[٤٦]﴾ حال من الواو على الوجه الأول ومن أصحاب على الوجوه الباقية .

---

قوله: مقررة .أي للتأكيد .

قوله:والعوج بالكسر في المعاني.قال في الصحاح: قال ابن السكيت: كل ماكان ينتصب كالحائط والعود .قيل فيه عوج بالفتح، والعوج بالكسر كل ماكان في أرض أو دين أو معاش، يقال: في دينه عوج .

قوله: وهو السور المضروب .أي الحجاب السورالمضروب، والأعراف أعاليه، والسور: لبنة من ذهب، ولبنة من ياقوت، ولبنة من در، ولبنة من فضة .

قوله: حال من الواو. يعني قوله تعالىٰ: ﴿لم يدخلوها﴾ حال من الواو في ﴿ونادوا﴾ على الوجه الأول، وهو أن المراد من أصحاب الأعراف طائفة من الموحدين

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا﴾ تعوذاً بالله . ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ[٤٧]﴾ أي في النار .

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾من رؤساء الكفرة . ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ كثرتكم أو جمعكم المال ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ٤٨﴾ عن الحق . أو على الخلق . وقرئ تستكثرون من الكثرة .

﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تتمة قولهم للرجال . والإشارة إلى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة . ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ[٤٩]﴾ أي فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم: ادخلوا، وهو أوفق للوجوه الأخيرة . أو فقيل لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن حبسوا حتى أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا. وقيل: لما عيروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالى أو بعض الملائكة ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾ . وقرئ "ادخلوا" و"دَخلوا" على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولًا لهم لا خوف عليكم .

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ النَّارِ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾أي صبوه . وهو دليل على أن الجنة فوق النار . ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة . أو من الطعام كقوله : علفتها تبنًا وماء بارداً . ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَٰفِرِينَ[٥٠]﴾ منعهما عنهم منع المحرم من المكلف .

---

قصروا في العمل ومن أصحاب الجنةعلى الوجوه الأُخر وهو أن المرادالأنبياء والشهداء أو أخيار المسلمين وعلمائهم .

قوله:وهو أوفق للوجوه الأخيرة؛ لأن الأنبياء والشهداء وأخيار المسلمين معظمون من شأنهم أن يلتفتوا ويقولوا هذا القول بخلاف المقصرين في العمل .

قوله: وتقديره دخول الجنة الخ. إشارة إلى جواب سؤال، وهو أن يقال: كيف لاءم هاتين قراء تين قوله: لا خوف عليكم بالخطاب والظاهر الغيبة فأجاب بأنه على تأويل مقولاً لهم.

قوله: ليلائم الإفاضة: لأنها من جملة الفائضات بخلاف الطعام .

قوله: أو من الطعام. على أن يكون من قبيل حذف المعطوف: أي وألقوا علينا ما رزقكم الله من الطعام كما في قوله: علفتها تبنا وماء باردا:أي سقيتها ماء باردًا .

﴿الَّذِيْنَ اتَّخَذُواْ دِيْنَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به . واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به . ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فَالْيَومَ نَنْسٰهُمْ﴾ نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار . ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَومِهِمْ هٰذَا﴾ فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له . ﴿وَمَا كَانُواْ بِاٰيٰتِنَا يَجحَدُونَ[٥١]﴾ وكما كانوا منكرين أنها من عند الله .

﴿وَلَقَدْ جِئْنٰهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنٰهُ﴾ بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة ﴿عَلٰى عِلْمٍ﴾ عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيماً . وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى عالم بعلم أو مشتملاً على علم فيكون حالا من المفعول . وقرئ "فضلناه" أي على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك . ﴿هُدىً وَّرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُونَ[٥٢]﴾ حال من الهاء.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيْلَهُ﴾ إلا ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد . ﴿يَومَ يَأْتِى تَأْوِيْلُهُ يَقُولُ الَّذِيْنَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوه ترك الناسي. ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي قد تبين أنهم جاؤوا بالحق . ﴿فَهَلْ لَّنَا مِنْ شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَا﴾ اليوم . ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أو هل نرد إلى الدنيا . وقرئ بالنصب عطفًا على فيشفعوا . أو لأن أو بمعنى إلى أن . فعلى الأول المسؤول أحد الأمرين الشفاعة أو ردهم إلى الدنيا . وعلى الثاني أن يكون لهم شفعاء إما لِأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو الرد . ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل . ﴿قَدْ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بصرف أعمارهم في الكفر . ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَاكَانُواْ يَفْتَرُونَ[٥٣]﴾ بطَل عنهم فلم ينفعهم .

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي في ستة أوقات

---

قوله: كتحريم البحيرة .نظير اللهو، لأنه مما لا يحسن الهم به، والتصدية نظير اللعب، لأنه مما لا يحسن الفرح به والتصدية التصفيق باليد:أي التصويت بها كما في ضرب الراحتين .

قوله: حتى جاء حكيما.أي جاء الكتاب على مقتضى الحكمة فيما لا عوج فيه .

قوله: وفيه دليل على أنه تعالىٰ عالم بعلم. لا بالذات كما هو مذهب أهل الاعتزال

قوله: فيكون حالا من المفعول. بخلاف الوجه الأول، فإنه فيه حال من الفاعل وهو ضمير المتكلم في فصلناه .

كقوله . ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾[٨. الأنفال :١٦] أو في مقدار ستة أيام . فإن المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذ . وفي خلق الأشياء مدرجًا مع القدره على إيجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور . ﴿ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف . والمعنى: أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهًا عن الاستقرار والتمكن . والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل الملك . ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يغطّيه به ولم يذكر عكسه للعلم به . او لأن اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ "يَغْشي الليل النهار" بنصب الليل ورفع النهار . وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير . ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيْثًا﴾ يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء. والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثًا . أو المفعول بمعنى محثوثًا .﴿وَّالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال .

---

قوله: ولم يكن حينئذ. أي زمان طلوع وغروب إذ لا طلوع ولا غروب فلا بد من التأويل بستة أوقات أو بمقدار بستة أيام وجدت بعد خلق السموات والأرض.

قوله: استوى أمره أو استولى. أما من استوى بمعنى اعتدل: أي اعتدل واستقام أمره، أي تدبيره أو من استوى بمعنى استولى: أي استولى وظهر على العرش.

قوله: فإن الأمور والتدابير تنزل منه. كما أن المالك الجالس على السرير يدبر الأمور وتنزل من سريره.

قوله: وقيل الملك. يعني لما تم عالم الملك عمد إلى تدبيره بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والأيام .

قوله: ولم يذكر عكسه للعلم به. جواب سؤال، وهو أن يقال: كل من الليل والنهار يغشي الآخر، فذكر يغشي الليل النهار أي يغطي الليل بالنهار، ولم يذكر عكسه وهو يغشي النهار الليل:أي يغطيه بالليل فأجاب بأنه لم يذكر عكسه للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملهما بأن يكون الليل مفعولًا أولًا والنهار مفعولا ثانياً وبالعكس، فالعكس يفهم من اللفظ أيضًا،فلا حاجة إلى ذكره ولما أنّ اللفظ يحتملهما قرىء يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار تائيداًللأصل.

وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الإبتداء والخبر .﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾فإ نه الموجد والمتصرف ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ[٥٤] ﴾ تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية . وتحقيق الآية والله سبحانه وتعالى أعلم . أن الكفرة كانوا متخذين أربابًا فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه سبحانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله تعالى .﴿فقضٰهن سبع سموات في يو مين﴾[.فصلت:١٢] وعمد الى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسمًا قابلًا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة . ثم قسمها بصورنوعية متضادة الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله وخلق الأرض أي ما في جهة السفل في يومين . ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولًا وتصويرها ثانيًا كما قال تعالى بعد قوله .﴿ خلق الأرض في يومين﴾[.فصلت:٩] ﴿وجعل فيها رَوَاسِيَ من فوقها وبٰرَك فيهاوقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ﴾[.فصلت: ١٠] أي مع اليومين الأولين لقوله تعالى في سورة السجدة﴿ الله الذي خلق السمٰوٰتِ والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ [٣٢. السجدة:٤] ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة . فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والأيام . ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال. ﴿ألا له الخلق والأمر تبٰرك الله رب العالمين﴾[٧.الأعراف:٥٤] ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال:

﴿أدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَّخُفْيَةً﴾ أي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الإخلاص . ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ[٥٥]﴾ المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره . نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

---

قوله: فخلق جسمًا .أي أصلًا مشتركا بين الأجرام البسيطة السفلية، صرح به المصنف في سورة السجدة، وهي هيولى العناصر، ثم قسمها بصور نوعية هي مبادي الآثار المختصة بالنوع، فصارت عناصر أربعة، فالمراد بالجسم أصل الأجسام وهيولا ها، عبر عنه بالجسم، لماأن الهيولى لا يخلو عن صورة ما فيكون جسما، ثم أنشأ المواليد الثلثة التي في المعادن والنباتات والحيوانات بتركيب موادها التي هي العناصر أولًا، وإفاضة صورها النوعية عليهاثانياً، ومعنى "بارك فيها" أكثر خيرها بأن خلق أنواع النباتات والحيوان، ومعنى "قدر فيها أقواتها" قدر أقوات أهلهابأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به .

والصعود إلى السماء . وقيل: هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه . وعن النبي ﷺ . " سيكون قوم يعتدون في الدعاء . وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل . وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرا﴿ إنه لا يحب المعتدين﴾

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي . ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الأنبياء وشرع الأحكام . ﴿وَادْعُوهُ خَوفًا وَطَمَعًا﴾ ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم . وطمع في إجابته تفضلاً وإحسانًا لفرط رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيْبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِيْنَ[٥٦]﴾ ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به إلى الإجابة . وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم . أو لأنه صفة محذوف أي أمر قريب . أو على تشبيه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول . او الذي هو مصدر كالنقيض . او الفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره .

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيٰحَ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة ﴿نُشْرًا﴾ جمع نشور بمعنى ناشر . وقرأ ابن عامر" نشراً" بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي "نشراً" بفتح النون حيث وقع على أنه مصدر في موقع الحال بمعني ناشرات .أو مفعول مطلق فإن الإرسال والنشر متقاربان .وعاصم "بشراً" جمع بشير، وقد قرىء به و"بشراً" بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات .أو للبشارة وبشرىٰ ﴿بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه .﴿حَتّٰى إِذَآ أَقَلَّتْ﴾أي حملت .واشتقاقه من القلة فإن المقل للشيء يستقله .﴿سَحَاباً

---

قوله:أ وعلى تشبيهه بفعيل الذي هوبمعنى مفعول .الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث .

قوله: أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره. قيل أي للفرق بين القريب من النسب فإنه يذكرو يؤنث وبين القريب من غير النسب فإنه يذكر دائماً، وهو المذكور في التاج الأسامي .قال الفراء: إذا كان القريب في معنى المسافة يذكر ويؤنث، وإذا كان في معنى النسب يؤنث بلا اختلاف بينهم .

قوله: نشرا بالتخفيف .أي تخفيف نشر بضم النون والشين كرسل ورسل .

قوله: فإن المقل للشيء يستقله .أي الحامل للشيء يجده قليلاً حتى يقدر على رفعه.

﴿ثقالاً﴾ بالماء جمعه، لأن السحاب جمع بمعنى السحائب. ﴿سُقْنٰهُ﴾ أي السحاب وإفراد الضمير بإعتبار اللفظ. ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لأجله أو لإحيائه أو لسقيه. وقرىء "ميت". ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ﴾ بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ ويحتمل فيه عود الضمير إلى "الماء" وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في الثاني، وإذا كان لغيره فهي للسببية فيهما. ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ﴾ من كل أنواعها ﴿كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ الإشارة فيه إلى إخراج الثمرات، أو إلى إحياء البلد الميت أي كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات، نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى موادّ أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ[٥٧]﴾ فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا.

﴿وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ الأرض الكريمة التربة. ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بمشيئته وتيسيره. عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة. ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ أي كالحرة والسبخة. ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قليلاً عديم النفع. ونصبه على الحال وتقدير الكلام." والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكداً" فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعا مستتراً وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون إلا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر أي ذا نكد ونكداً بالإسكان للتخفيف ﴿كَذٰلِكَ نُصرِّفُ الاٰيٰتِ﴾ نرددها ونكررها. ﴿لِقَومٍ يَّشْكُرُونَ[٥٨]﴾ نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها. والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها. ولمن لم يرفع إليها رأسًا ولم يتأثر بها.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلٰى قَوْمِهِ﴾ جواب قسم محذوف. ولا تكاد تطلق هذه اللام إلا

---

قوله: جمعه لأن السحاب جمع بمعنى السحائب. يعني جمع ثقالاً، لكون السحاب بمعنى الجمع وهو السحائب وإن كان لفظه مفردًا، لما أنه جنس كتمرو تمرة ولهذا أفرد الضمير في سقناه وما قاله الجوهري إنه جمع سحابة فمبني على أن تمرا جمع تمرة كما هو مذهب البعض.

قوله: والآية مثل لمن تدبر الآيات. يعني أن قوله: والبلد الطيب الخ. استعارة تمثيلية شبه حال من تدبر الآيات وانتفع بها بحال البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، وشبه حال لمن يرتفع بها رأسا ولم يتأثر بها بالخبث ﴿لا يخرج إلا نكدا﴾.

مع "قد" لأنها مظنة التوقع . فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها . ونوح بن لمك بن متوشلح بن إدريس أول نبي بعده . بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين . ﴿فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي اعبدوه وحده لقوله تعالى . ﴿مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتاً أو بدلاً على اللفظ حيث وقع إذا كان قبل "إله" من التي تخفهن . وقرئ بالنصب على الإستثناء . ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَومٍ عَظِيْمٍ[٥٩]﴾ إن لم تؤمنوا . وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته . واليوم يوم القيامة . او يوم نزول الطوفان .

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِۦ﴾ أي الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء . ﴿إِنَّا لَنَرىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ﴾ في زوال عن الحق ﴿مُبِيْنٌ[٦٠]﴾ بين.

﴿قَالَ يَا قَومِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ أي شيء من الضلال . بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به . ﴿وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَّبِّ الْعٰلَمِينَ[٦١]﴾ استدراك باعتبار ما يلزمه . وهو كونه على هدى كأنه قال : ولكني على هدى في الغاية لأني رسول من اللّٰه سبحانه وتعالى .

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسٰلٰتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَالَا تَعْلَمُونَ[٦٢]﴾ صفات لرسول أو استئناف . ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولاً، وقرأ أبو عمرو" أبلغكم" بالتخفيف

---

قوله: لأنها مظنة التوقع .يعني أن اللام مظنة التوقع لما أنها تدل على الجملة القسمية التي لاتساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها، فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى "قد" فيلائمه ذكر "قد" .

قوله:وقرأ الكسائي غيره بالكسرنعتا أو بدلا على اللفظ. يعني أن 'غيره' قرئ بالحركات الثلث، فالرفع على البدل على المحل، والكسر على البدل على اللفظ، والنصب على الإستثناء .

قوله: وبيان للداعي إلى عبادته. وهو عقابه تعالىٰ: فإنه هو المحذور عقابه دون من كانو ايعبدونه من دون اللّٰه .

قوله: فإنهم يملأون العيون رُواء. يعني سمواالأشراف ملاء لأنهم يملأون العيون حسن المنظر

قوله: وعرّض لهم به. أي بالضلال بأنهم في ضلال .

قوله: استدراك باعتبار ما يلزمه، لاباعتبار ذاته لأنه ليس إثباتاً لنقيضه .

وجمع الرسالات لا ختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والأحكام . أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلياالأنبياء قبله . كصحف شيث وإدريس وزيادة اللام في "لكم" للدلالة على إمحاض النصح لهم. وفي "أعلم من الله" تقريراً لما أوعدهم به فان معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه . أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها .

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم . ﴿أَنْ جَآءَكُمْ﴾ من أن جاء كم . ﴿ذِكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ رسالة أو موعظة.﴿عَلٰى رَجُلٍ﴾ على لسان رجل ﴿مِّنْكُمْ﴾ من جملتكم أو من جنسكم . فانهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون . ﴿ولو شاء الله لأنزل ملٰئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾[المؤمنون:٢٤] ﴿لِيُنْذِرَكُمْ ﴾ عاقبة الكفر والمعاصي . ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ منهما بسبب الإنذار .﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[٦٣]﴾ بالتقوى . وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والتحريم من الله سبحانه وتعالى تفضل . وأن المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهٗ﴾ وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلاًوأربعين امراة وقيل: تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به . ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ متعلق بـ" معه" أو بـ" أنجيناه" . أو حال من الموصول أو من الضمير في معه . ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِاٰيٰتِنَآ﴾ بالطوفان . ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَومًا عَمِيْنَ[٦٤]﴾ عمي القلوب غير مستبصرين . وأصله عمين فخفف وقرئ عامين والأول أبلغ لدلالته على الثبات .

---

قوله: وزيادة اللام في "لكم". يعني أن النصح جاء متعدياً بنفسه وباللام إلا أنه باللام أفصح وأبلغ، لأن اللام للاختصاص، ففيه دلالة على إمحاض وأنها وقعت خالصة للمنصوح له ومقصودا بها جانبه دون الناصح، فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعاً، ولا نصيحة أمحض من نصيحةالله ورسوله .

قوله: أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها. لأن الوحي يختص بالأنبياء وكلمة "من" على هذا الوجه للإبتداء بخلاف الوجه الأول فإن "من" فيه للبيان.

قوله: ما سمعنا بهذا. أي إرسال البشر .

قوله: متعلق ب"معه" أي بالاستقرار المقدر الذي ناب عنه الظرف، أو لدلالته على الصحبة والمقارنة كأنه قيل: والذين استقروا معه في الفلك ، أو صحبوه في الفلك .

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ عطف على ﴿نوحا إلى قومه﴾ .﴿هُودًا﴾ عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم . كقولهم: يا أخا العرب، لواحد منهم . فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح .وقيل: هو د بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ، وقيل: هود بن شالح بن أرفخشد ابن عم أبي عاد . وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه . ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال : فما قال لهم حين أرسل ؟ وكذلك جوابهم . ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ[٦٥]﴾ عذاب الله وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح عليه الصلاة والسلام ولذلك قال ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ﴾ اذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد .

﴿إِنَّا لَنَرَٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ متمكنًا في خفة عقل راسخًا فيها حيث فارقت دين قومك . ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَٰذِبِيْنَ[٦٦]﴾

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَّلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَٰلَمِيْنَ[٦٧]﴾

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِيْنٌ[٦٨]﴾

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ سبق تفسيره . وفي إجابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا

---

قوله: أرفخشدبن سام ابن عم أبي عاد. فعلى هذه يكون السام سامان، هذا وابن نوح عليه السلام.

قوله: وكأن قومه كانوا اقرب من قوم نوح عليه الصلاة والسلام . أي أقرب إلى قبول الحق والرسالة.

قوله:إذكان منهم من أشرافهم من أمن به: وكان سبباً لاسلام غيره بخلاف الأرذال كمرثد، أسلم وكان يكتم إسلامه، ولهذا بقي بعضهم على الكفر لا جميعهم، فقال قال الملأ الذين كفروا، بالوصف بالكفر بخلاف قوم نوح فإنهم في غاية البعد من قبول الحق .

قوله الحمقاء جمعه حمقىٰ. قال في الصحاح :وقد حمق الرجل بالضم حماقة فهو أحمق وامرأة حمقاء ونسوة حمق وحمقىٰ وحماقي.

والإعـراض عـن مـقـابـلتهم كمال النصح والشفقة وحجم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله . ﴿وَأَنَا لَكُمْ ناصح أمين﴾ تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين .

وقـرأ أبـو عـمـرو أبـلـغـكم في الموضعين في هذه السورة وفي الأحقاف مخففًا .

﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي في مساكنهم . أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى بحر عمان . خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بإنعامه .

﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ قـامة وقـوة. ﴿فَاذْكُرُوٓاْ آلَآءَ اللَّهِ﴾ تعميم بعد تـخـصيص . ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٦٩]﴾ لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدي إلى الفلاح .

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ, وَنَذَرَ مَاكَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ استبعد وا اختصاص الله بـالـعبـادة والإعـراض عـمـا أشرك به آباؤهم انهماكاً في التقليد وحبًا لما ألفوه . ومعنى المجيء في "أَجِئْتَنَا"إما المجيء من مكان إعتزل به عن قومه أو من السماء على التهكم .أو القصد عـلـى الـمـجـاز كقولهم ذهب يسبني . ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله: أفلا تتقون . ﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّدِقِيْنَ[٧٠]﴾ فيه.

---

قـولـه: وفـي قـوله تعالى ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾. تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين .لأنـه يدل على الثبات والدوام المشعر بالشهرة والمعرفة بخلاف أنصح، فلايرد ما قيل: إن التنبيه إنما يظهر لو قيل الناصح الأمين.

قـولـه: مـن رمـل عـالـج. قـال الجوهري: عالج موضع بالبادية بها رمل، و'عُمان' مخفف بلد، وأما الذي بالشام فهو 'عَمّان' بالفتح والتشديد انتهى.

قـوله: ومعنى المجيء في " أجئتنا" إما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه. وذلك أن لهـود مـكـانـا مـعـتـزل عن قومه يتعبد فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحراء قبل البعث، فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم .

قـولـه: أو مـن السماء على التهكم. وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا استهزاء أجئتنا من السماء كما يجيء الملائكة من السماء .

قوله: أو القصد .أي معنى المجيء القصد مجازاً،لا حقيقة المجيء.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ قد وجب أوحق ﴿عَلَيْكُمْ﴾. أو نزل عليكم على أن المتوقع كالواقع.﴿ مِّنْ رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب من الإرتجاس وهو الإضطراب .﴿ وَّغَضَبٌ﴾إرادة إنتقام.﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ مَّانَزَّلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ﴾ أي في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الإلٰهية . لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل . وأنها لو إستحقت كأن إستحقاقها بجعله تعالى إما بإنزال آية أو بنصب حجة . بين أن منتهى حجتهم وسندهم أن الأصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى .وإسناد الإطلاق إلى من لا يؤبه بقوله إظها رًا لغاية جهالتهم وفرط غبا وتهم وإستدل به على أن الإسم هو المسمى وأن اللغات تو قيفية إذلو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والإبطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل اللّٰه بها سلطانًا وضعفهما ظاهر .﴿فَانْتَظِرُوْآ﴾لما وضح الحق وأنتم مصرون على العناد و نزول العذاب .﴿إِنِّى مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ[٧١]﴾

﴿فَأَنْجَيْنٰه وَالَّذِيْنَ مَعَهُ﴾ في الدين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ عَلَيْهِمْ ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِاٰيٰتِنَا﴾ أي استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِيْنَ[٧٢]﴾ تعريض بمن آمن منهم . وتنبيه على أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الإيمان،روي أنهم كانوا يعبدون الأصنام فبعث اللّٰه إليهم هودًا فكذبوه . وازدادوا عتواً فأمسك اللّٰه القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم . وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من اللّٰه الفرج

---

قوله: من الارتجاس وهو الاضطراب .فإن المعذب مضطرب .

قوله: وليس فيها معنى الإلٰهية .أي الإستحقاق للعبادة.

قوله: واستُدل به. أي استدل به على أن الإسم هو المسمى حيث جعل المعبود اسما مع أن المعبود إنما هو مسمى، فعلم أنهما واحد وأن أسماء اللّٰه تعالٰى توقيفية للإنكار عليهم بأنكم واٰباء كم سميتموها وضعفهما ظاهر، لأن المراد بالأسماء الأشياء التي هي المسميات، أو أنه على حذف المضاف :أي في مسميات أسماء ، وإن الذم إنما توجه عليهم لأجل أنهم جعلوها معبودات بدون الألوهية فيها .

قوله: نزول العذاب .مفعول انتظروا .

قوله: تعريض بمن آمن منهم. جواب سؤال، وهو أن يقال مافائدة نفي الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات اللّٰه .

فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم وكان اذا ذاك بمكة العمالقة أولادعمليق بن لاوذبن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم . وكانوا أخواله وأصهاره . فلبثوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له . فلما رأي ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين .

أَلَا يَاقِيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ لَعَلَّ اللّٰه يُسْقِيْنَا الْغَمَامَا

فَيُسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَادًا قَدْ امْسوا مَا يُبَيْنُونَ الْكَلَامَا

حتى غنيا به . فأزعجهم ذلك فقال مرثد . واللّٰه لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى اللّٰه سبحانه وتعالى سقيتم . فقالوا لمعاوية : احبسه عنا لا يقد من معنا مكةفإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا . ثم دخلوا مكة فقال قيل: اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيها . فأنشأاللّٰه تعالى سحابات ثلاثًا بيضاء وحمراء وسوداء . ثم ناداه مناد من السماء ياقيل: اختر لنفسك ولقومك . فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء . فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا: هذا عارض ممطرنا فجاء تهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه . فأتوا مكة وعبدوا اللّٰه سبحانه وتعالى فيها حتى ماتوا .

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ قبيلة أخرى من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح . وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل . وقرئ مصروفًا بتأويل الحي أو باعتبار الأصل . وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرىٰ .

---

قوله: وتغنيهم الجرادتان. والجرادتان اسماقينتين كانتا بمكةفي الزمن الأول أهمه ذلك أي وقع ذلك معاوية في الهم و"هينم" أمر من الهينمة وهو الصوت الخفيوالمراد ههنا الدعاء "يبينون الكلاما"أي ما يظهرونه: أي لا يطيقون الكلام من شدة العطش فخرجت أي السحابة" وادى المغيث" واديهم يقال له: المغيث، ومنها أي من تلك السحابة .

قوله: بتأويل الحي أو باعتبار الأصل .وهو أنهم اسم أبيهم الأكبر فلا تأنيث فيه لأنه باعتبار القبيلة ففيه سبب واحد فيصرف .

قوله: الحجر. وهي منازل ثمود ناحيةالشام عند وادى القرىٰ .

﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عتيد بن حاذر بن ثمود .
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ استئناف لبيانها، وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الإشارة .ولكم بيان لمن هي له آية ، ويجوز أن تكون ناقة الله بدلاً أو عطف بيان ولكم خبراً عاملاً في آية . وإضافة الناقة إلى الله تعظيمًالها ولأنها جائت من عندالله بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية . ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ اللَّهِ﴾ العشب . ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة في الأمر وإزاحة للعذر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٧٣]﴾ جواب للنهي.

﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الحجر . ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾ أي تبنون في سهولها . أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللبن والآجر . ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالإشباع . وانتساب بيوتًا على الحال المقدرة أو المفعول على أن التقدير بيوتًا من الجبا ل أو تنحتون بمعنى تتخذون ﴿فَاذْكُرُوٓاْ آلَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ[٧٤]﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ أي عن الإيمان . ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ﴾ أي للذين استضعفوهم واسترذلوهم .﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من الذين استضعفوا بدل الكل إن كان الضمير لقومه وبدل البعض إن كان للذين . وقرأ ابن عامر: وقال الملو" بالواو. ﴿أَتَعْلَمُونَ

---

قوله: بيان لمن هي له آية. موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود .

قوله: بلا وسائط وأسباب معهودة. وهي أسباب التوالد والتناسل.

قوله: على الحال المقدرة. أي مقدرا كونها بيوتاً، وذلك أن الجبال لا تكون بيوتاً في حال النحت .

قوله: على أن التقد يربيوتامن الجبال .بتقدير من .

قوله: إن كان الضمير لقومه. لأن من آمن حينئذ يكون مفسراً لمن استضعف منهم فدل على أن استضعافهم كان مقصورًا على المؤمنين بخلاف ما إذا كان الضمير "للذين استضعفوا" فإنه حينئذ لم يكن الاستضعاف مقصورًا على المؤمنين ، ودل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين .

﴿أَنَّ صَالِحٌ مُّرْسَلٌ مِّنْ رَّبِّهِ﴾ قالوه على الاستهزاء ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ[٧٥]﴾ عدلوا به عن الجواب الذي هو نعم تنبيهًا على أن إرساله أظهر من أن يشك فيه عاقل ويكفى على ذوي رأي. وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال:

﴿قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِالَّذِىٓ آمَنْتُمْ بِهِ كٰفِرُونَ[٧٦]﴾ على وجه المقابلة. ووضعوا آمنتم به موضع أرسل به رداً لما جعلوه معلومًا مسلماً.

﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ﴾ فنحروها. أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة. أو لأنه كان برضاهم. ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ واستكبروا عن امتثاله. وهو ما بلغهم صالح عليه الصلاة والسلام بقوله: فذروها﴿وَقَالُواْ يٰصٰلِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ[٧٧]﴾

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جٰثِمِيْنَ[٧٨]﴾ خامدين ميتين روي: أنهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا. وعمروا أعماراً طوالًا لا تفي بها الأبنية. فنتحوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام. فبعث الله إليهم صالحًا من أشرافهم فأنذرهم. فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا: اخرج معنا إلى عيدنا فتدعوإلهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع. فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم. ثم أشار سيدهم جندع بن عمروا إلى صخرة منفرده يقال لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فإن فعلت صدقناك. فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا: نعم. فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها. فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون. ثم نتجت ولداً مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة. ومنع الباقين من الإيمان ذؤاب بن عمروا والخباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم.

---

قوله: بها الأبنية. أي تنهدم في حياتهم.

قوله: ناقة مخترجة. يقال ناقة مخترجة إذا أخرجت على هيئة الحمل، وعشراء بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة، الناقة التي أتت عليها من يوم أرسل فيها الفحل عشرة أشهر، وجوفاء: أي عظيمة الجوف، ووبراء :أي كثيرة الوبر، ثم تنفخ: أي تفرج ما بين الرجلين ليسهل الحلب، تصيف: أي تلبث في الصيف بظهر الوادي لتهب عليه الرياح، وتشتت: أي لبث في الشتاء ببطن الوادي أن لا يضرها البرد، والسقب من ولد الناقة، والرغاء صوت ذوات الخف، وقد رغى البعير يرغو رغاء إذا صبح، ونفجت الصخرة: أي رفعت.

فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غباً فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها . ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلىء أوانيهم . فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه .وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره ، فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أ م غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها . فرقى سقيها جبلاً اسمه قارة فرغا ثلاثًا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب . فلم يقدروا عليه إذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح : تصبح وجوهكم غدًا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة . ثم يصبحكم العذاب . فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه اللّٰه إلى أرض فلسطين . ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا .

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ[٧٩]﴾ ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين . ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم أهل قليب بدر وقال" إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا" أو ذكرت ذلك على سبيل التحسر عليهم .

﴿وَلُوطًا﴾ أي وأرسلنا لوطًا .﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وقت قوله لهم أو واذكر لوطًا وإذ بدل منه . ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح . ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ[٨٠]﴾ ما فعلها قبلكم أحد قط . والباء للتعدية ومن الأولى لتأكيد النفي والاستغراق . والثانية للتبعيض . والجملة استئناف مقرر للإنكار كأنه وبخهم أولاً بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسواء .

---

قوله: بعد أن أبصرهم جاثمين. أي ميتين قعودا، يقال: الناس جثم: أي قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون .فإن قيل: كيف صح خطاب الموتى وقوله: ولكن لا تحبون الناصحين ،قيل: قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع حتى ألقى بنفسه في التهلكة، ياأخي!كم نصحتك وكم قلت فلم تتقبل مني.وقوله:" ولكن لا تحبون"حكاية حال ماضية .

قوله: والباء للتعدية. لأن معناه ما فعلها أحد قبلكم .

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَآءِ﴾ بيان لقوله .﴿أتأتون الفاحشة﴾ وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ . وقرأ نافع وحفص أنكم على الإخبار المستأنف . وشهوة مفعول له أو مصدر وقع في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة . وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع . لا قضاء الوطر . ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَومٌ مُّسْرِفُونَ[٨١]﴾ إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء . أو عن الإنكار عليها الى الذم على جمع معايبهم . أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِهِ إِلَّآ أَنْ قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي ما جاؤوا بما يكون جواباً عن كلامه . ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ[٨٢]﴾ أي من الفواحش.

﴿فَأَنْجَيْنٰهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي من آمن به﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ استثناء من أهله فإنها كانت تسر الكفر﴿كَانَتْ مِنَ الْغٰبِرِيْنَ[٨٣]﴾ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَراً﴾ أي نوعًا من المطر عجيبًا وهو مبين بقوله :﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾[ الهود:٨٢]﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِيْنَ[٨٤]﴾ روي: أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه إبراهيم عليه السلام إلى الشام نزل بالأردن . فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة . فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا . وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم.

﴿وَإِلٰى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي وأرسلنا إليهم . وهم أولاد مدين بن إبراهيم خليل الله شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين . وكان يقال له خطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه ﴿قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم

---

قوله: وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة .أي لتأتون الرجال إتيانا مقيداً بمجرد قضاء الشهوة من دون طلب التناسل كما هو شأن البهائم .

قوله: أهل سدوم. سدوم أكبر قرى لوط .

قوله:لحسن مراجعته قومه. أي في السؤال والجواب .

﴿بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي . وما روي من محاربة عصا موسى عليه الصلاة والسلام التنين وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها . ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخرةٌ عن هذه المقولة . ويحتمل أن تكون كرامة لموسى عليه السلام أو إرهاصاًلنبوتة. ﴿فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ﴾ أي آلة الكيل على الإضمار .و إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله :﴿وَالْمِيْزَانَ﴾ كما قال في سورة هو د ﴿أو فوا المكيال والميزان ﴾أو الكيل ووزن الميزان .ويجوز أن يكون الميزان مصدراً كالميعاد.﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَ هُمْ﴾ولا تنقصوهم حقوقها .وإنما قال اشياء هم للتعميم تنبيهاً على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير .وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا

---

قوله: وما روي الخ. يعني توهم البعض أن البينة المذكورة هي هذه الأمور، وهي أن شعيبًا أعطى موسى عصا حاربت التنين حين دفع إليه غنمه، وقال: لا ترى من يمين الوادي وإن كان أعشب وأخصب فإن فيه تنينا، فذهب موسى عليه السلام إلى الوادي ونسي ماقاله شعيب، ورعى الأغنام ذات اليمين ونام، وقصده التنين فحاربه بالعصا، وأنه سلم إلى موسى غنمًا ليرعيهاعلى أن ما ولدته، وكان درعا أي ذالونين، وقيل: ما أسودرأسه وأبيض سائرجسده يكون له أي لشعيب، فكان جميع ما ولدته درعا، وأن شعيباً كانت عنده عصا الأنبياء ، فقال لموسىٰ بالليل: ادخل ذلك البيت فخذ عصا من العصى، فأخذ عصا هبط بها آدم فمس بها شعيب وكان مكفوف البصر فعرفها، فقال: خذ غيرها فماوقع إلاهوورد عليه المصنف بأن هذه الأمور ليست فيآن هذه المقالة بل متأخرة عنها، فهي إما كرامة لموسىٰ عليه السلام أوإرهاصا لنبوته ، والإرهاص أمر خارق العادة يحصل قبل نبوة نبي علامة لنبوته قبل ظهوره ،وهوجائز عند ناخلا فاللمعتزلة .

قوله: أي آلة الكيل. إشارة إلى دفع ما يقال: إن الكيل مصدر، والميزان آلة فلا يناسب بل الذي ينبغي أن يقال: المكيال والميزان كما في سورة هود ووجه الدفع أن المراد آلة الكيل على حذف المضاف وهو المكيال، أو أطلق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش أي ما يعاش به بقرينة' والميزان' أوأريد ووزن الميزان على حذف المضاف من الميزان أو الميزان مصدر كالميعاد .

قوله:مكاسين .قال الجوهري:المكاس العشار، وفي الحديث :لا يدخل صاحب مكس الجنة. والمكس ماياخذه العشار .

مكسوه.﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾بالكفر والحيف .﴿ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾بعد ما اصلح أمرها أو أهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع. أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة في﴿بل مكر الليل والنهار﴾ .﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[٨٥] ﴾إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه .ومعني الخيرية إما الزيادة مطلقاً أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ بكل طريق من طرق الدين كالشيطان .وصراط الحق وإن كان واحدا ً لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام .وكانوا إذا رأوا واحداً يسعى في شيء منها منعوه .وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيباً إنه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به .وقيل كانوا يقطعون الطريق.﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط . دلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحًا لما كانوا عليه أو الإيمان بالله . ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾أي بالله .أو بكل صراط على الأول ومن مفعول تصدون على إعمال الأقرب ولوكان مفعول توعدون لقال: وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال

---

قوله: أو أصلحوا فيها. أي أصلح الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم .

قوله: والإضافة إليها الخ . يعني أن الإضافة بمعنى 'في' كما في مكر الليل .

قوله: وحسن الأحد وثة .وهو ما يتحدث به .

قوله: وجمع المال .لأن الناس أرغب في مستأجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية .

قوله: وصراط الحق وإن كان واحدا .جواب سؤال وهو أن يقال: صراط الحق واحدأ وأن هذا صراطي مستقيماً،فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل: بكل صراط، فأجاب بأن صراط الحق وإن كان واحداً إلا أنه يتشعب ويتنوع إلى أنواع معارف: أي اعتقاديات ـهي أصول الدينـ وحدود:أي بيان ماهيات الأشياء، وأحكام ـهي فروع الدينـ وكانوا إذا رأوا واحدا يسعى في شيء منها منعوه، فباعتبار هذا عمم وقال: بكل صراط.

قوله: بيانا لكل صراط .بأنه في سبيل الله ودينه .

قوله: أي بالله .على الثاني .

من الضمير في تقعدوا .﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾وتطلبون لسبيل الله عوجًا بإلقاء الشبه أووصفها للناس بأنها معوجة﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيْلاً﴾عَددكم أو عُددكم﴿ فَكَثَّرَكُم﴾بالبركة في النسل او المال ﴿ وَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ[٨٦]﴾من الأمم قبلكم فأعتبروابهم.

﴿ وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ ﴾ فتربصوا .﴿حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا﴾أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين .فهو وعد للمؤ منين ووعيد للكافرين .وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ[٨٧]﴾ إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه .

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُواْ مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يٰشُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ آمَنُواْ مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم من القرية أو عودكم في الكفر. وشعيب عليه الصلاة والسلام لم يكن في ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقًا . لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم . وعلى ذلك أجرى الجواب في قوله .﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كٰرِهِيْنَ[٨٨]﴾ أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها . او أتعيدوننا في حال كراهتنا.﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا﴾ قد اختلفنا عليه .﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجّٰنَااللّٰهُ مِنْهَا﴾ شرط جوابه محذوف دليله .قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة . وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم أن لله تعالى نداً . وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه باطل وما أنتم عليه حق . وقيل إنه جواب قسم تقديره : والله لقد افترينا . ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾ وما يصح لنا ﴿أَنْ نَّعُودَ فِيْهَآ إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ اللّٰهُ رَبُّنَا﴾ خذلاننا وارتدادنا . وفيه دليل على أن الكفر بمشية الله .

---

قوله: شرط جوابه محذوف .جواب سؤال وهو أن يقال: ما معنى التأكيد الذي يعطيه' قد' مع مدخولها الماضي ثم انضم 'إن' الشرطية، أجاب عنه بأن المعنى على الاستقبال، وإنما أتي بالماضي تنزيلاً لما يقع منزلة الواقع للمبالغة، والتنبيه على أن الافتراء على تقدير العود واقع قطعا فلا تعود قطعا، وبأن هذا ليس في معنى الجواب ودليله بل هو جواب لقسم محذوف فيكون على المضي والمعنى: والله قد افترينا على الله ما كنا ادعينا من الرسالة من الله إن عدنا في ملتكم .

قوله: وفيه دليل على أن الكفر بمشيئته. رد على مذهب الإعتزال فإنهم قالوا: إن الله لا تريد القبيح .

وقيل: أراد به حسم أطماعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي أحاط علمه بكل شيء مما كان يكون منا ومنكم . ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبتنا على الإيمان ويخلصنا من الأشرار﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ احكم بيننا وبينهم . والفتاح القاضي . والفتاحة الحكومة. أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَٰتِحِيْنَ[٨٩]﴾ على المعنيين .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ مِنْ قومه لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ وتركتم دينكم . ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخٰسِرُونَ[٩٠]﴾ لا ستبدالكم ضلالة بهداكم . او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة وفي سورة الحجر . ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ ولعلها كانت من مباديها .﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جٰثِمِيْنَ[٩١]﴾ أي في مدينتهم .

﴿الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره .﴿كَأَنْ لَّمْ يَغْنَواْ فِيْهَا﴾ أي استؤ صلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل . ﴿الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخٰسِرِيْنَ[٩٢]﴾ ديناً ودنيا لا الَّذين صدقوه واتبعوه كما زعموا . فانهم الرابحون في الدارين . وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين .

---

قوله: بالتعليق على مالا يكون.لأن مشيئة الله ارتدادهم محال خارج عن الحكمة

قوله: حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز الحق من المبطل. وذلك بأن ينزل عليهم عذاباً أليماً يتبين معه أنهم على الباطل .

قوله: بالبخس. أي النقص، لأنه ينهاكم فوائد البخس والتطفيف ويحملكم على الإيفاء والتسوية .

قوله: وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم. يعني أن هذا يكون جواباً للقسم والشرط معا، أما للقسم فلفظا ومعنى لعدم مجيء الفاء فيه وكونه محلوفا عليه، وأما للشرط فمعنى فقط لكونه مشروطا بهذا الشرط .

قوله: الموطأ باللام .أي القسم محذوف واللام لتوطيئته وللدليل عليه.

قوله: وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول .وذلك أن الموصول علة

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ قاله تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ، ثم أنكر على نفسه فقال: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ[٩٣]﴾ ليسوا أهل حزن لا ستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم . أو قاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم . والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي . فكيف آسى عليكم . وقرئ فكيف أيسى بإمالتين .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾ بالبؤس والضر . ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ[٩٤]﴾ حتى يتضرعوا ويتذللوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي أعطيناهم بدل ماكانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة إبتلاء لهم بالأمرين. ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾حتى كثروا عدد اً وعدداً يقال: عفا النبات إذا كثر ومنه إعفاء اللحى . ﴿وَقَالُواْ قَدْمَسَّ آبَائَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ﴾ كفراناً لنعمة الله ونسياناً لذكره واعتقاداً بأنه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آبائنا منه مثل ما مسنا . ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ بَغْتَةً﴾فجاة. ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُوْنَ[٩٥]﴾بنزول العذاب

﴿وَلَوْ أَنَّ اَهْلَ القُرٰى﴾ يعني القرى المدلول عليها بقوله. ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾وقيل مكة وما حولها .

﴿آمَنُوْا وَاتَّقَوْا﴾ مكان كفرهم وعصيانهم . ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ﴾لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطروالنبات.وقرأ إبن عامر لفتحنا بالتشديد . ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾الرسل ﴿فَأَخَذْنٰهُمْ بِماَ كاَنُوْا يَكْسِبُوْنَ[٩٦]﴾من الكفر والمعاصي.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرىٰ﴾ عطف على قوله. ﴿فأخذنٰهم بغتة وهم لا يشعرون﴾وما

---

للخسران، فيدل على أنهم هم الخاسرون لاالذين صدقوا لوجود العلة فيهم دون غيرهم، وأنهم بالغوا في الخسران أي ديناً ودنيا، لأن تكذيب النبي يوجب خسران الدارين، فكرر للتنبيه والمبالغة بخلاف ماإذا لم يكرر ولم يستأنف الجملتين وقال فأصبحوا جاثمين كأن لم يغنوا فيها، كانواهم الخاسرين لفوات التنبيه والمبالغة حينئذ.

قوله:فلم يصدقواقولي فكيف آسى عليكم :يعني لا آسىٰ عليكم لأنكم ليسواأحقاء بالآسىٰ.

قوله:بأنه: أي المس.

قوله:عطف علىٰ قوله فأخذناهم أي أخذنٰهم بغتة: ثم أمن بعد ذلك أهل تلك القرىٰ أي ليس لهم ذلك.

بينهما اعتراض والمعنى . أبعد ذلك أمن اهل القرىٰ﴿أن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَيَاتاً﴾تبييتاً أو وقت بيات أو مبيتاً أو مبيتين .وهو في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم .﴿وَهُمْ نَآئِمُوْنَ[٩٧]﴾حال من ضمير هم البارز أوالمستتر في بياتاً .﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرىٰ﴾وقرأ إبن كثير ونافع وابن عامر "أو" بالسكون على الترديد.﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً﴾ضحوة النهار .وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت:﴿وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ[٩٨]﴾ يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم ﴿أَفَأَمِنُوْا مَكْرَاللّٰهِ﴾ تكرير لقوله﴿أفامن أهل القرىٰ﴾ومكر الله استعارة لاستدراج العبد أ و أخذه من حيث لا يحتسب.﴿فلَا يَأْمَنُ مَكْرَاللّٰه إِلَّا القَوْمُ الخٰسِرُوْنَ[٩٩]﴾الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِيْنَ يَرِثُوْنَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ أي يخلفون من خلاقبلهم ويرثون ديارهم . وإنما عدي "يهد" باللام لأنه بمعنى يبين .﴿أَنْ لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنٰهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ﴾ أن الشان لو نشاء أصبنا هم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم . وهو فاعل "يهد" ومن قرأه بالنون جعله مفعولًا.﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوْبِهِمْ﴾ عطف على مادل عليه . أولم يهدأي يغفلون عن الهداية أومنقطع عنه بمعنى ونحن نطبع . ولا يجوز عطفه على" أصبناهم" على أنه بمعنى وطبعنا لأنه في سياقه جواب لو لإ فضائه إلى نفي الطبع عنهم .﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَ[١٠٠]﴾ سماع تفهم واعتبار .

---

قوله:وهو في الأصل مصدر بمعني البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت: قال الجوهري: يقال: بات الشيء يبيت ويبات بيتوتة. وبيتة العدو إذا وقع بهم ليلًا، والاسم البيات.فالبيات إما بمعنى التبييت فيكون إما تميزاً عن النسبة أي أن يأتيهم وقوع البأس في الليل. أو مفعولًا مطلقاً أي أن يبيتهم تبييتاً،أوبمعنى البيتوتة فيكون مفعولًافيه بتقدير مضاف ،أويرادأن يبيتهم مبيتاًفيكون حالًا من بأسنا، أو يراد مبيتين بفتح الياء فيكون حالًا من ضمير بأسنا، أو من ضمير'هم'.

قوله:يلهون من فرط الغفلة: يعني أن المراد من اللعب اللهو وذلك من فرط الغفلة أو المراد الاشتغال بما لا ينفعهم وإن كان من أمور دينهم فكأنهم يلعبون .

قوله:أن الشان: إشارة إلىٰ أن اسم 'أن' المخففة ضمير الشان محذوفاً .

قوله: لأنه في سياقة جواب' لو': وكلمة 'لو' للماضي و إن دخل على المستقبل.

﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ بمعنى قرى الأمم المار ذكرهم .﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآئِهَا﴾ حال إن جعل "القرى" خبرًا وتكون إفادته بالتقييد بها. وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين و"من" للتبعيض أي نقص بعض أنبائها . ولها أنباء غير ها لا نقصها .﴿وَلَقَدْ جَآئَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ﴾ بالمعجزات .﴿فَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا﴾ عند مجيئهم بها .﴿بِمَا كَذَّبُوْا مِنْ قَبْلُ﴾ بما كذبوه من قبل الرسول بل كانوا مستمرين على التكذيب . أو فما كانوا ليؤ منوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولًا حين جائتهم الرسل . ولم تؤ ثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتا بعة . واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم .﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلَى قُلُوْبِ الْكٰفِرِيْنَ[١٠١]﴾ فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر .﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ لأكثر الناس . والآيه اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين .﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ من وفاء عهد . فإن أكثرهم نقضوا ما عهد اللّٰه إليهم فيا لإيمان والتقوى بإنزال الآيات ونصب الحجج .أوما عاهدوا إليه حين كانوا في ضرر ومخافة مثل ﴿لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشٰكرين ﴾﴿وَإِنْ وَجَدْنَا

---

قوله: لإفضائه :علة لعدم الجواب.

قوله:ويجوز أن يكونا خبرين: فإن قيل: فحينئذ لايكون تلك القري كلاماً مقيداً، قيل: يراد تلك القري المعلومة حالها وصفتها علىٰ أن اللام للعهد.

قوله:﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيئهم: جعل عدم إيمانهم مسبباً عن التكذب بأيات اللّٰه المقيدة بالقبلية فالفعل المضارع أعني 'ليؤمنوا' إما أن يحمل علىٰ ظاهره، فيكون المعنى فما كانوا ليؤمنوا الآن: أي عند مجي الرسول لما سبق منهم من التكذيب قبل مجيهم بل كانوا مستمرين على التكذيب. أو يحمل على الاستمرار، والمعنى "فما كانوا ليؤمنوا" مدة عمر هم بسبب تكذيبهم السابق، أو استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولاتلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرار المواعظ عليهم وتتابع الأيات.

قوله:والأية اعتراض: أي على تقدير أن يكون ضمير أكثرهم للناس على الإطلاق يكون الأية اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه أي بين قوله:﴿ولقد جاء تهم رسلهم بالبينات﴾ وقوله:﴿ بعثنا من بعد هم موسىٰ ﴾.وأما على تقدير أن يكون للأمم المذكورين يكون تتمةً وبيا ناً لحالهم .

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾أي علمنا هم﴿لَفٰسِقِيْنِ[١٠٢]﴾ من وجدت زيداً إذا الحفاظ لدخول "إن" المخففة واللام الفارقة .وذلك لا يسوغ إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما .وعند الكوفين "إن" للنفي واللام بمعنى إلا .

﴿ثُمَّ بَعَثْناَ مِنْ بَعْدِهِمْ مُوْسىٰ ﴾الضمير للرسل في قوله﴿ولقد جائتهم رسلهم ﴾أو للأمم﴿بِأٰ يٰتِنَا﴾ يعني المعجزات ﴿إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلاَئِهِ فَظَلَمُوْا بِهاَ﴾بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها .ولهذا المعنى وضع "ظلموا" موضع "كفروا" وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان إسمه قابوس . وقيل الوليد مصعب بن الريان .﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُالمُفْسِدِيْنَ[١٠٣]﴾

﴿وَقَالَ مُوْسىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُوْلٌ مِنْ رَبِّ العٰلَمِينَ[١٠٤]﴾إليك . وقوله :

﴿حَقِيْقٌ عَلىٰ أَنْ لاأَقُوْلَ عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الحَقَّ ﴾ لعله جواب لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة . وإنما لم يذكره لدلالة قوله ﴿فظلموابها ﴾ عليه وكان أصله ﴿حقيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُوْلَ﴾ كما قراء نافع فقلب لأمن الالتباس كقوله : وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر . أو لأن ما لزمك فقد لزمته .او لللإغراق في الوصف بالصدق . والمعنى أنه حق واجب على القول الحق أن أكون أنا قائلة لا يرضى إلا بمثلي نا طقًا به أو ضمن حقيق معنى حريص . أووضع على مكان الباء لإفادة التمكن كقولهم : رميت على القوس وجئت على حالة حسنة . ويؤيده قرأة أبي بالباء . وقرئ "حقيق أن لا أقول" بدون على .﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيإِسْرَآئِيلَ [١٠٥]﴾ فخلهم حتى ير جعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم . وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال .﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِاٰيَةٍ﴾ من عند من أرسلك .﴿فَائْتِ بِهَا ﴾ فأحضر ها عندي ليثبت بها صدقك .﴿إِنْ كُنْتَ مِنْ الصّٰدِقِيْنَ[١٠٦]﴾ في الدعوى .

---

قوله:وكان أصله ﴿حقيق على أن لاأقول﴾: لأن معنى الحقيق الواجب كذا في الصحاح. والواجب واللازم هو 'أن لا أقول' لاموسىٰ، فقلب بأن جعل الفاعل وهو 'أن لا أقول' مفعولاً، والمفعول وهو 'المتكلم' فاعلاً كما في قوله: وتشقي الرماح بالضياطرة الحمر: أي تشقى الضياطرة بالرماح المضيطر، والضيطار الرجل الضخم الذى لا غناء عنده. والحمرعندهم من صفة العجم لأن الشقرة أغلب الألوان عليهم. أولأن ما لزمك ولم ينفك عنك فقد لزمته ولم تنفك عنه. فلما كان قول الحق حقيقا عليه ـعليه الصلاة والسلامـ كان هو حقيقاًعليه لازمأله.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ[١٠٧]﴾ ظاهر أمره لاشك في أنه ثعبان وهي الحية العظيمة. روي أنه لما ألقاها صارت ثعبانًا أشعر فاغرًا فاه بين لحييه ثمانون ذراعًا وضع لحيه الأسفل على الأرض ولأعلى على سور القصر . ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث . وانهزم الناس مزد حمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا . وصاح فرعون: يا موسىٰ أنشد ك بالذي أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرئيل فأخذ ه فعاد عصا﴿وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ من جيبه أو من تحت إ بطه .﴿فإذا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنّٰظِرِينَ[١٠٨]﴾ أي بيضاء بياضًا خارجًا عن العادة تجتمع عليها النظارة . أو بيضاء للنظار لاأنها كانت بيضاء في جبلتها . روي :أنه عليه السلام كان آدم شديد الأدمة فأدخل يده في جيبه أو تحت إ بطه نزعها فإ ذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعهاشعا ع الشمس .

﴿قَالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسٰحِرٌ عَلِيْمٌ[١٠٩]﴾قيل: قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره. فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم ها هنا.

﴿يُرِيْدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَا تَأْ مُرُوْنَ[١١٠]﴾ تشيرون في أن نفعل؟.

﴿ قَالُوْا أَ رْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْ سِل فِي المَدَآئِنِ حٰشِرِيْنَ[١١١]﴾ ﴿ يَأْ تُوْكَ بِكُلِّ سٰحِرٍ عَلِيمٍ[١١٢]﴾ كأنه إتفقت عليه آرائهم فأشاروا بهإلى فرعون.والإرجاء التأخير أي أمره وأصله أرجئهُ كما قراء أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أرجأت

---

أولـلإغـراق،أ ولـلمبالغة في الوصف بالصدق بأنه أي الصدق وجب عليه أن أكون قائله، وأن لا يرضىٰ الا بمثلي ناطقاً به بمعنىٰ أنه لو كان مما يعقل لكان الواجب عليه أن يجعلني قائله: أي يجتهد وا لتحصيل مايوجب أن أكون أنا قائله .

قوله:اشعر: أي كثير شعر الجسد فاغراً فاه أي فاتحاً إياه .

قوله: بياضاً خارجاً عن العادة: يجتمع عليه النظارة كما يجتمعون للعجائب الخارجة عن العادة .فقوله للناظرين من التتميم لدفع توهم غير ا المقصود.

قوله: قاله هو وأشراف قومه علىٰ سبيل التشاور الخ: إشارة الىٰ دفع ما يقال: قد عزى هذا الكلام إلىٰ فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملاء وعزى ههناإلىٰ الملاء فما وجهه.

قوله:أي أخر أمره: و لا تعجل وكأنه همّ بقتله فقالوا: أخر قتله ولا تقتله ليتبين سحر عند الخلق حاشرين أي جامعين لكل ساحرعليهم .

وكذلك أرجئهوه على قراءة ابن كثيروهشام عن ابن عامر على الأصل في الضمير . أو أرجهي من أرجيت كما قرء نافع في رواية ورش، وإسماعيل والكسائي . وأما قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسر عنها .وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل با لمتصل ، وجعل 'جه' كا بل فى إسكا ن وسطه، وأما قراءة ابن عامر بروابة ابن ذكوان أرجئه با لهمزة وكسر الهاء فلا ير تضيه النحاة ؛ فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة . ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها .وقرء حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده إتفاقهم عليه في الشعراء.

﴿ وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾بعد ما أرسل الشرط في طلبهم .﴿ قَالُوْا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغٰلِبِيْنَ[١١٣]﴾إستأنف به كأنه جواب سائل قال : ماذا قالوا إذجاؤوا؟ وقرء ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ﴿إن لنا لأجرًا﴾ على الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر . والتنكير للتعظيم .﴿قَالَ نَعَمْ﴾إن لكم لأجرًا﴿وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ[١١٤]﴾ عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم .

﴿ قَالُوْا يٰمُوْسىٰ إِمَّآ أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّآ أَن نَّكُوْنَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ[١١٥]﴾ خيروا موسى مراعاة للأدب أو إظهارًا للجلادة . ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ماهو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك

---

قوله:وكذلك ارجئهوه علىٰ قراءة ابن كثير علىٰ الأصل في الضمير:أي بالهمزة وضم الهاء مع الصلة.

قوله:علىٰ ماسد مسده نعم :أي علىٰ محذوف سد مسده 'نعم' وهو إنّ لكم لأجرًا.

قوله:أو أرجهي من أرجيت أي بكسر الهاء مع الصلة على ماهو الأصل في الضمير.

قوله:مراعاة للأدب: كما يفعل أهل الصناعات إذاالتقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاصموافي الجدال والمتضارعين قبل أن يتأخذ وا للصراع .

قوله:بتغيير النظم: حيث لم يقولوا: إماأن يلقى و إما أن تلقى.

قوله:وتوسيط الفصل أو تاكيد ضمير هم المتصل: الفرق بين أن يكون الضمير مؤكداً و بين أن يكون فصلا أن التوكيد يرفع التجوزعن المسندإليه فيلزم التخصيص من تعريف الخبر، والفصل يخصص بالالقاء بهم لأنه لتخصيص المسند بالمسند إليه فيعرى عن التوكيد.

قوله:فلذلك: أي لأجل مراعاتهم الأدب قال موسىٰ كرماً، أولاجل إظهارهم الجلادة قال موسىٰ از دراءً وتحقيراً لهم في فنه: وإلا فالسحر في نفسه وحد ذاته حقير لأنه تزوير .

﴿ قَالَ أَلْقُوْا﴾ إكرامًا وتسامحًا . أو ازدراء بهم ووثوقًا على شأنه.﴿ فَلَمَّآ أَلْقُوا سَحَرُوْٓ أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه.﴿وَ اسْتَرْهَبُوْ هُمْ﴾وأرهبوهم إرهابًا شديدًا كأنهم طلبوا رهبتهم.﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيْمٍ[١١٦]﴾ في فنه . روي أنهم ألقوا حبالا غلاظًا وخشبًا طوالًا كأنها حيات ملأت الوادي .وركب بعضها بعضًا.

﴿ وَ أَوْ حَيْنَا إِلَىٰ مُوْسىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها فصارت حية.﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْ فِكُوْنَ[١١٧]﴾ أي ما يزورونه من الإفك . وهو الصرف وقلب الشيُ عن وجهه ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول.روي أنها لما تلقفت حبالهم و عصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم. ثم أخذها موسى فصارت عصًا كما كانت فقالت السحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا . وقرء حفص عن عاصم تلقف هٰهنا وفي طٰه والشعراء.

﴿ فَوَقَعَ الحَقُّ﴾ فثبت لظهور أمره.﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١١٨]﴾ من السحر والمعارضة.

﴿ فَغُلِبُوْا هُنَا لِكَ وَانْقَلَبُوْا صٰغِرِيْنَ[١١٩]﴾أي صاروا أذلاء مبهوتين . أورجعوا إلى المدينة أذلاء مقهورين. والضمير لفرعون وقومه.

﴿ وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ سٰجِدِيْنَ [١٢٠]﴾ لله جعلهم ملقين على وجوههم تنبيهًا على أن الحق يهربهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك . أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى و ينقلب الأمر عليه. أو مبالغة في سرعة خرورهم وشدته .

﴿قَالُوْا اٰمَنَّا بِرَبِّ العٰلَمِيْنَ[١٢١]﴾﴿ رَبِّ مُوْسىٰ وَ هٰرُوْنَ [١٢٢]﴾ أبدل الثاني من الأول لئلايتوهم أنهم أرادوابه فرعون .

---

قوله:أي ما يزورونه من الإفك: يعني أن المراد التزوير وهو تزئيين الكذب، ماخوذ من الأفك با لفتح مصدر أفكه يأفكه أفكا، وهوالصرف وقلب الشيء عن وجهه.

قوله:أو مبالغة في سرعة خرورهم وشدته: ففيه استعارة تبعية، شبه خرورهم بالقاء الساجدين في السرعة، ثم ذكر فعل الالقاء.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُم بِهِ﴾ بالله أو بموسى . والإستفهام فيه للإنكار . وقرء حمزة والكسائي و أبوبكر عن عاصم و روح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الأصل وقرء حفص:" ءامنتم به" على الإخبار . وقرء قنبل:" قال فرعون وآمنتم" يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واواً مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير ألفين . وقرء في طه على الخبر بهمزة وألف . وقرأ في الشعراء على الاستفهام بهمزة مدة مطولة في تقدير ألفين وقرء الباقون بتحقيق الهمزة الأولى و تليين الثانية .﴿قَبْلَ أَنْ ءاذن لَكُمْ إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْ تُمُوهُ﴾ أي إن هذا الصنيع لحيلة إحتلتموها أنتم وموسى ﴿فِى الْمَدِيْنَةِ﴾ في مصر قبل أن تخرجوا للميعاد .﴿لِتُخْرِجُوْا مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ يعني القبط و تخلص لكم ولبني إسرائيل .﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ[١٢٣]﴾ عاقبة ما فعلتم . و هو تهديد مجمل تفصيله :

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلٰفٍ﴾من كل شق طرفًا .﴿ثُمَّ لَأُ صَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِيْنَ[١٢٤]﴾ تفضيحًا لكم و تنكيلا لأمثالكم قيل إنه أول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيمًا لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله و رسوله . ولكن على التعاقب لفرط رحمته .

﴿قَالُوْا إِنَّآ إِلىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُوْنَ[١٢٥]﴾ با لموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك . او إنا منقلبون إلى ربنا وثوابه إن فعلت بنا ذلك . كأنهم استطابوه شغفًا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك إلى ربنا فيحكم بيننا .

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ و ما تنكرمنا .﴿إِلَّآ أَنْ ءامَنَّا بِاٰيٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبًا لمرضاتك . ثم فزعوا إلى الله سبحانه وتعالى فقالوا :﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾أفض علينا صبرًا يغمرنا كما يفرغ الماء. أو

---

قوله: من سن ذلك :أي القطع من خلاف ثم الصلب.

قوله:ولكن على التعاقب: وذلك أن حكم قطاع الطريق أنهم إن أخافوا عزروا أونفوا من ذلك الأرض وإن قتلوا اقتص منه وصلب، وإن أخذوا المال قطع يده اليمنىٰ ورجله اليسرىٰ.

قوله:أفض علينا صبرا الخ: أكثر الصبر علينا حتىٰ يفيض علينا ويغمرنا كما يغمر الماء إفراغا،فالاستعارة في أفرغ ،والقرينة صبراً ، لأن الصبر لا يستعمل فيه الإفراغ وهي استعارة تبعية. أو المراد صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على ما توعد به فرعون. لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا أو صبروا كان ذلك مطهرة لهم ،فالاستعارة في الصبر والقرينة أفرغ وهي استعارة بالكناية و أفرغ تخييلية. لأن الإفراغ إنما يستعمل في الماء.

صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون ﴿وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ[١٢٦]﴾ ثابتين على الإسلام و قيل إنه فعل بهم ما أوعدهم به . وقيل إنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى ﴿أنتما ومن اتبعكما الغٰلبون﴾[القصص:٣٥]

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسٰى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِى الْأَرْضِ﴾ بتغيير الناس عليك ودعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ﴾ عطف على ليفسدوا . أو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة: أَلَمْ أَكُ جَارَكُم وَيَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ المَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ

على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه إياك . وقرئ بالرفع على أنه عطف على أتذر أو استئناف أو حال . وقرئ بالسكون كأنه قيل: يفسدوا ويذرك كقوله تعالى ﴿ فاصدق وأكن﴾[المنافقين:١٠] ﴿والِهَتَكَ﴾ ومعبوداتك . قيل كان يعبد الكواكب . وقيل صنع لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرباً إليه ولذلك قال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات:٢٤] وقرئ ألهتك أي عبادتك . ﴿قَالَ﴾ فرعون﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَ هُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَآءَ هُمْ﴾ كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة . ولا يتوهم أن المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده . وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قٰهِرُونَ[١٢٧]﴾ غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا .

﴿قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ اسْتَعِيْنُواْ بِاللّٰهِ وَاصْبِرُوٓاْ﴾ لما سمعوا قول فرعون تضجروا منه تسكيناً لهم . ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله والتثبيت في الأمر . ﴿وَالْعٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنِ[١٢٨]﴾ وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من إهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له . وقرئ "والعاقبةَ" بالنصب عطف على اسم إن واللام في الأرض تحتمل العهد والجنس .

---

قوله:أو استيناف: أي غير معطوف على ما قبله على معنى وهو يذرك أي أتذر موسىٰ وعادته تركك وآلهتك.

قوله: كأنه قيل: يفسدوا في الأرض: يعني لو لم يكن في 'ليفسد وا' اللام لكان يجوز فيه الجزم على أنه جواب الاستفهام بإضمار ' إن' الشرطية فيقدر كأنه ليس فيه اللام وكان ملتبسا بالجزم، لما تقرر عندهم أن معروض الشيء ينزل منزلة الملتبس به كما في" أصدق وأكن".

قوله: تحتمل العهد والجنس: أي يراد أرض مصر،أو يراد جنس الأرض فيتناول أرض مصر، لأنها من جنس الأرض كما قال ضمرة: إنما المرء بأصغر يه، فأراد بالمرء

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي بنو إسرائيل .﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بالرسالة بقتل الأبناء . ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادته .﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تصريحًا بما كنى عنه أولًا لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك . ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم . وقد روي أن مصر إنما فتح لهم في زمن داؤود عليه السلام . ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ[١٢٩]﴾ فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم . ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بالجدوب لقلة الأمطار والمياه . والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل: أسنت القوم إذا قحطوا.﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾بكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ[١٣٠]﴾ لكي يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا . أو ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده .

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ من الخصب والسعة ﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾ لأجلنا ونحن مستحقوها﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾جدب وبلاء .﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾يتشاءموا بهم ويقولوا: ما أصابتنا إلا بشؤمهم . وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة . فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات . وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوًا وانهما كًا في الغّي . وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها . وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات و نكر سيئة .وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها إلا بالتبع .﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمته ومشيئته . أو سبب شؤومهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده . فإنها ألتي ساقت إليهم ما يسوؤهم وقرئ "إنما طيرهم" وهو اسم الجمع وقيل هو جمع .

---

الجنس وغرضه أن يتناوله تناولًا أولياً.

قوله:لكثرة ما يذكر عنه: يعني يكثر الذكر عن عام القحط ويؤرخ به فإذا ذكر السنة يتبادر ويعلم منه سنة القحط.

قوله:وإنما عرف: أي عرف "الحسنة" باللام الجنسية، وذكرها مع "إذا"التي لتحقق الوقوع؛لأن جنس الحسنة كثير الوقوع ويتعلق إرادته تعالىٰ بالذات فيكون بمنزلة تحقق الوقوع بخلاف السيئة؛فإنه يندر وقوعها ويتعلق إرادته به بتبعية الآثام.

قوله:وهو اسم الجمع: أي للطائر كالركب والتجر اسم جمع للتاجر والراكب وعند أبي الحسن الأخفش هو جمع.

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[١٣١]﴾ أ ن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم .

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا﴾ أصلها "ما الشرطية" ضمت إليها "ما المزيدة" للتأكيد . ثم قلبت ألفها "هاء" إستثقا لًا للتكرير . وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الإبتداء، أوا لنصب بفعل يفسره.﴿ تَأْتِنَا بِهِ﴾ أي أيما شيء تحضر نا تأتنا به .﴿ مِنْ آيَةٍ﴾بيان لمهما . وإنما سموها آية على زعم موسى لا لإعتقادهم ولذلك قالوا :﴿ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَ[١٣٢]﴾أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا . والضمير في به وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ﴾ ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل . وقيل: الجدري وقيل: الموتان . وقيل: الطاعون .﴿ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾ قيل هو كبار القردان . وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها .﴿ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ﴾ روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته . ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم . وكانت بيوت بني إسرائيل مشتكبة ببيوتهم و لم يدخل فيها قطرة . وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها . ودام ذلك عليهم أسبوعاً فقالوا لموسى : أدع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤ من بك . فدعا الله فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأوالزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا . فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانياً فدعا وخرج إلى الصحراء. وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي ألتي جاء ت منها فلم يؤمنوا . فسلط الله عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها . ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا : قد تحققنا الآن أنك ساحر . ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه . وكانت تمتلىء منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي . وأ فواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود . ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت ميا ههم دماء حتى كان يجتمع القبطي مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه القبطي دمًا وما يلى الإسرائيلي ماء. ويمصوالماء من فم الإسرائيلي فيصير دمًا في فيه . وقيل

---

قوله:مركبة من "مه" الذي يصوت به الكاف: أي الذي يكف الغير عن العمل، كأنه قيل: كف ماتاتنا به من أية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين.

سلط عليهم الرعاف .﴿ءايٰتٍ﴾نصب على الحال .﴿ مُفَصَّلٰتٍ﴾ مبينات لا تشكل على عاقل أنها آيات ا للّٰهونقمته عليهم.او مفصلات لا متحان أحوالهم إذكان بين كل آيتين منها شهر وكان إمتداد كل واحدة أسبوعًا وقيل إن موسى لبث فيهم ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل .﴿ فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان .﴿ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَ[١٣٣]﴾

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ يعني العذاب المفصل . أو الطاعون الذي أرسله اللّٰه عليهم بعد ذلك .﴿ قَالُواْ يٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ بعهده عندك وهو النبوة . او بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك. وهو صلة "لادع" أو حال من الضمير فيه بمعنى أدع اللّٰه متوسلًاإليه بما عهد عنك ؛ أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التما سهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَآءِيْلَ[١٣٤]﴾ أي أقسمنا بعهد اللّٰه عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن .﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلٰٓى أَجَلٍ هُمْ بٰلِغُوْهُ ﴾إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون . وهو وقت الغرق أوا لموت . وقيل إلى أجل عيونه لإيمانهم .﴿ إِذَاهُمْ يَنْكُثُوْنَ[١٣٥]﴾ جواب "لما" أي فلما كشفنا عنهم فأجاء وا النكث من غير تأمل وتو قف فيه.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فأردنا الإنتقام منهم .﴿ فَأَغْرَقْنٰهُمْ فِى الْيَمِّ﴾ أي البحر الذي لا يدرك قعره . وقيل لجته .﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِأٰ يٰتِنَا وَكَا نُوْ عَنْهَا غٰفِلِيْنَ[١٣٦]﴾ أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها . وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله.﴿فانتقمنا منهم ﴾.

---

قوله:أو مفصلا ت :أي فصل بين بعضها وبعض ليمتحن فيه أحوالهم وينظر مستقيمون علىٰ ماوعد وامن أنفسهم أم ينكثون إلزاما للحجة عليهم .

قوله:بعهده عندك الخ: يعني يحتمل أن يكون كلمة'ما' مصدرية والمعنى "أدع لنا ربك" بحق النبوة التى عهداللّٰه وأوصي بها.و هذا استعطاف منهم. وأن يكون موصولة والمعنى "ادع اللّٰه متوسلابالأمر الذيعهده إليك بأن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك" .والجار والمجرور على الأول صلة لِأدع، وعلى الثالث لمحذوف أي أسعفنا إلىٰ مانطلب منك بحق ما عهد عندك من البنوة ،وأما على الثاني فهو حال من الضمير فيه .

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِيْنَ كَانُوْا يُسْتَضْعَفُوْنَ﴾ بالإستبعاد وذبح الأبناء من مستضعفيهم .﴿ مَشٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغٰرِبَهَا﴾ يعني أرض الشام ملكها بنوإسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها .﴿الَّتِي بٰرَكْنَا فِيْهَا﴾ بالخصب وسعة العيش ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلَىٰ بَنِى إِسْرٰئِيلَ﴾ ومضت عليهم واتصلت بالأنجاز عدته إياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ﴿ونريدأن نمن﴾إلى قوله ﴿ما كانوا يحذرون﴾ وقرىء "كلمات ربك" لتعدد المواعيد ﴿ بِمَا صَبَرُوْا﴾ بسبب صبرهم على الشدائد.﴿ وَدَمَّرْنَا﴾ وخربا .﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من القصور والعمارات. ﴿ وَمَا كَانُوْا يَعْرِشُوْنَ[١٣٧]﴾ من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ إبن عامر وأبوبكر هنا وفي النحل "يعرشون" با لضم وهذا آخر قصة فر عون وقومه .

﴿وَجٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَآئِيْلَ الْبَحْرَ ﴾ وما بعده ذكره ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام . وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم مما رأى منهم . وإيقا ظًا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم . روي أن موسى عليه الصلاة والسلام عبر بهم يوم عا شوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرًا .﴿ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾فمرّوا عليهم .﴿ يَعْكُفُوْنَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها . قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل . والقوم كانو ا من العمالقة الذين أ مر موسى بقتالهم. وقيل من لخم . وقرأ حمزة والكسائي يعكفون

---

قوله:من مستضعفيهم :متعلق بأ ورثنا .

قوله:يعني أرض الشام يعني أرثنا من مستضعفيهم مشارق أرض الشام ومغاربهاملكها بنو إسرائيل وتمكنواوتصرفوافي نواحيها وأطرافها الشرقية والغربية كيف شاء وا.

قوله:لتعدد المواعيد: وهى النصرة والتمكين .

قوله:وما كانوا يعرشون: أي يعرشونه من جنات من الكروم ممسوكات ومرفوعات غير متروكات علىٰ وجه الارض، يقال: عر شت الكرام اذا جعلت له دعائم وسقفا تعطف عليه القضبان.

قوله: بالضم: أي بضم الراء .

قوله:من العمالقة:أي الكنعانيون، قال الجوهرى: العماليق والعمالقة قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وهم أمم تفرقوا في البلاد، واللخم حي من اليمن .

بالكسر .﴿قَالُوْا يٰمُوْسىٰ اجْعَلْ لَّنَآ إِلٰهًا﴾مثالًا نعبده .﴿ كَمَا لَهُمْ اٰلِهَةٌ﴾ يعبدونها . و"ما" كافة للكاف.﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَ[١٣٨]﴾ وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوامن الآيات الكبرىٰ عن العقل

﴿إِنَّ هٰؤُلَآءِ﴾إشارة إلى القوم ﴿ مُتَبَّرٌ﴾ مكسر مدمر.﴿مَّا هُمْ فِيْهِ﴾يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه و يحطم أصنامهم ويجعلها رضا ضًا ﴿وَبٰطِلٌ﴾مضمحل.﴿مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ[١٣٩]﴾من عبادتها وإن قصدوابها التقرب إلى الله تعالى . وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلا ء إسم "إن" والإخبارعما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان . وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرًا لـ"إن" للتنبيه على أن الدمار لا حق لما هم فيه لا محالة . وأن الإحباط الكلي لأزب لما مضى عنهم تنفيرًا وتحذيرًا عما طلبوا .

﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللّٰه أَبْغِيكُمْ إِلٰهًا﴾ أطلب لكم معبوداً.﴿وَهُوْفَضَّلَكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ[١٤٠]﴾والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم . وفيه تنبيه على سوء معا ملتهم حيث قابلوا تخصيص اللّٰهإياهم عن أمثالهم بمالم يستحقوه تفضلًا بأن قصدوا أن يشركوابه أخس شي من مخلوقاته . ﴿ وَ إِذْأَنْجَيْنٰكُمْ مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ﴾واذكروا صنيع الله معكم في هذا الوقت . وقرأ إبن عامر "أنجاكم" . ﴿ يَسُوْمُوْنَكُمْ سُوْٓءَ الْعَذَابِ﴾ إستئناف لبيان ما أنجاهم منه .أو حال من المخاطبين . أو من آل فرعون أومنهما .﴿ يُقَتِّلُوْنَ أَبْنَآءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُوْنَ نِسَآئَكُمْ﴾ بدل منه مبين.﴿ وَفِى ذٰلِكُمْ بَلَآءٌمِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ[١٤١]﴾وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة.

---

قوله:للتنبيه علىٰ أن الدمار لا حق لما هم فيه لامحالة: وذلك أن اسم الاشارة يدل أن علة الدمار ماهم فيه وعبادتهم،و وجوب وجودالمعلول عند وجود العلة، وتقديم الخبر يدل علىٰ انحصارهم فى الدمار والبطلان لا يتجاوزون إلىٰ غير هما من الفوز والنجاة علىٰ ما هو شان قصر القلب، فلا محالة يكون الدمار والبطلان لا حقين لهم، وأما الاخبار عنهما بالدما ر والبطلان علىٰ ذلك فظاهر، لأنه إذا أخبر عنهما بغير هما مثل غير الحق ومثل الابتداع لا يلزم الهلاك والبطلان .

قوله:يسومونكم :أي يطلبون لكم، من سام السلعة إذا طلبها .

قوله:نعمة أو محنة عظيمة :علىٰ التفسيرين لقوله: ذلكم يعني، أن البلاء بمعنى مايبتلى به نعمة علىٰ التفسير الأول، ومحنة علىٰ التفسير الأخير.

﴿ وَوٰ عَـدْنَـامُـوْ سىٰ ثَـلٰثِيْـنَ لَيْـلَةً﴾ذا القعدة .وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا.﴿ وَ أَتْـمَـمْنهَا بَعَشْرٍ﴾ من ذى الحجة ﴿فَتَمَّ مِيْقٰتُ رَبِّه أَرْ بَعِيْنَ لَيْلَةً ﴾بالغًا أربعين روي: أنه عليه الـصـلاة والسـلام وعدبني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من اللّٰه فيه بيـان مـا يأتون وما يذرون .فلما هلك فرعون سأل ربه فأمره اللّٰه بصوم ثلاثين يوماًفلما أتم أنـكـر خـلـوف فيـه أي فـي فـمـه فتسـوك . فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فـأفسـدتـه بـالسـواك .فـأمـره اللّٰه تـعالى أن يزيد عليها عشرًا .وقيل أمره بأن يتخلى ثلثين بـالـصـوم والـعبـادـة ثم أنزل عليه التوراة في العشر و كلمه فيها.﴿وَقَالَ مُوْ سَىٰ لِأَخِيْهِ هٰرُوْنَ اخْلفْنِي فِي قَوْ مِي﴾ كن خليفتي فيهم .﴿ وَأَصْلِحْ﴾ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحاً ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيْلَ الْمُفْسِدِيْنَ[١٤٢]﴾ولا تتبع من سلك سبيل الإفساد ولا تطع من دعاك إليه.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوْ سَىٰ لِمِيْقٰتِنَا ﴾لوقتنا الذى و قتناه . واللام للاختصاص أي اختص مـجيئـه لـميـقاتنا .﴿ وَكَلَّمَه رَبُّه﴾من غير وسط كما يكلم الملائكة .وفيما روي أن موسى عـليـه الـصـلاـة والسـلام كـان يسمع هذا الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه الـقـديـم ليس مـن جنس كلام المحدثين .﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾أرني نفسك بأن تـمكنني من رؤيتك . أو تتـجـلـى لـي فـأنظر إليك وأراك . وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة فـي الـجـملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال وخـصـوصًا ما يقتضي الجهل باللّٰه ولـذلك رده بـقوله تعالى ﴿لن تراني ﴾دون لن أرى أولن أريك أولن تنظرإلىّ . تنبيها عـلـى أنـه قـاصـر عـن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه بعد . وجعل السوال

---

قـولـه:أرنـي نـفسك بـأن تـمكنني من رؤيتك: وإن كانت في حجاب، أو يتجلىٰ لـي عيانًا، وهذا اشارة إلىٰ المراد علىٰ مايقال: إن الرؤية عين النظر وإن الاراء ة يشتمل علىٰ الـرؤية لا يتـحقق بدونها كما أن الاقامة يشتمل علىٰ القيام لايتحقق بدونه، فلامعنى لقوله: أرنـي أراك كمالا معنى لقوله: أقم أقم .ووجه الرد أن ليس المراد حقيقة الإراء ة بل التمكن من الرؤية وإن كانت في الحجاب، أوالتجلى عيانًا بلا حجاب فلا يرد. وقيل: وجه الرد أن فـائـدتـه التـاكـيـد والكشف التام فإنه "لما"أرد فه به إفادة طلب التمكين من الرؤية، أو دفع الحجاب بحيث لا يتخلف عنه النظر البتة.

قـولـه:وخـصـوصـاً ما يقتضى الجهل باللّٰه :أي الجهل بما يجوز عليه وما لايجوز عليه وهي الرؤية.

لتبكيت قومه الذين قالوا ﴿أرنا الله جهرة ﴾خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لو جب أن يجهلهم و يزيح شبهتهم كما فعل حين قالوا ﴿إجعل لنا الهًا ﴾ ولا تتبع سبيلهم كما قال لأخيه ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ والاستدلال بالجواب على استحالتها خطأ إذلا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدًا وأن لا يراه غيره أصلًا فضلًاعن أن يدل على إستحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية .

﴿ قَالَ لَنْ تَرٰنِى وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرٰنِى ﴾ استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه .وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن . والجبل قيل هو جبل زبير .﴿فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ظهر

---

قوله:وجعل السوال لتبكيت قومه: رد على الجاحظ وأتباعه حيث قال: إنما سأل موسٰى الرؤية لأجل قومه حين قالوا:﴿أرنا الله جهرة ﴾وأضاف السوال إلى نفسه ليمنع فيعلم امتناعها بالنسبة إلى القوم بالطريق الأولىٰ.

قوله:إذ لا يدل الأخبار عن عدم رويته إياه: يعني أن الله تعالىٰ أخبر عن عدم رؤيته إياه على سبيل التوكيد على أن 'لن' لتاكيد النفي وذا لا يدل على عدم رؤيته تابيداً، ولو فرض أنه يدل على ذلك على أن 'لن' للتابيد فهو لا يدل على عدم رؤيته أبد الآ باد لجواز أن يكون الأبد بالنسبة إلى الدنيا، ولو فرض أنه يدل على ذلك فهولا يدل على أن غيره عليه الصلاة والسلام لا يراه فضلا على استحالة حتٰى يثبت استحالة رؤيته تعالىٰ كما هو مذهب الاعتزال.

قوله:مكابرة أو جهالة لحقيقة الرؤية: ردعلى المعتزلة فإنهم قالوا: إن المرئي إذا لم يكن مقابلا أو في حكم المقابل يمتنع رؤيته. ووجه الرد أن الرؤية لايشترط فيها المقابلة،فإما إن علموا ذلك فدعوى الضرورة في أنه يدل على استحالة الرؤية مكابرة ،أو لم يعلموا ذلك فهم لم يعلموا معنى الرؤية. ومن قال :إنه رد على الكرامية والمجسمة حيث قالوا: إن لم يكن جسما، ولا في مكان يمتنع وجوده فضلا عن رؤيته تعالىٰ. يدفعه ما ذكر في شرح المقاصد ؛لأن المشبهة والكرامية يقولون برؤيته تعالىٰ في الجهة والمكان لكونه عندهم جسما، تعالى الله عن ذلك.

قوله:ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن :لأن معنى التعليق أن المعلق يقع على تقدير المعلق عليه والمحال لا يقع على شيء من التقادير.

عظمته وتصدى له إقتداره وأمره . وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رآه.﴿ جَعَلَهُ دَكًّا﴾مدكوكًا مفتتًا، والدك والدق أخوان كالشك والشق . وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضاً مستوية ومنه "ناقة دكاء التي لا سنام لها" . وقرىء "دكًا" أي قطعًا جمع دكاء ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾مغشيًا عليه من هول ما رأى .﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ ﴾ تعظيمًا لما رأى. ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾من الجرأة والإقدام على السوال من غير إذن .﴿ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْن[١٤٣]﴾مر تفسيره . وقيل معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ﴾إختر تك.﴿ عَلَى النَّاسِ﴾ أي الموجودين في زمانك . وهارون وإن كان نبيًا كان مأمورًا بإتباعه ولم يكن كليمًا ولا صاحب شرع.﴿بِرِسٰلَتِى﴾يعني أسفار التوراة وقرأابن كثير ونافع برسالتي.﴿ وَ بِكَلٰمِى﴾و بتكلمي إياك.﴿ فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من الرسالة.﴿وَكُنْ مِّنَ الشَّكِرِيْنَ[١٤٤]﴾ على النعمة فيه. روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة . وإعطاء التوراة كان يوم النحر.

﴿ وَ كَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ مما يحتاجون إليه من أمر الدين ﴿مَّوْعِظَةً وَ تَفْصِيْلًا لِكُلِّ شَىْءٍ﴾بدل من الجار والمجرور . أي وكتبناله كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام . واختلف في أن الألواح كانت عشرة أو سبعة . وكانت من زمرد أو زبرجد. أو يا قوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده وشقها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غير ها .﴿ فَخُذْ هَا﴾على إضمار القول عطفًا على كتبنا أو بدل من قوله ﴿فخذ ماآتيتك﴾ والهاء للألواح أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات.﴿ بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة .﴿ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾أي بأحسن ما فيها كا لصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار. والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله تعالى ﴿ واتبعواأحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾.أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره . ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقًا لا بالإضافة وهو المامور به كقولهم:" الصيف أحر من الشتاء"﴿ سَأُوْرِيْكُمْ دَارَ الفٰسِقِيْنَ[١٤٥]﴾دار فرعون وقومه بمصر خاوية على

---

قوله:أو غيرها :أي من غير ما ذكر من الأمور، روي عن الحسن أنها كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة أو غير التوراة فعند مقاتل كتب في الألواح إني انا الله الرحمٰن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فإن حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولاتعقوا الوالدين .

عروشها . أو منازل عاد ثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا. أو دارهم في الآخرة وهي جهنم . وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم . و يؤيده قوله . ﴿و أورثنا القوم الذين كانوا يستضعون﴾[الأعراف:١٣٧]﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايٰتِىَ﴾ المنصوبة في الآفاق والأنفس . ﴿ الَّذِيْنَ يَتَكَبَّرُوْنَ فِى الْأَرْضِ﴾ با لطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها . وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم .﴿ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل . أوحال من فا عله .﴿ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ﴾ منزلة أو معجزة. ﴿ لَّا يُؤْمِنُوْا بِهَا﴾ لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهما كهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيْلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيْلاً﴾ لاستيلاء الشيطنة عليهم . وقرء حمزة والكسائي "الرشد" بفتحتين وقرئ "الرشاد" وثلاثتها لغات: كالسقم والسقم والسقام .

﴿وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيْلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوْهُ سَبِيْلًا ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَكَانُوْا عَنْهَا غٰفِلِيْنَ[١٤٦]﴾ أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات . ويجوز أن ينصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك الصرف بسببهما. ﴿وَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا وَ لِقَآءِ الآخِرَةِ ﴾ أي ولقاء هم الدار الآخرة أو ما وعد الله في الدار الآخرة .﴿حَبِطَتْ أَعْمٰلُهُمْ﴾ لا ينتفعون بها.﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوْ يَعْمَلُوْنَ[١٤٧]﴾إلا جزاء أعمالهم .

﴿ وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر . وإضافتها إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم . وهو جمع حلي كثدي وثدي. وقرأ حمزة والكسائي

---

قوله:بجد وعزيمة: أي مجدين صابرين ثابتين، لأنهإذا أخذها بضعف أداه ذلك إلىٰ الفتور.

قوله:وهو المامور به: يعني أن ماأمر به أبلغ في بابه من الحسن مما نهي عنه في بابه من القبح ،كقولهم: الصيف أحرّ من الشتاء: أي الصيف أبلغ في بابه من الحرمن الشتاء في برده.

قوله:بالطبع: متعلق بقوله: سأصرف .

قوله:فعاد:أي فعل فرعون.

قوله:أي ولقائهم الدارالآخرة :فيكون من إضافةالمصدرالمفعول به ، وعلى الوجه الثانييكون من إضافة المصدرإلىٰ الظرف .

قوله:لإنها كانت في أيديهم :فالإضافة لأدنىٰ ملابسة.

بالكسر للاتباع كدلي ويعقوب على الإفراد .﴿ عِجْلًا جَسَدًا﴾بدنا ذالحم ودم . أو جسدًا من الذهب خاليًا عن الروح ونصبه على البدل .﴿ لَّهُ خُوَارٌ﴾صوت البقر . روي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبرآئيل فصارحيًا . وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت . وإنما نسب الاتخاد إليهم وهو فعله، إما لأنهم رضوابه أو لأن المراد إتخاذهم إياه إلهًا . وقرىء جؤار أي صياح.﴿ أَلَمْ يَرَوْ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيْهِمْ سَبِيْلًا ﴾ تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر . والمعنى "ألم يروا حين إتخذوه إلهًا أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر.﴿إِتَّخَذُوْهُ﴾تكرير للذم أي إتخذوه إلهًا﴿وَكَانُوْا ظٰلِمِيْنَ[١٤٨]﴾واضعين الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعًا منهم.

﴿وَلَـمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ﴾كناية عن إشتدادندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غمًا فتصير يده مسقوطًا فيها . وقرىء سقط على بناء الفعل للفاعل بمعنى وقع العض فيها . وقيل معناه سقط الندم في أنفسهم .﴿ وَرَأَوْا﴾وعلموا.﴿ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوْا﴾بإتخاذالعجل ﴿قَالُوْا لَئِنْ لَّمْ يَرْ حَمْنَا رَبَّنَا﴾بإنزال التوراة.﴿ وَ يَغْفِرْ لَنَا﴾با لتجاوز عن الخطيئة.﴿لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخٰسِرِيْنَ [١٤٩]﴾وقرأ هماحمزة والكسائي بالتاء و"ربنا" على النداء.

﴿ وَلَـمَّا رَجَعَ مُوْسَىٰ إِلىٰ قَوْمِهِ غَضْبٰنَ أَسِفًا ﴾شديد الغضب وقيل حزينًا.﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُوْنِى مِن بَعْدِي﴾فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل . والخطاب للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم

---

قوله:وقرئ جؤار: بالجيم والهمزة من جئَر "جاء ر"إذا صاح.

قوله:فيصير يده مسقوطا فيها: لأن فاه وأسنانه قد سقطت فيها.

قوله:سقط الندم في أنفسهم: تشبيها لما يحصل في القلب، وفي النفس بما يحسد في الليل ويرىٰ بالعين.

قوله:شديد الغضب: قال الجوهري: الأسف أشدالحزن، وأسف عليه أسفاً غضب.

قوله:تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم: حيث عبد تم العجل مكان عبادة اللّٰه، أو حيث لم تكفوا عن عبادة غيره كذا في الكشاف .فالخلافة إما في عبادة اللّٰه،أو في الكف عن عبادة غيره. قال الجوهري: خلف فلان فلاناً إذا كان خليفة .

ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي . أو" من" ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينا فيه . ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أتركتموه غير تا م . كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته . أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم مو تي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين . روي: أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيْهِ﴾ بشعر رأسه ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ توهماً بأنه قصر في كفهم . وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً ليناً ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل . ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ ذكر الأم ليرقه عليه وكانا من أب وأم . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم هنا وفي طه" يا ابن أم" بالكسر وأصله "يا ابن أمي" فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفًا كالمنادى المضافإلى الياء . والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيهاً بخمسة عشر . ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُوْنِى وَ كَادُوْا يَقْتُلُوْنَنِى﴾ إزاحة لتوهم التقصير في حقه . والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي. ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَآءَ﴾ فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله . ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ[١٥٠]﴾ معدودًا في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْلِى﴾ بما صنعت بأخي. ﴿وَلِأَخِى﴾ إن فرط في كفهم ضمه إلى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعاً للشماتة عنه .﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعام علينا . ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّٰحِمِيْنَ[١٥١]﴾ فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ اتَّخَذُواالْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ﴾وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم . ﴿وَذِلَّةٌ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾وهوخروجهم من ديارهم . وقيل الجزية . ﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِيْنَ[١٥٢]﴾ على الله ولا فرية أعظم من فريتهم وهي قولهم: هذا إلٰهكم وإلٰه موسى . ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم .

﴿وَالَّذِيْنَ عَمِلُواْ السَّيِّئٰتِ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من عبد السيئات.﴿وَآمَنُواْ﴾ واشتغلوا بالإيمان وما هو بمقتضاه من الأعمال الصالحة.﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ

---

قوله:أتركتموه غير تام: من عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه: أي أتركتم أمر ربكم الذي هو إيتائي لكم بالتوراة غير تام ولم تنتظرواحتى يتم وأوتي بالتوراة لكم.

﴿بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة. ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ[١٥٣]﴾ وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني إسرائيل .

﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن وقد قري به . ﴿عَنْ مُّوْسَى الْغَضَبُ﴾ باعتذار هارون . أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالأمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت . وقرئ "سكت وأسكت" على أن المسكت هو الله أو أخوه أو الذين تابوا. ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها. ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ وفيما نسخ فيها أي كتب ." فعلة" بمعنى مفعول كالخطبة، وقيل: فيما نسخ منها أي من الألواح المنكسرة.

﴿هُدًى﴾ بيان للحق. ﴿وَّرَحْمَةٌ﴾ إرشادإلى الصلاح والخير . ﴿لِّلَّذِيْنَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ[١٥٤]﴾ دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير .أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم .

﴿وَاخْتَارَ مُوسٰى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه . ﴿سَبْعِيْنَ رَجُلًا لِّمِيْقٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ روي أنه تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل . فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال: ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال: إن لمن قعد أجر من خرج . فقعد كالب و يوشع وذهب مع الباقين . فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدًا . فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة . أو رجفة الجبل فصعقوا منها . ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ تمنى هلاكهم وهلاكه. قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر . أو عنى به أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم إحسانك . ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية . وكان ذلك قاله بعضهم . وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل . والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم . وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم . ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية . أو أو جدت في العجل خواراً فزاغوا به . ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَآءُ﴾ ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع

المخايل. ﴿وَتَهْدِى مَنْ تَشَآءُ﴾ هداه فيقوى بها إيمانه . ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ القائم بأمرنا . ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ بمغفرة ما فارقنا. ﴿وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغٰفِرِيْنَ[١٥٥]﴾ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة .

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِى هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ حسن معيشة وتوفيق طاعة. ﴿وَّفِى الْاٰخِرَةِ﴾ الجنة. ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع. وقرئ بالكسر من هاده يهيده إذا أماله. ويحتمل أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا أنفسنا وأملنا إليك . ويجوز أن يكون المضموم أيضًا مبنيًا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض . ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيْبُ بِهٖ مَنْ أَشَآءُ﴾ تعذيبه . ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره . ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فسأكتبها في الآخرة . أو فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل . ﴿لِلَّذِيْنَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ﴾ خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم . ﴿وَالَّذِيْنَ هُمْ بِاٰيٰتِنَا يُؤْمِنُونَ[١٥٦]﴾ فلا يكفرون بشيء منها.

﴿الَّذِيْنَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ﴾ مبتدأ خبره يأمرهم . أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو الكل . والمراد من آمن منهم بمحمد ﷺ وإنما سماه رسولاً بالإضافة إلى الله تعالى ونبياً بالإضافة إلى العباد. ﴿الْأُمِّىَّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ . وصفه به تنبيهًا على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته . ﴿الَّذِى يَجِدُونَهٗ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرٰاةِ وَالْإِنْجِيْلِ﴾ اسماً وصفة. ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهٰهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰتِ﴾ مما حرم عليهم كالشحوم . ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰٓئِثَ﴾ كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة . ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلٰلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ . وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة . وأصل "الإصر" الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من

---

قوله: أو فسأكتبها كتبة خاصة منكم: أي أكتبها يا بني إسرائيل للذين يتقون ويؤمنون بآياتنا فلا يكفرون بشيء منها لا الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض منكم . وعلى الوجه الأول يكون 'الذين يتقون ويومنون' عام يشمل اليهود و غيرهم من جميع الأمم .

قوله: والمراد من آمن بمحمد ﷺ: أي علىٰ تقدير أن يكون بدل المراد بالذين يتقون من آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام .

الحراك لثقله .وقرأ ابن عامر" آصارهم ". ﴿فَالَّذِيْنَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ وعظموه بالتقوية . وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعذير .﴿وَنَصَرُوهُ﴾ لي.﴿وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي مع نبوته يعني القرآن . وإنما سماه نوراً لأنه باعجازه ظاهر أمره مظهر غيره . أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها . ويجوز أن يكون "معه" متعلقاً بـ" اتبعوا" أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة.﴿أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١٥٧]﴾ الفائزون بالرحمة الأبدية . ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه الصلٰوة والسلام.

﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ﴾ الخطاب عام . كان رسول الله ﷺ مبعوثًا الى كافة الثقلين . وسائر الرسل إلى أقوامهم . ﴿جَمِيْعًا﴾ حال من إليكم . ﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف إليه لأنه كالمتقدم عليه . أو مدح منصوب أو مرفوع . أو مبتدأ خبره .﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهو على الوجوه . الأول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وفي :﴿يُحْيِ

---

قوله:وأصله المنع: فإذا عظموه بالتقوية فقد منعوه عن العد و حتىٰ لايقوى عليه .

قوله:ومنه التعزير: وهوا لضرب دون الحد، لأنه منع عن معاودة القبيح .

قوله: مع نبوته :لأن استبناء ه كان مصحوباً با لقرآن مشفوعاًبه .

قوله:ومضمون الأية جواب دعاء موسىٰ :جواب سوال، وهو أن يقال: كيف نطبق هذا الجواب أعني قوله:عذابي أصيب به، علىٰ قول موسىٰ ودعاء ه بقوله: فا غفرلنا الخ. وتقرير الجواب أن الجواب هو مضمون الآية وهو إن عذابي يصيب بمشيئتي وعلىٰ وفق حكمتي، إن أ شاء أعذب وإن أشاء أغفر، لا أن يكون واقعًا البتة وإن فعل السفهاء،فأغفرلك ولمن تبعك وأن رحمتي في الدنيا وسعت كل شيء فيكون لكم أيضًا فسأثبتها في الأ خرة للذين يتقون فيكون لكم أيضًا.

قوله:بما هو متعلق المضاف إليه: وهو قوله إليكم جميعاً.

قوله:وهو علىٰ الوجوه الأول بيان لما قبله، بخلاف الوجه الأخير وهو أنه مبتداء خبره 'لاإله إلا هو' كما لايخفى.

قوله:فإ ن من ملك العالم كان هو الإ له لا غيره: فيكون قوله: له ملك السموات والأرض، مستلزماً لقوله: لا إله إلاهو ومشتملا عليه فيصلح بياناً له .

وَيُمِيْتُ﴾ مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية . ﴿فَآمِنُواْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِـاللّٰهِ وَكَـلِـمٰتِـهِ﴾ مـا أنـزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه . وقرئ "وكلمته" على إرادة الـجـنـس أو القرآن . أو عيسى تعريضًا لليهود وتنبيهًا على أن من لـم يؤمن به لـم يعتبر إيـمانه . وإنـما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجـراء هـذه الـصفات الداعية إلى الإيمان به والاتبـاع لـه . ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[١٥٨]﴾ جعل رجاء الاهتدا إثر الأمرين تنبيهًا على أن من صدقه ولـم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة .

﴿وَمِـنْ قَـومِ مُوسٰى﴾ يعني من بني إسرائيل .﴿ أُمَّةٌ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يهدون الناس مـحـقيـن أو بكلمة الحق . ﴿وَبِهٖ﴾ بالحق.﴿يَعْدِلُونَ[١٥٩]﴾ بينهم في الحكم والمراد بها الثـابتـون عـلى الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه . أتبع ذكرهم ذكر أضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيهًا على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر . وقيل مؤمنوا أهل الكتاب وقيل: قوم وراء الصين راٰهم رسول اللّٰه ﷺ ليلة المعراج فآمنوا به

﴿وَقَـطَّـعْنٰهُمُ﴾ وصيرناهم قطعًا متميزاً بعضهم عن بعض . ﴿اثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ مفعول ثـان لـقـطـع فـإنـه متـضـمـن مـعـنـى صير . أو حال وتأنيثه للحمل على الأمة أو القطعة . ﴿أَسْبَـاطًا﴾ بدل منه ولذلك جمع. أو تمييز له على أن كل واحد من اثنتي عشرة أسباط فكأنه قيل: اثنتي عشرة قبيلة . وقرئ بكسر الشين وإسكانها.﴿أُمَمًا﴾ على الأول بدل بعد بـدل أو نعت أسباط وعلى الثاني بدل من أسباط﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلٰى مُوْسٰى إِذِ اسْتَسْقٰهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه .

---

قوله:مز يد تقرير لا ختصاصة بالأ لوهية :لإن غير الإ له لا يقدر علىٰ الإ حياء والإماتة.

قـولـه:وإنـمـا عدل عن التكلم الىٰ الغيبة: أي لـم يقل أمنوا باللّٰه ربي مع أن مقتضى الظاهر ذلك.

قـولـه:أو تـمـييـز لـه علىٰ أن الخ :يعني أو"أسباطاً"تميز 'لإثنتىٰ عشرة' علىٰ أن كل واحـد مـن إثـنتى عشرة قبيلة، والقبيلة أسباط لا سبط فكأنه قيل: اثنتي عشرة قبيلة، فوضع أسبـاط مـوضـع قبيـلـة، والأ سبـاط أولاد الولد جمع سبط ،وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من إثني عشـر ولـدامن ولد يعقوب عليه الصلاةوالسلام كذا في الكشاف .قال ابن مالك: ولا بأس بـرأيـه لـو سـاعـده استعـمـال لـكـن قوله: كل قبيلة أسباط لا سبط مخالف لما يقوله أهل الـلـغة:إن السبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب ، فعلى هذا معنى ' قطعنا هم اثنتي عشرة أسباطا' قطعناهم اثنتي عشرة قبائل' وأسباطا واقع موقع قبائل .

﴿أَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ﴾ أي فضرب فانبجست وحذفه للإيماء على أن موسى ﷺ لم يتوقف في الامتثال . وأن ضربه لم يكن مؤثرًا يتوقف عليه الفعل في ذاته ﴿ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل سبط . ﴿ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ ليقيهم حر الشمس . ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوىٰ كُلُواْ﴾ أي وقلنا لهم كلوا. ﴿مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوٓاْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[١٦٠]﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة

﴿وَإِذْ قِيْلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ باضمار" اذكروا"ا لقرية بيت المقدس . ﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَّادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً﴾ مثل ما في سورة البقرة معنى غير أن قوله "فكلوا" فيها بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها. ولم يتعرض له هٰهنا اكتفاء بذكره ثمة . أو بدلالة الحال عليه وأما تقديم قوله "قولوا" على "وادخلوا" فلا أثر له في المعنى لأنه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما . ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيْٓئٰتِكُمْ سَنَزِيْدُ الْمُحْسِنِيْنَ[١٦١]﴾وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة . وإنما أخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس في مقابلة ما أمروا به . وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول . و"خطيئاتكم" بالجمع والرفع غير ابن عامر فإنه وحّد وقرأ ابو عمرو "خطاياكم".

﴿فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَولًا غَيْرَ الَّذِى قِيْلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ[١٦٢]﴾ مضى تفسيره فيها .

﴿وَسْئَلْهُمْ﴾ للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم . والإعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم إلا بتعليم أووحى ليكون ذلك معجزة عليهم . ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ عن خبرها وما وقع بأهلها. ﴿الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه وهي أيلة قرية بين مدين

---

قوله:أي فضرب فا نبجست :أي انفجرت، أراد أن الفاء فصيحة والمعطوف عليه محذوف .

قوله:لم يكن مؤثرا: يتو قف عليه الفعل فلاحاجةإلىٰ ذكره .

قوله:مثل مافى سورةالبقرةمعنى غيرأن :يعني أن هذا بمجرد اختلاف عبارة لايوجب التناقض والمعنى واحد فلا بأس به.

قوله:فإنه وحد :أي قرأ خطيئتكم .

قوله:وهى أيلة الخ: والعرب تسمى المدينة قرية.

لطور على شاطئ البحر . وقيل مدين . وقيل طبرية . ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ﴾ يتجاوزون حدودالله بالصيد يوم السبت . و"إذ" ظرف لـ" كانت" أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه بدل اشتمال . ﴿إِذْ تَأْتِيْهِمْ حِيْتَانُهُمْ﴾ ظرف ليعدون او بدل بعد بدل . وقرئ "يَعَدُّ ون" وأصله يعتدون و"يُعِدّونَ" من الإعداد أي يعدون آلات الصيد يوم السبت . وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغيرا العبادة .﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة . وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم بأحكام فيه . ويؤيد الأول إن قرئ يوم إسباتهم . وقوله: ﴿وَّيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيْهِمْ﴾ وقرئ "لا يُسْبِتُون" من أسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت . و"شرعاً" حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا إذا دنا وأشرف.﴿كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ[١٦٣]﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم . وقيل: كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم يوم السبت . والباء متعلق بيعدون.

﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ عطف على إذ يعدون.﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ جماعة من أهل القرية يعني صلحاء هم وهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم . ﴿ لِمَ تَعِظُوْنَ قَوْمًا اللّٰهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ مخترمهم . ﴿أَوْ مُعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا﴾ في الآخرة لتماديهم في العصيان . قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينفع فيهم . أو سؤالًا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم . وقيل: المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وغاظهم رداً عليهم وتهكماً بهم . ﴿قَالُوْا مَعْذِرَةً إِلٰى رَبِّكُمْ﴾ جواب للسوأل أي

---

قوله:أو للمضاف المحذوف :أي خبر القرية، قيل: إن جعل الخبر بمعنى الإخبار لم يصح الظرفية، لأن الإخبار المسئول عنه يتأخرعن السوال والعد و في السبت يتقدم عليه،وإن جعل بمعنىٰ المخبربه فكذلك ، لأنه نفس مضمون .

قوله:ليعدون الخ: ويمكن أن يكون الخبر بمعنىٰ المخبر وأن المراد بقوله: إذ يعدون الخ، الفعل والمعنٰى واسألهم عن القصة والحالة الحاصلة وقت فعلهم هذا .

قوله:أوسؤالًا عن علة الوعظ: أي لِمَ تعظون وبأي سبب تعظونهم حتىٰ ينفعهم الوعظ .

قوله:رداً عليهم وتهكماً بهم :يعني قالوا للواعظين على سبيل الا ستهزاء: لم تعظون قوماً تزعمون أن الله مهلكهم أو معذ بهم .

موعظتنا انهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر . وقرأ حفص "معذرةً" بالنصب على المصدر أو العلة أي اعتذرنا معذرة أو وعظناهم معذرة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[١٦٤]﴾ إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك .

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ تركوا ترك الناسي. ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ ما ذكرهم به صلحاؤهم . ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوٓءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالاعتداء ومخالفة أمر الله . ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسًا إذا اشتد . وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم . وابن عامر" بئس" بكسر الباء وسكون الهمزة على أنه بئس كحذر . كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد . وقرأ نافع " بيس" على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب أوعلى أنه فعل الذم وصف به فجعل اسماً، وقرىء "بيس" كريس على قلب الهمزة ياءً ثم إدغامها وبيس بالتخفيف كهين وبائس كفاعل . ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ[١٦٥]﴾ بسبب فسقهم .

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى .﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾[الذاريات :٤٤] ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ[١٦٦]﴾ كقوله.﴿إِنَّمَا قَولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[النحل:٤٠] والظاهر يقتضي أن الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم . ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريراً وتفصيلاً للأولى. روي أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكبتهم . فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق . فأصبحوا يومًا ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا: إن لهم شأنًا فدخلوا عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباء هم ولكن القردة تعرفهم . فجلعت تأتي أنسباء هم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث . وعن مجاهد: مسخت قلوبهم لا أبدانهم .

---

قوله:و وعظنا هم معذرة أو لأجل المعذرة: فيكون مفعولا له وعلىٰ الأول مفعول مطلق .

قوله:إذ اليأ س لا يحصل إلا بالهلاك يعني نعظهم لأجل المعذرة إلى الله،أوأطعمنا في أن يتقوا،إذ اليأ س لا يحصل إلا بالهلاك.

قوله: كقوله وعتوا عن ربهم: أي تكبر واعن إتيان الماموروتركه .

قوله:أنسبائهم :جمع نسيب بمعنى قريب .

قوله:ثم ماتوا بعد ذلك بثلث :هذا ماعليه الجمهور وقيل: بقيت وتناسلت .

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي أعلم تفعل من الإيذان بمعناه كالتوعد والإيعاد . أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله فأجري مجرى فعل القسم "كعلم الله وشهد الله" ولذلك أجيب بجوابه وهو: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ والمعنى وإذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿مَنْ يَّسُومُهُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ﴾ كالإذلال وضرب الجزية . بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام "بخت نصر" فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساء هم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم . وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً ﷺ ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر . ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيْعُ الْعِقَابِ﴾ عاقبهم في الدنيا.﴿وَإِنَّهُ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ[١٦٧]﴾ لمن تاب وآمن.

﴿وَقَطَّعْنٰهُمْ فِى الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ وفرقناهم فيها حيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لإدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وأمماً مفعول ثان أو حال ﴿منهم الصٰلحون﴾صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظرائهم ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ﴾ تقديره ومنهم أناس دون ذلك أي منحطون عن الصلاح . وهم كفرتهم وفسقتهم . ﴿وَبَلَوْنٰهُمْ بِالْحَسَنٰتِ وَالسَّيِّئٰتِ﴾ بالنعم والنقم .﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[١٦٨]﴾ يتنبهون فيرجعون عما كانوا عليه .

﴿فَخَلفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المذكورين.﴿خَلْفٌ﴾ بدل "سوء" مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع . وقيل جمع وهو شائع في الشر، والخلف بالفتح في الخير. والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ﴿وَرِثُواْ الْكِتٰبَ﴾ التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها . ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنٰى﴾ حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا . وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشیٰ في الحكومة وعلى تحريف الكلم . والجملة حال من الواو . ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه . وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند إلى الجار والمجرور . أو مصدر يأخذون .﴿وَإِنْ يَّأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ حال من الضمير في "لنا" أي: يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه . ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيْثٰقُ الْكِتٰبِ﴾ أي

---

قوله:لأن العازم :تعليل لكون المراد عزم، أي إنما عبر عن العزم بالإذن؛ لأن العازم يشاور نفسه في الفعل والترك ويؤذنها ثم يجزم علىٰ الفعل .

قوله:قطر: القطر الناحية والجانب .

في الكتاب . ﴿أَنْ لَّا يَقُولُواْ عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الْحَقِّ﴾ عطف بيان للميثاق . أومتعلق به أي بأن يقولوا، والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على اللّٰه وخروج عن ميثاق الكتاب . ﴿ وَدَرَسُواْ مَا فِيْهِ﴾ عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير . أو على ورثوا وهو اعتراض . ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يَتَّقُونَ﴾ مما يأخذ هؤلاء . ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ[١٦٩]﴾ فيعملوا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى الدنئ المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد. وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين .

﴿وَالَّذِيْنَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلٰوةَ﴾ عطف على الذين يتقون وقوله . ﴿أفلا تعقلون﴾ اعتراض أو مبتدأ خبره .﴿إِنَّا لَا نُضِيْعُ أَجْرَالْمُصْلِحِيْنَ[١٧٠]﴾ على تقدير منهم . أو وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهًا على أن الإصلاح كالمانع من التضييع . وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وإفراد الإقامة لإنافتها على سائر أنواع التمسكات.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوقَهُمْ﴾ أي قلعناه ورفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب . ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ سقيفة وهي كل ما أظلك . ﴿وَظَنُّوآْ﴾ وتيقنوا. ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا يوعدون به . وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع اللّٰه الطور فوقهم . وقيل لهم: إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم ﴿خُذُواْ﴾ إضمار القول أي وقلنا خذوا أو قائلين: خذوا. ﴿مَآ اٰتَيْنٰكُمْ﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو . ﴿وَّاذْكُرُواْ مَا فِيْهِ﴾ بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[١٧١]﴾ قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق

---

قوله: عطف علىٰ ' ألم يؤخذ ' من حيث المعنىٰ فإنه تقرير: يعني أن الهمزة فيه للتقرير، والمعنى: قد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا مافيه.

قوله: على التلوين: أي على الالتفات وإفراد الاقامة: أي أفرد إقامةالصلوة مع أن التمسك بالكتاب يشمل علىٰ كل عبادة منها إقامة الصلوة .

قوله: وإنما أطلق الظن: يعنى أنهم تيقنوا وأطلق الظن لأن متعلق الظن ' وهو وقوع الجبل بهم ' لم يقع، فلم يكن التيقن في الحقيقة وإنما هو في ظنهم، والدليل من المشهورات لامن اليقينيات .

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض . وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم . ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: ألست بربكم ، قالوا: بلى، فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله: ﴿قَالُوا:بَلَى شَهِدْنَاأَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي كراهة أن تقولوا﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ[١٧٢]﴾ لم تنبه عليه بدليل .

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾عطف على أن تقولوا . وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لأن أول الكلام على الغيبة . ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذراً.﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ[١٧٣]﴾ يعني آباء هم المبطلين بتأسيس الشرك . وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه . وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح . والمقصود من إيراد هذا الكلام ها هنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم. والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال:﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[١٧٤]﴾ أي عن التقليد واتباع الباطل .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي على اليهود . ﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ هو أحد علماء بني إسرائيل . أو أمية بن أبي الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولًا في ذلك الزمان،ورجا أن يكون هونفسه فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفره به ،أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله.﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ من الآيات بأن

---

قوله:علىٰ طريقة التمثيل: أي الاستعارة التمثيلية ، شبه نصب دلائل الربوبية وتمكينهم من العلم بها والتركيب في عقولهم ما يد عوهم إلىٰ الاقرار بها وتمكنهم فيه بإشهادهم علىٰ أنفسهم بأنه تعالىٰ ربهم ،ثم شهادتهم بأنه ربنا .

قوله:لأن التقليد: علة لكون الإشهاد لأجل كراهة أن تقولوا.

كفر بها وأعرض عنها. ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ﴾ حتى لحقه وأدركه فريناًله وقيل: استتبعه. ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ[١٧٥]﴾ فصار من الضالين. روي أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال: كيف أدعو على من معه الملائكة. فألحوا حتى دعا عليهم فبقوا في التيه.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل الأبرار من العلماء. ﴿بِهَا﴾ بسبب تلك الآيات وملازمتها. ﴿وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا أو إلى السفالة. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في ايثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات. وإنما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد. تنبيهًا على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقى هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث أن المشيئة تعلقت به كذلك. وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخلد إلى الأرض واتبع هواه. مبالغة وتنبيهاً على ماحمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة. ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فصفته التي هي مثل في الخسة. ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ كصفته في أخس أحواله وهو

---

قوله: حتىٰ لحقه: يعني إن اتبع إما بمعنىٰ تبع أومن اتبعه الشيء فتبعه، قال الجوهرى: اتبعت غيري يقال: اتبعه الشيء فتبعه.

قوله: روي أن قومه: قصته أنه لما بلغ الخبر إلىٰ القوم الجبارين أن موسىٰ قد أقبل يريدهم قالوا: يا بلعم! وكان عنده آية الله الاسم الأعظم، أدع لنا علىٰ موسىٰ وعلىٰ من معه حتىٰ يهلك هو ومن معه، فقال بلعم: ديني ودينه واحد وهذا الشيء لايكون، فقال ملك الجبارين: لأ صلبنك أولتدعون فدعا علىٰ موسىٰ عليه السلام أن لايدخل مدينتهم فا ستجيب له فبلغ ذلك موسىٰ عليه السلام فدعا الله تعالىٰ علىٰ أن ينزع ذلك الاسم منه فنزع منه الاسم الأعظم.

قوله: مال إلىٰ الدنيا: قال الجوهري: أخلدت إلىٰ فلان أي ركنت إليه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ولكنه أخلد إلىٰ الأرض﴾ فلا حاجة إلى ما قيل: إنه ماخوذ من الخلد بمعنىٰ القلب، لأنه محل الميل.

قوله: و إنما علق رفعه: بفعل المشية، يعنى أن الظاهر أن يعلق بفعله الذى يستحق به الرفع ويقول: ولو لزمها لرفعناه بها ثم يستدرك عنه بفعله إلا أنه عدل عنه وعلق رفعه بفعل المشية للتنبيه علىٰ أن مشية الله لرفعه سبب لفعله الموجب لرفعه، فكأ نه ذكر وعلق به، ولم يقل: ولكنه أعرض عنها، مع أن الظاهر ذلك للمبالغة والتنبيه علىٰ أنه بسبب الميلان إلىٰ الدنياأعرض عنها.

﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ أي يلهث دائمًا سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له . بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده . واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى . لا هثًا في الحالتين . والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان . وقيل لما دعا على موسى ﷺ خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[١٧٦]﴾ تفكراً يؤدي بهم الى الاتعاظ.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم . وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم . ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها . ﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ[١٧٧]﴾ إما أن يكون داخلاً في الصلة معطوفًا على كذبوا بمعنى: الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم . أو منقطعًا عنها بمعنى : وما ظلموا بالتكذيب الا أنفسهم فان وباله لا يتخطاها . ولذلك قدم المفعول .

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ[١٧٨]﴾ تصريح بأن الهدى والضلال من الله . وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض . وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ . والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لا تحاد طريقتهم بخلاف الضالين . والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء . وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا.﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في

---

قوله:لضعف فؤاده: أي لا يستقر قلبه من التحريك .

قوله:والتمثيل واقع موقع لازم التركيب: يعني أننفي رفع المنزلة لازم لقوله: ﴿فمثله كمثل الكلب﴾ فأ وقع موقع لازمه للمبالغة وإظهار المراد لإ برازه في صورة المحسوس .

قوله:والإفراد في الأول: مبتدأ وخبره تنبيه .

قوله:يعني المصرين على الكفر: أي مقيمين على الكفر دائمين عليه، من أصررت على الشيء: أي أقمت ودمت .

دلائله . ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار . ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر . ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر . أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها . ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فانها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار . وتجتهد في جلبها ودفعها غاية جهدها . وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار . ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ[١٧٩]﴾ الكاملون في الغفلة .

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ﴾ لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني . والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات . ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فسموه بتلك الأسماء . ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَآئِهِ﴾ واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه . إذ ربما يوهم معنى فاسداً كقولهم :"يا أبا المكارم "يا أبيض الوجه أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه كقولهم :ما نعرف إلا رحمان اليمامة . أو وذروهم وإلحادهم فيها باطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله . والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال:﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١٨٠]﴾ وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال: لحد وألحد إذا مال عن القصد.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ[١٨١]﴾ ذكر ذلك بعد ما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضًا للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر . واستدل به على صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه

---

قوله:فيقدم علىٰ النار: فيختارون أشد المضار .

قوله:لأ نها دالة علىٰ معان هى أحسن المعاني: وهي التمجيد والتقديس والقدم والبقاء والسمع والبصر والمغفرة والانفصال إلى غيرذلك.

قوله:وقيل الصفات: أى المراد بها الصفات الحسنىٰ.

قوله:فسموه بتلك الأسماء :أو فصفوه بالأوصاف الحسنىٰ.

قوله: كقولهم يا أبا المكارم :يوهم الأبوة والولادة. ويا أبيض الوجه: يوهم الجسم،لأن العرض البياض لا يقوم إلا بالجسم .

قوله: كقولهم ما نعرف إلا رحمان اليمامة :حيث حصروا الرحمٰن علىٰ رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب، فلا يسمى الله الرحمٰن.

الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام " لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتى أمر الله . إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم .

﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾سنستدنيهم إلى الهلاك قليلاً قليلاً . وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة . ﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ [١٨٢]﴾ ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم . فيزدادوا بطرًا وانهماكاً في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم عطف على سنستدرجهم.﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِيْنٌ[١٨٣]﴾ إن أخذي شديد . وإنما سماه كيدًا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان .

﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَابِصَاحِبِهِمْ﴾ يعني محمداً ﷺ .﴿مِّنَ جِنَّةٍ﴾ من جنون . روي : أنه ﷺ صعد على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم :إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح . فنزلت.﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ[١٨٤]﴾ موضح انذاره يصوت بحيث لا يخفى على ناظر.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُواْ﴾نظر استدلال .﴿فِى مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيءٍ﴾ مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها . ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها . ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه .﴿وَأَنْ عَسٰى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة . واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى: أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل

---

قوله:إذ لو اختص :يعني لولم يكن في كل قرن طائفة بهذه الصفة يكون في قرن ما طائفة فهو إماقر ن النبي أو غير قرنه فلا يكون لذكر قوله:﴿ وممن خلقنا﴾ فا ئدة ، فإن من المعلوم أن فيقرن النبي عليه السلام طائفة بهذه الصفة وكذا في قرن ما طائفة بهذ ه الصفة بخلاف كونها بهذه الصفة في جميع الأقران.

قوله:فيزداد بطراً:أي تكبرًاظانين، إذ متوا ترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذ لان منه وتبعيد.

قوله:وأن مصدرية: يرد عليه أن "أن"المصدرية لا يدخل على الأفعال غير المتصرفة، لأنها مع الفعل بعدها بتأ ويل المصدر، ولا مصدرلغيرا لمتصرف كذا في الرضي .

معافصة الموت ونزول العذاب . ﴿فَبِأَيِّ حَدِيْثٍ بَعْدَهُ﴾ أي بعد القرآن .﴿يُؤْمِنُونَ[١٨٥]﴾ إذا لم يؤمنوا به . وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والارشاد إلى النظر . وقيل هو متعلق بقوله: عسى أن يكون . كأنه قيل: لعل أجلهم قد أقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن . وما ذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله:

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَا هَادِىَ لَهُ﴾ كالتقرير والتعليل له ﴿وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ﴾ بالرفع على الاستئناف . وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله:﴿ من يضلل اللّٰه﴾ وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفًا على محل "فلا هادي له" كأنه قيل: لا يهده أحد غيره ويذرهم ﴿يَعْمَهُونَ[١٨٦]﴾ حال من هم .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ أي عن القيامة . وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها . أو لأنها على طولها عند اللّٰه كساعة.﴿أَيَّانَ مُرْسٰهَا﴾ متى إرساؤ ها أي إثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره . ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة . واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت. وهو من أويت إليه لأن البعض آوٍ إلى الكل . ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى﴾ استأثر به لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً . ﴿لَا يُجَلِّيْهَا لِوَقْتِهَآ﴾لا يظهر أمرها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها ، واللام للتوقيت كاللام في قوله .﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾[بني اسرائيل:٧٨] ﴿ثَقُلَتْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها. وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها ﴿ لَا تَأْتِيْكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ إلا فجأة على غفلة . كما قال عليه الصلاة والسلام : " إن الساعة تهيج

---

قوله:كأنه إخبار عنهم: يعني أن قوله ﴿فبأي حديث بعده يومنون﴾ إخبار عنهم بعد الزام الحجة بأ نهم مطبوعون علىٰ الكفر مصمم عليه.

قوله:لأن البعض آوٍ إلىٰ الكل: أي راجع إليه ،إشارة إلى المناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المتعارف ، وذلك أن 'أيان' سوال عن الوقت المعين، والوقت المعين بعض من مطلق الوقت، والبعض راجع إلى الكل ومنتسب إليه .

قوله:وكأ نه إشارة إلى الحكمة في إخفائها: يعني أن الحكمة في إخفائها الهول لأن الهائل إذا علم وقته يكون أشد بقر به وقتاً وقتاً.

بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ما شيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخف ميزانه ويرفعه"﴿يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ عالم بها. فعيل من حفى عن الشيء إذا سأل عنه . فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ، ولذلك عدى بـ" عن". وقيل: هي صلة يسألونك . وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشًا قالوا له : ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة . والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها . وقيل معناه كأنك حفيّ من حفي بالشيء، إذافرح ومعناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه .﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ﴾ كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[١٨٧]﴾أن علمها عند الله لم يؤته أحدًا من خلقه

﴿قُلْ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَّلَا ضَرًّا﴾ جلب نفع ولا دفع ضر . وهو إظهار العبودية والتبرى من إدعاء العلم بالغيوب . ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ﴾ من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له . ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوْٓءُ﴾ ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء . ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيْرٌ وَّبَشِيْرٌ﴾ ما أنا إلا عبد مرسل للانذار والبشارة .﴿لِقَومٍ يُّؤْمِنُونَ[١٨٨]﴾ فانهم المنتفعون بهما . ويجوز أن يكون متعلقًا بالبشير ومتعلق النذير محذوف.

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَّاحِدَةٍ﴾ هو آدم . ﴿وَّجَعَلَ مِنْهَا﴾ من جسدها من ضلع من أضلاعها . أو من جنسها كقوله .﴿جَعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾[ النحل: ٧٢] ﴿زَوجَهَا﴾ حواه ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمينان الشيء

---

قوله:فإ ن من بالغ :يعني كأنه عليه السلام بالغ في السوال والبحث عنها فا ستحكم عليه فيها

قوله:هى صلة يسألو نك: وكذا على المعنىٰ الثالث، أي يسألونك عنها كأنك حفي، أي عالم بها أو مشفق بهم .

قوله:كأنك حفي بالسوال عنها تحبه: أي لست بحفي بسبب السوال أولا تحب السوال بل تنكر ه ، لأ نه من الغيب الذى استا ثر الله بعلمه .

قوله:لخالفت حالي ما هي عليه: أي من أجل استكثار المنافع واجتناب المضار ولم أكن غالبًا مرة ومغلوبًا أخرىٰ .

قوله:ومتعلق النذير محذوف: أي الكافرين والمؤمنين .

إلى جزئه أو جنسه . وإنما ذكر الضمير ذهابًا إلى المعنى ليناسب . ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ أي جامعها .﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبًا من الأذى . أو محمولًا خفيفًا وهو النطفة . ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فاستمرت به أي قامت وقعدت . وقرئ فمرت بالتخفيف واسمترت به وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب . أو من المرية أي فظنت الحمل وارتابت به ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَتْ﴾ صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها . وقرئ على البناء للمفعول أي أثقلها حملها.﴿دَّعَوَا اللّٰهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ ولداً سويًا قد صلح بدنه .﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰكِرِيْنَ[١٨٩]﴾ لك على هذه النعمة المجددة .

﴿فَلَمَّآ آتٰهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ أي جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . ويدل عليه قوله . ﴿فَتَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ[١٩٠]﴾

﴿أَيُشْرِكُونَ مَالَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَّهُمْ يُخْلَقُونَ[١٩١]﴾ يعني الأصنام . وقيل: لما حملت حواء أتاها ابليس في صورة رجل فقال لها: ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب وما يدريك من أين يخرج . فخافت من ذلك وذكرته لآدم فيما فهمًا منه ثم عاد إليها وقال: إني من اللّٰه بمنزلة فان دعوت اللّٰه أن يجعله خلقًا مثلك ويسهل عليك خروجه فتسميه عبد الحرث . وكان اسمه حارثًا بين الملائكة فتقبلت. فلما ولدت سمياه عبد الحرث. وأمثال ذلك لا تليق بالأنبياء ويحتمل أن يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش . فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية فطلبا من اللّٰه الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم : عبد مناف . وعبد شمس . وعبد قصي . وعبد الدار . ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما . وقرأ نافع وأبو بكر شركاً أي شركة بان أشركا فيه غيره أو ذوي شرك وهم الشركاء . وهم ضمير الأصنام جيء به على تسميتهم إياها آلهة .

---

قوله:وإنما ذكر الضمير: يعني ذكر الضمير في 'يسكن' بعد ما أنث فى قوله :منها زوجها' لكونه راجعًا إلى النفس ذهاباًإلى المعنى ، لأن المراد آدم لينا سب قوله :﴿فلما تغشّٰها﴾

قوله:فمارت من الموورالخ :فهوإ ما مؤنث ما ر يمور موراً، أو مونث مارٰى يمارٰى،أصله: ماريت، فا نقلب الياء ألفا فحذفت لالتقاء الساكنين .

﴿وَلَا يَسْتَطِيْعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي لعبدتهم ﴿وَّلَآ أَنْفُسَهُمْ يَنْصَرُونَ[١٩٢]﴾فيدفعون عنها ما يعتريها.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي المشركين ﴿إِلَى الْهُدىٰ﴾ إلى الإسلام ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء ، وقيل: الخطاب لمشركين و"هم" ضمير الأصنام أي: إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله .﴿سَوآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صٰمِتُونَ[١٩٣]﴾ وإنما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث إنه مسوى بالثبات على الصمات . أو لأنهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل: سواء عليكم إحداثكم دعاء هم واستمراركم على الصمات عن دعائهم .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة .﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ من حيث إنها مملوكة مسخرة . ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيْبُواْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ[١٩٤]﴾ أنهم آلهة . ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي قال لهم : إن قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض، ثم عاد عليه بالنقض فقال:

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَّمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَّبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُّبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَّسْمَعُونَ بِهَا﴾ وقرئ إن الذين بتخفيف " إن" ونصب عباد على أنها نافية عملت عمل "ما" الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هٰهنا وفي القصص

---

قوله:فيد فعون عنها: أي عن أنفس الأ صنام بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم .

قوله:وإنما لم يقل أم صمتم :يعني أن ا لقياس أن يقال: أصممتم لاشتراط أن يلي أحد المستويين من الاسم والفعل بـ"أم" والأخر بالهمزة، ولم يقل ذلك للمبالغة في عدم إفادة الدعاء حيث جعل مساويا بالثبات على الصمات، فكماأنه لا ينفع أصلالا ينفع الدعاء أولأنهم إذا خر بهم دعوا الله دون أصنامهم كقوله :﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم﴾ فكأن حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إن دعوتهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاء وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم.

قوله:أحياء عقلاء أمثالكم: يعني أنها مملوكة مسخرة مثلكم .

قوله:ولم يثبت مثله :أي عمل "إن" النافية عمل 'ما' الحجازية .

والـدخـان ﴿قُـلِ ادْعُـواْ شُرَكَآءَ كُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ ثُمَّ كِيْدُونِ﴾ فبالغوا فيما تـقـدرون عـليـه مـن مكر، وهي أنتم وشركاؤكم ﴿فَلَا تُنْظِرُونَ[١٩٥]﴾ فلا تمهلونفان لا أبالي بكم لوثوقي على ولاية الله تعالى وحفظه .

﴿إِنَّ وَلِيِّـىَ اللّٰهُ الَّـذِى نَـزَّلَ الْـكِتٰبَ﴾ القرآن.﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ[١٩٦]﴾ أي ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده فضلاً عن أنبيائه.

﴿وَالَّـذِيْـنَ تَـدْعُـونَ مِـنْ دُونِهٖ لَا يَسْتَطِيْعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ[١٩٧]﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم .

﴿وَإِنْ تَـدْعُـوهُـمْ إِلَـى الْهُـدىٰ لَا يَسْـمَـعُـوا وَتَرٰهُـمْ يَـنْـظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُـمْ لَا يُبْصِرُونَ[١٩٨]﴾ يشبهون الناظرين اليك لأنهم صوروا بصورة من ينظرإلى من يواجهه.

﴿خُـذِ الْـعَـفْـوَ﴾ أي خـذ مـا عـفـا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عـليهـم . مـن العفو الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل من صـدقاتهم . وذلك قبـل وجـوب الزكاة . ﴿وَأْمُـرْ بِـالْـعُـرْفِ﴾ المعروف المستحسن من الأفـعـال . ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجٰهِلِيْنَ[١٩٩]﴾ فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم . وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول باستجماعها.

﴿وَإِمَّـا يَـنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰنِ نَزْغٌ﴾ ينخسنك منه نخس أي وسوسة تحملك على خـلاف مـا أمـرت بـه كـاعتراء غضب وفكر . والنزع والنسغ، والنخس الغرز شبه وسوسته لـلناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجاً بغرز السائق ما يسوقه﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهٗ سَمِيْعٌ﴾ يسـمـع استـعـاذتك .﴿عَـلِيْـمٌ[٢٠٠]﴾ يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه . أو سميع بأقوال من اٰذاك عليهم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيًا إياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان.

﴿إِنَّ الَّـذِيْنَ اتَّقَوْاإِذَا مَسَّهُمْ طٰٓئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ﴾ لمة منه . وهو اسم فاعل من طاف يـطـوف كـأنهـا طـافـت بهـم ودارت حـولهـم فـلم تقدر أن تؤثر فيهم .أو من طـاف بـه

---

قـولـه:يشبهون الناظرين الخ: قال: هذا إن حملنا هذه الصفات على الأ صنام، وإن حـمـلنا على المشركين فالمعنى أنهم وإن كانوا ينظرون إليك إلاأنهم لشدة إعراضهم عن الحق لم ينتفعوا بذلك النظر والرؤية فصاروا كأ نهم أعمىٰ.

قـولـه:وذلك قيل وجوب الزكوٰة: وأما بعد وجوب الزكوٰة أمر أن ياخذ بها طائعين أو كارهين في أدائها .

لـخيـال يـطيف طيفًا. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على أنه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره . ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما أمـر الله بـه ونهـي عـنـه . ﴿فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ[٢٠١]﴾ بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها . والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله:

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يـمدهـم الشيطان . ﴿فِي الْغَيِّ﴾ بـالتزيين والحمل عليه . وقرئ يمدونهم من أمد ويمادونهم كانهم يعينونهم بـالتسهيـل والاغـراء وهـؤلاء يـعينونهم بالاتباع والامتثال . ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ[٢٠٢]﴾ ثم لا يـمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم . ويجوز أن يكون الضمير للاخوان أي لا يكفون عن الـغـي ولا يـقـصـرون كـالـمـتـقيـن . ويجوز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الـجـاهـليـن فيـكـون الـخبـر جـارياً على من هو له﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ من القرآن أو مما اقتـرحـوه .﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هلا جمعتها تقولاً من نفسك كسائر ما تقرؤوه أو هلا طـلبتهـا مـن الله . ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمختلق للآيات او لست بـمـقتـرح لهـا . ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب . ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[٢٠٣]﴾سبق تفسيره.﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[٢٠٤]﴾ نزلت في الصلاة كـانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراء ة الإمام والإنصات له . وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقًا . وعامة الـعـلماء على استحبابهما خارج الصلاة . واحتج به من لا يرى وجوب القراء ة على المأموم وهو ضعيف .

---

قوله:ولذلك جمع ضميره: أي ضمير الشيطان وهو ضميرإخوانهم .

قوله:تاكيد وتقرير لما قبلها: من وجوب الاستعاذة بالله عند نزع الشيطان .

قـولـه:يـمـدهم الشيطان: فيكون الخبر جار ياً على غير من هو له، ولا يجب إبرا ز الضمير لكونه فعلا .

قـولـه:ويـمـادونهـم :بـمعنى يعينونهم ، وقوله كأ نهم يعينوهم الخ إشارة إلى معنى المفاعلة وهى المشاركة .

قوله:وهو ضعيف :لأن شان النزول يدل على النهي عن التكلم في الصلوة والأ مر باستماع قراء ة الإ مام، ولا ينفى قرأة الماموم بعد فراغ الامام عن قراء ته كماهو مذهب الشافعي .

﴿وَاذْكُرْ رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما . أو أمر للمأموم بالقراءة سرًا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه . ﴿تَضَرُّعًا وَّخِيْفَةً﴾ متضرِّعًا وَخَائِفًا ﴿وَّدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَولِ﴾ ومتكلمًا كلاماً فوق السرودون الجهر فانه أدخل في الخشوع والاخلاص. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْاٰصَالِ﴾ بأوقات الغدو والعشيات . وقري والايصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل وهو مطابق للغدو. ﴿وَلَا تَكُنْ مِّنْ الْغٰفِلِيْنَ[٢٠٥]﴾ عن ذكر الله.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني ملٰئكة الملأالأعلى. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهٖ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ وينزهونه. ﴿وَلَهٗ يَسْجُدُونَ[٢٠٦]﴾ ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره . وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته . وعن النبي ﷺ " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجداعتزل الشيطان يبكي فيقول: يا ويله، أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار" وعنه ﷺ " من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة "

---

قوله:بأو قات الغد و:علىٰ حذف المضاف ليطابق الآ صال في الجمع، وأما قراءة الإ يصال فهو مطابق في الإفراد .

# سورة الأنفال

مدنية وآيا تها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾ أي الغنائم يعنى حكمها وإنما سميت الغنيمة نفلا لأنها عطية من الله وفضل كما سمى به ما يشرطه الأمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الأنصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له عناء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنارد‌ءًا لكم وفئة تنحازون إلينا فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل: لا يلزم الإمام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضى الله عنه وعن سعد بن أبى وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه، وقرىء: ويسألونك علنفال بحذف الهمزة والفاء حركتها على اللام وإدغام نون عن فيها، ويسألونك الأنفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الاختلاف والمشاجرة ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾ الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيمارزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيه ﴿إِن

---

قوله: كما سمى به ما يشرطه الأمام: بأن يقول تحريضا على السباق في الحرب "من قتل قتيلا فله سلبه" أو قال لسرية: ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه .

قوله: في القبض: بالتحريك ما قبض من أموال الناس .

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[١]﴾ فإن الإيمان يقتضي ذلك أو إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة طاعة الأوامر والاتقاء عن المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾فزعت لذكره استعظامًا له وتهيبًا من جلاله، وقيل: هو الرجل يهم بمعصية فيقال له: اتق الله، فينزع عنها خوفا من عقابه. وقرىء:وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت أى خافت ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ لزيادة المؤمن به، أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة، أو بالعمل بموجبها، وهو قول من قال : الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[٢]﴾ يفوّضون إليه أمورهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه.

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ[٣]﴾

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً ﴾ لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلاة والصدقة .و"حقاً"صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد كقوله تعالىٰ:﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾[النساء:١٢٢] وكقولهم:هو عبد الله حقاً ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ كرامة وعلو منزلة وقيل: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لما فرط منهم﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[٤]﴾ أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهى أمده.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، تقديره هذه الحال في كراهتهم إياها كحال إخراجك للحرب في كراهتهم له، وهي كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة،أو صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله:لله والرسول أى الأنفال ثبتت لله والرسول

---

قوله:فإن الإيمان يقتضي ذلك: يعني إن أريد نفس الأيمان كما هو الظاهر ولذا اختار المصنف، فالأ مر بهذه الأ مور الثلثة لكونها من مقتضيات الإ يمان ، وإن أريد كمال الإيمان لأ نهم كاملوا الإ يمان فالأمر بها لكونها من كمال الإيمان وبها يكمل الإيمان .

قوله:عليها: أي على مكارم أعمال القلوب .

قوله:صفة مصدر محذوف :أي إيمانًا حقًا .

قوله:أو مصدر موكد :أي لجملة "أو لئك هم المومنون" كقولك: هو عبد اللّٰه حقًا أي حق ذلك الإيمان حقًا .

صلى الله عليه وسلم مع كراهتهم ثباتًا مثل ثبات إخراجك ربك من بيتك يعني المدينة؛ لأنها مهاجره ومسكنه أو بيته فيها مع كراهتهم ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ[٥]﴾في موقع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا، منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى أبوجهل فوق الكعبة يا أهل مكة، النجاء النجاء على كل صعب، وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا، وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب أن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل، ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة إلا أصابه شيء منها، فحدثت بها العباس، وبلغ ذلك أبا جهل فقال: ما يرضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم، فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة ومضى بهم إلى بدر وهو مآء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يومًا فى السنة، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوادى ذفران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد بإحدى الطائفتين، إما العير وإما قريش، فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، إنا خرجنا للعير فردد عليهم وقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله، عليك بالعير ودع العد و فغضب رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـفقام أبو بكر وعمرـ رضى الله

---

قوله: يعني المدينة: يعني أن المراد بالبيت إما نفس المدينة، لإنها موضع هجرته ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه أو بيته فيها، وهو الظاهر من حيث اللفظ، والأول من حيث السوق ولذا اختار المصنف، لأن المقصود الإخراج من البلد الذى هي المدينة.

قوله: النجاء النجاء: أي الإسراع بمد وبقصر منصوب بفعل مضمر، أي اسرعوا وبادروا مجتمعين ولا تقفوا واختاروا الركوب على كل صعب، وذلول من الإبل، وعيركم أموالكم: أي الزموا عيركم أموالكم، والتحليق بالشيء الرمي به إلىٰ فوق، 'فأحسنا' أيقول النبي عليه الصلاة والسلام، و"عدن أبين" مدينة معروفة باليمن أضيف إلىٰ أبين بوزن أبيض وهو رجل عدن بها: أي أقام، وفي الصحاح "أبين" بكسر الهمزة، و'عددهم' أي كثيرا استعرضت بنا أي عرضت بناالبحر عرضا ولا يصلح، أي هذا الراي .

تعالى عنهما ـ وقالا فأحسنا، ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض لما أمرك الله فأنا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قٰعدون ﴾ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال: اشيروا عليَّ أيها الناس: وهو يريد الأنصار لأنهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعون بالعقبة أنهم براء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فتخوف أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله، فقال: أجل، قال: اٰمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإناالصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله، ثم قال: سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم، وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له: عليك بالعيرفناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له: لم؟ فقال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقى العير عليه ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ لهم أنهم ينصرون أينما توجهوا بإعلام الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ[٦]﴾أى يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم إذ روى أنهم كانوارجالة مما كان فيهم إلا فارسان ، وفيه إيماء إلى أن مجادلتهم إنما كانت لفرط فزعهم ورعبهم.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ﴾ على إضمار"اذكر" وإحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد أبدل منها ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل الاشتمال ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ

---

قوله:لايثارهم: تعليل ليجادلونك .

قوله:بإعلام رسول اللهﷺ: متعلق بتبين .

قوله:إلافار سان: قيل مقداد بن الأسود والزبير بن العوام .

تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني العير فإنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسًا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عَدَدِهِمْ، وَعُدَدِهِمْ والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ﴿وَيُرِيدُ اللّٰهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ﴾ أى يثبته ويعليه ﴿بِكَلِمٰتِهِ﴾ الموحى بها في هذه الحال أو بأوامره للملٰئكة بالإمداد، وقرىء: بكلمته، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكٰفِرِيْنَ[٧]﴾ ويستأصلهم ، والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبٰطِلَ﴾ أى فعل ما فعل وليس بتكرير لأن الأول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ[٨]﴾ ذلك.

﴿إِذْ تَسْتَغِيْثُوْنَ رَبَّكُمْ﴾ بدل من ﴿وإذ يعدكم﴾ أو متعلق بقوله: ﴿ ليحق الحق﴾ أو على إضمار "اذكر" واستغاثتهم أنهم لما علموا أن لا محيص من القتال أخذ وا يقولون: أي رب انصرنا على عدوك، أغثنا يا غياث المستغيثين، وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو: "اللّٰهم انجز لي ما وعدتني، اللّٰهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض" فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر: يا نبي اللّٰه، كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّىْ مُمِدُّكُم﴾ بأني ممدكم، فحذف الجار وسلط عليه الفعل، وقرأ أبو عمرو بالكسر على إرادة القول، أو إجراء "استجاب" مجرى "قال" ؛لأن الاستجابة من القول ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُرْدِفِيْنَ[٩]﴾ متبعين المؤمنين،أو بعضهم بعضا من" أردفته" إذا جئت

---

قوله:ويكرهون ملاقات النفير: النفير: القوم الذين يتقدمون في أمر.

قوله:بكلماته الموحى بها في هذه الحال: أي بالآية المنزلة في محاربة ذات الشوكة

قوله:من التفاوت: من حيث أن مراداللّٰه إعلاء الدين ومرادهم المال .

قوله:متبعين: يعنى إن كان مردفين من اردفته إذاجئت بعده، يكون المعنى متبعين المومنين وخلفهم، أو متبعا بعضهم بعضا :أي أنفسهم، يكون بعضهم خلف بعض، وإن كان من اردفته إياه يكون المعنى متبعين بعضهم بعضا، أوأنفسهم المومنين: أي جاعلين بعضهم خلف بعض، أو أنفسهم المومنين .

بعده أو متبعين بعضهم بعضًا، أو أنفسهم المؤمنين من "أردفته إياه" فردفه، وقرأ نافع ويعقوب "مردفين" بفتح الدال أي متبعين أو متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم، وقرىء:"مردفين"بكسر الراء وضمها، وأصله "مرتدفين" بمعنى "مترادفين" فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل، أو بالضم على الاتباع، وقرىء بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ، ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف الذين كانوا على المقدمة، أو الساقة، أو وجوههم وأعيانهم، أو من قاتل منهم، واختلف في مقاتلتهم، وقد روي أخبار تدل عليها.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ ﴾أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرٰى لكم﴾إلا بشارة لكم بالنصر﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْم[ ١٠ ]﴾وإمداد الملائكة وكثرة العدد والأهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها، ولا تيأسوا منه بفقدها.

﴿إِذْ يُغَشِّيْكُمُ النُّعَاسَ ﴾ بدل ثان من ﴿إذ يعدكم﴾لإظهار نعمة ثالثة ، أو متعلق بالنصر، أو بما في "عند الله" معنى الفعل، أو بجعل " أو" بإضمار" اذكر" وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من "أغشيته الشيء" إذا غشيته إياه، والفاعل على القراء تين هو الله تعالى، وقرأ ابن كثير وأبو عمر" يغشاكم النعاس" بالرفع ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ أمنًا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فإن قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه و"الأمنة" فعل لفاعله، ويجوز أن يراد بها الإيمان فيكون فعل المغشي، وأن تجعل على القراء ة الأخيرة فعل النعاس على المجاز؛ لأنها لأصحابه، أو لأنه كان من حقه أن لا يغشاكم لشدة الخوف فلما

---

قوله:أو متبعين: الأول من باب الافتعال: أي اتبعهم المسلمون فتكون الملائكة مقدمة الجيش، والثاني من باب الإفعال: أي جعل الملائكة أنفسهم تابعين للمومنين فيكون الملائكة ساقتهم .

قوله:فإن قوله يغشيكم النعاس متضمن معنىٰ تنعسون: وكذا قراء ة يغشاكم النعاس بمعنى تنعسون وفاعله وفاعل الأمنة واحد، فيكون مفعولا له باعتبار معنى يغشيكم ويغشاكم، و في بعض النسخ متضمن معنى تتغشون أي تتغشون بالنوم .

قوله:ويجوز أن يراد بها الإيمان: أي جعله ذاأمن .

قوله:أولأ نه كان من حقه أن لا يغشاهم :أي من حق النعاس أن لايغشاهم لشدة

غشيهم فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله:

"يهاب النوم أن يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود "

وقرىء:"أمنة"كـ"رحمة" وهي لغة ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾من الحدث والجنابة ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَٰنِ﴾ يعني الجنابة؛لأنها من تخييله، أو وسوسته وتخويفه إياهم من العطش. روي أنهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس إليهم الشيطان وقال: كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا، فأنزل الله المطر، فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا، وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالوثوق على لطف الله بهم ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ[١١]﴾أي بالمطرحتى لا تسوخ في الرمل، أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ بدل ثالث أو متعلق بـ" يثبت" ﴿إِلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ في إعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول"يوحى"،وقرىء بالكسر على إرادة القول، أو إجراء الوحي مجراه﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ كالتفسير لقوله: إنّي معكم فثبتوا وفيه دليل على أنهم

---

الخوف في ذلك الوقت، شبه النعاس بالشخص الخائف الطالب للأمن في تلبس الخوف على سبيل الاستعارة بالكناية،ثم اثبت الأ منة التي هي من لوازم المشبه به على سبيل التخييلية .

قوله:يهاب النوم أن يغشىٰ عيونا :يعني يخاف النوم أن يدخل في عيون أعدائك فهو أي النوم لذلك نفّار شرور وقوله: تها بك صفة عيونا.

قوله:على عدوته :العدوة با لحركات الثلاث في العين شط الوادى .

قوله: كالتفسير لقوله: إنى معكم :لأن الإعانة والتثبيت قد تكون بالقاء الرعب في قلوب الأ عداء، يعني أني معكم في إعانة المومنين وتثبيتهم بأن ألقى الرعب في قلوب الكافرين فأ عينوهم بالمقاتلة وثبتوهم، إما بالبشارة، أو بتكثير السواد، أوبا لمحاربة، وكان الملك يسيرأمام الصف في صورة رجل ويقول: أبشروا فإن اللّٰه ناصركم ، وفيه دليل على أنهم قاتلوا، لأن كونه تعالىٰ مع الملائكة في إلقاء الرعب ظاهر في أن الإعانة من اللّٰه في إلقاء الرعب ومنهم با لمحا ربة.

قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين إما على تغيير الخطاب أو على أن قوله "سألقي"إلى قوله"كل بنان"تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾أعاليها التى هى المذابح أو الرؤوس ﴿وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ[١٢]﴾ أصابع أى حزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الضرب أو الأمر به والخطاب للرسول أو لكل أحد من المخاطبين قبل ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لأن كلا من المتعادين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ[١٣]﴾تقرير للتعليل أو وعيد بما اعد لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أى الأمر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه ﴿فَذُوقُوهُ﴾أو غيره مثل باشروا أو عليكم فتكون الفاء عاطفة﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ[١٤]﴾ عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وقرىء وإن بالكسر على الاستئناف

---

قوله:ومن منع ذلك: أيمن قال: إن الملائكة لم يقاتلوا جعل خطاب فثبتوا مع المومنين، إما على تغيير الخطاب بأ ن يكون الخطاب السابق أعني 'معكم' للملا ئكة واللاحق أعني فثبتوا الذين أي ليثبت بعضكم بعضا، وإما بدونه بأن يكون الخطاب السابق أيضا مع المؤمنين، والمعنى: اذكر وا أيها المؤ منون اذيوحي ربك إلى الملائكة إني معكم أي مع المؤمنين فليثبت بعضكم بعضا، لكن لايظهر على هذا كون 'سألقي' تلقينًا للملائكة ما يثبتون به، وإن أريد بأن يكون الخطاب فيه للملائكة كالخطاب السابق لايظهر لقوله:' جعل الخطاب فيه مع المومنين' وجه. قوله:من العدوة :وهو جانب الوادى والخصم الجانب .

قوله:تقرير للتعليل: وهو قوله ذلك بأنهم شا قوا الله فعلى هذا يكون العقاب الشديد هوالعذاب السابق لاعذاب الأ خرة. قوله:أو نصب بفعل دل عليه: فذوقوه أو غيره أي غير ذلك الفعل: أي ذوقوه ذلك، أو باشروا، أو عليكم: أي الزموا عليكم، فعلى الأخيرين يكون الفاء عاطفة .

قوله:عطف على ذلكم :أي الأ مر أعني أن للكافرين عذابَ النار واقع .

قوله:أو الجمع بينهما :أي بين العذاب الآجل والعاجل، هذا على تقدير المفعول معه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ[١٥]﴾ كثيرًا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون، وهو مصدر" زحف الصبي" إذا دب على مقعده قليلا قليلا، سمّي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال،فلا تولوهم الأدبارباالانهزام فضلا أن يكونوا مثلكم، أوأقل منكم، والأظهر أنها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ، ويجوز أن ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول أى إذا لقيتموهم متزحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم فلا تنهزموا، أو من الفاعل وحده، ويكون إشعارًا لما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا.

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ﴾ يريد الكرّ بعد الفرّ وتغرير العدوّ فإنه من مكايد الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ ﴾أو منحازًا إلى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ،ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان فى سرية بعثهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففروا إلى المدينة فقلت: يا رسول الله، نحن الفرارون، فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم ، وانتصاب "متحرفا" و"متحيزا" على الحال وإلا لغو لا عمل لها،أو الاستثناء من المولين: أى إلا رجلا متحرفا أومتحيزا، ووزن متحير متفيعل لا متفعل، وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز﴿فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ[١٦]﴾هذا إذا لم يزد العدد على الضعف لقوله "الآن خفف الله عنكم" الآية ، وقيل: الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه فى الحرب.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب فى قلوبهم، روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه قريش جاء ت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك، اللهم إنى أسألك ما وعدتنى فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: خذ قبضة من تراب فأرمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفًا من

---

قوله:محكمة مخصوصة بقوله: حرض المومنين: يعني إن هذه الأ ية تدل على أنه يجوز التولي عن الزحف القليل فخص منه للتعليل المفهوم من قوله: حرض المومنين الآ ية بأنه لا يجوز من مثل هذ القليل .

قوله: العكارون: أي الكرارون إلى الحرب والعطّافون نحوها .

قوله:وإلالغو لا عمل لها: أي الاستثناء مفرغ معرب على حسب العامل .

الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت، والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد رميًا توصله إلى أعينهم ولم تقدرعليه ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾أى إذ أتيت بصورة الرمي ﴿وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه ، وقيل: معنا ه ما رميت با لرعب إذ رميت با لحصباء ولكن الله رمى با لرعب في قلو بهم .وقيل إنه نزل في انه نزل فى طعنة طعن بها أبى بن خلف يوم أحد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات أو رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فأصاب ا بن أبى الحقيق على فراشه والجمهور على الأول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً﴾ ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾لا ستغاثتهم ودعائهم ﴿عَلِيمٌ[١٧]﴾ بنياتهم وأحوالهم﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾إشارة إلى البلاء الحسن أو القتل أو الرمى ومحله الرفع أى المقصود أو الأمر ذلكم وقوله ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَٰفِرِينَ[١٨]﴾ معطوف عليه أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو"مُوَهِّنٌ" بالتشديد وحفص"موهن كيد"بالإضافة والتخفيف ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لمحاربته﴿نَعُدْ﴾ لنصرته عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾ ولن تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعتكم ﴿شَيْئاً﴾من الاغناء أو المضار ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾فئتكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ[١٩]﴾ بالنصر والمعونة وقرأ نافع

---

قوله:وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وهو علىٰ ما هو كما له والمقصود منه: وهو الإنهزام في 'وما رميت' فأ ثبت صورة الرمية ونفى كمالها والمقصود منه الذى هو غاية.

قوله:شيئاً من الاغناء أو المضار: فعلى الأ ول مفعول مطلق وعلى الثاني مفعول به.

وابن عامر وحفص وأن بالفتح على تقدير ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإنه مع الكاملين فى إيمانهم ويؤكد ذلك﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾ أى ولا تتولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] وقيل الضمير للجهاد أو للأمر الذى دل عليه الطاعة ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُون[ ٢٠] ﴾ القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق.

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ كالكفرة أو المنافقين الذين ادعوا السماع﴿وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ[ ٢١] ﴾ سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ ﴾ شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم ﴿الصُّمُّ ﴾ عن الحق ﴿الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ[٢٢]﴾ إياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات ﴿لَّأسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّواْ ﴾ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول ﴿وَّهُم مُّعْرِضُون [٢٣]﴾لعنادهم وقيل: كانوا يقولون للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لأسمعهم كلام قصي.

---

قوله: شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم: الأول على اللغة والثاني على العرف العام.

قوله: ماا متازوا به وفضلوا لأجله: وهو العقل .

قوله: سعادة كتبت لهم: أي لو علم الله سعادة مكتوبة لهم وهو إما إيمان يوم الميثاق أو الإيمان الذى أريد بالفطرة السليمة في قوله عليه الصلاة والسلام: كل مولود يولد على الفطرة السليمة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه لاسمعهم سماع تفهم كما يسمعه المومنين السماع يعنى لم يسمهم ذلك السماع لأجل عدم علمه تعالى فيهم تلك السعادة ولوأ سمعهم ذلك السماع مع علمه بأنه لاخير فيهم لتولوا و لم ينتفعوا به ولم يصدقوا به .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُم﴾ وحد الضمير فيه لما سبق ولأن دعوة الله تسمع من الرسول، وروى أنه عليه الصلاة والسلام مر على أبى سعيد الخدري وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر فيما أوحى إليّ "استجيبوا لله وللرسول" واختلف فيه فقيل هذا لأن اجابته لا تقطع الصلاة فإن الصلاة أيضا إجابة وقيل: إن دعاء ه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الأول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من العلوم الدينية فإنها حياة القلب والجهل موته قال:

"لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن "

أو مما يورثكم الحياة الأبدية فى النعيم الدائم من العقائد والأعمال أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم؛ إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى: ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[آل عمران:١٦٩] ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى :﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[ق:١٦] وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت، أو غيره أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته، وقرىء بين المرّ بالتشديد على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ[٢٤]﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ اتقوا ذنبا يعمكم أثره كإقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة فى الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع

---

قوله:لما سبق: أي لأن ذكر الله توطية لذكر الرسول .

قوله:تمثيل:أي تشبيه تمثيل لا استعارة تمثيليةلكو ن المشبه مذكورًا.

قوله:على لغة من يشدد فيه الراء: أي في حال الوقف إذ قد يوقف في نحو عمر بتشديد الراء.

قوله: كإقرار المنكر بين أظهركم: أي تمكين المنكر بين المسلمين من أقره في مكانه فاستقر.

قوله: وافتراق الكلمة: وهي أمر الله بالاتفاق وأن يكون يداً واحدة على غيرهم من قوله تعالىٰ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾.

والتكاسل فى الجهاد على أن قوله لا تصيبن إما جواب الأمر على معنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى:﴿ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم﴾[النمل:١٨] وإما صفة لـ"فتنة"ولا للنفى وفيه شذوذ لأن النون لا تدخل المنفى فى غير القسم أو للنهى على إرادة القول كقوله:

حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط

وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلفا في المعنى ويحتمل أن يكون نهيًا بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم لأن وباله يصيب الظالم خاصة ويعودعليه ومن فى منكم على الوجوه: الأول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من غيركم ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ

---

قوله: إما جواب الأمر على معنى 'إن أصابتكم:هكذا في الكشاف .قيل فيه نظر، لأن المقدر في صورة جواب الأمر ينبغي أن يكون من جنس الأمر المذكور ليكون دالا عليه وهاهنا إذا قدر كذلك يصير هكذا إن تتفقوا لا تصب الظالمين خاصة وهذا ظاهر الفساد معنى بل هو جواب شرط محذوف اتقوا فإن لم تتقوا لم تصب الظالمين خاصة بل يعمكم .وقد يجاب بأن اتقوا فتنة في قوة لا تصبكم فتنة بأن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده كما تقرر في أصول الفقه فالمعنى لا تصبكم فتنة ولا تقترفوها إن أصابتكم فتنة لم تصب الذين ظلموا خاصة بل يعمكم وهذا معني مستقيم.

قوله:متردد: أي ذوتردد فلا يليق التاكيد المشعر بالتحقق لكنه لما تضمن معنى النهي جاز فيه لمجيئه في النهي ويكون وقوعه جوابا على تاويل يقال فيه :لا تصيبن الذين ظلموا خاصة.

قوله:وإن اختلفا في المعنى :أي لا تصيبن ولنصيبن لأن معنى الثاني تخيصص المصيبة بالظالمين ومعنى الأول تعميم المصيبة لهم ولغيرهم.

قوله: ويحتمل أن يكون نهياً بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم: والتقدير اتقوا فتنة لا تتعرضوا لها فإن وباله يصيب الظالم خاصة.

قوله:و"من"في منكم على الوجوه الأول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبين: وذلك أن الخطاب في اتقوا على الوجوه: الأول للأمة والظالمون بعض منهم و في الثاني للظالمين فقط فيتعين كون 'من' للتبيين، وفائدة التبيين التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من ظلم سائر الناس لأن وباله يصيب غيركم أيضا.

شَدِيدُ الْعِقَابِ [٢٥]﴾ ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فإنهم كانوا اذلاء فى أيدى فارس والروم ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ كفار قريش أو من عداهم فإنهم كانوا جميعا معادين لهم مضادين لهم ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة أو جعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعاديكم ) ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾على الكفار أم بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة يوم بدر﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[٢٦]﴾ هذه النعم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول فى المغانم وروى أنه عليه الصلاة والسلام حاصر بنى قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحاء بأرض الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله فى أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) هو الذى يحلنى فجاء ه فحله بيده فقال: إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال -صلى الله عليه وسلم- يجزينك الثلث أن تتصدق به وأصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الأمانة لتضمنه إياه ﴿وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ﴾ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[٢٧]﴾أنكم تخونون أووأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح.

---

قوله:﴿فآواكم﴾ إلى المدينة :أو جعل لكم ماوى: يعني فآواكم إما من ماوي إلى منزله أو بمعنى جعل الماوى، قال صاحب الصحاح :آوى إلى منزله أُوياً، وقال في التاج الإيواء: ماوى بردن.

قوله:وهو مجزوم بالعطف على الأول: أي مبني على السكون أي لا تخونوا أماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها.

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾لأنهم سبب الوقوع في الاثم أو العقاب أو محنة من الله تعالى ليبلوكم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبى لبابة﴿وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ[٢٨]﴾لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم إليه

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة مما تحذرون فى الدارين أو ظهورًا يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أى الصبح ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ويسترها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل: المراد ما تقدم وما تأخر لأنها فى أهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم ﴿وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [٢٩]﴾ تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده انعاما على عمل.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ بالوثاق أو الحبس أو الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرىء"ليثبتوك"بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾من مكة وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم إبليس فى صورة شيخ وقال: أناشيخ من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال أبو البحترى رأيى أن تحبسوه فى بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمر ورأيى

---

قوله:أو مخرجا من الشبهات :وشرحاً للصدور.

قوله:وليبيتوك من البيات: يقال بيت العد و إذا وقع بهم والاسم البيات كذا في الصحاح.

قوله:فرقوا: الفرق بالتحريك الخوف .وقد فرق بالكسر.

قوله:في دار الندوة: قال الجوهري: الندوة: مجلس القوم ومستحدثهم، ومنه سميت دار الندوة التي بمكة بناها قصي؛لأنهم كانوا ينتد ون فيها: أي يجتمعون للمشاورة.

أن تحملونه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال: بئس الرأى، يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال: صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا رضى الله تعالى عنه فى مضجعه وخرج مع أبى بكر رضى الله تعالى عنه إلى الغار ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ﴾ برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين فى أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا ﴿ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ[ ٣٠]﴾ إذ لا يؤ به مكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا ما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا ﴾ هو قول النضر بن الحارث وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاضيهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه الصلاة والسلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا فى باب البيان ﴿إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ[ ٣١]﴾ ما سطره الأولون من القصص.

﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[ ٣٢] ﴾ هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود، روي أنه لما قال النضر "إن هذا إلا اساطير الأولين" قال له النبي-صلى الله عليه وسلم -ويلك إنه كلام الله فقال ذلك، والمعنى إن كان هذا حقًا منزلًا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره أوائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا، وقرىء الحق بالرفع على أن هومبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذى يدعيه النبى -صلى الله عليه وسلم- وهو تنزيله لا الحق مطلقًا.

---

قوله:فما منعهم :أن يشاؤوا: أي أن قالوا مثل هذا.

قوله:بعذاب أليم :سواه أي نوع أخر سوىٰ أمطار الحجارة.

قوله:وفائدة التعريف فيه الدلالة:يعني فائدة التعريف الإشارة إلى العهد.

تجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الأولين

﴿وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[٣٣]﴾ بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف فى إجابة دعائهم ، واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبى -صلى الله عليه وسلم- بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه، والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم: اللهم غفرانك، أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله:﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾[هود:١١٧]

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ﴾ وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره، وقيل الضميران لله ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [٣٤]﴾ أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند، أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ﴾ أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها ﴿إِلَّا مُكَاءً﴾ صفيراً فعال من مكا يمكو إذا صفر، وقرىء بالقصر كالبكا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقًا تفعله من الصدا أو من الصد، على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء، وقرىء"صلاتهم"بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته، روى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون

---

قوله:خارج عن عادته: يعني أن عادته تعالىٰ أن لا يعذب قوما عذاب الاستيصال مادام بينهم بين أظهرهم وإن حكمته تعالىٰ لا يقتضي ذلك حرمة للنبيﷺ.

قوله: من بقي فيهم من المؤمنين :وهم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺمن المستضعفين.

قوله:وما لهم مما يمنع تعذيبهم :أي أي شيء يمنع تعذيبهم إذ أزال كونه ﷺ فيهم والاستغفار إذلا مانع سواه مع وجود موجب أخر سوى الدعاء وهو الصد عن سبيل الله.

قوله:على إبدال أحد جزئي التضعيف: أي إبدال الدال الأخيرة بالياء فصار تصديا

فيكون التصدية من الصدية. وقيل: كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي-صلى الله عليه وسلم -أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضا ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ يعنى القتل والأسر يوم بدر وقيل: عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود﴿ائتنا بعذاب أليم﴾[الأنفال:٣٢] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ[٣٥]﴾اعتقادًا وعملاً.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيْلِ اللّهِ﴾ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزراً أو فى أبى سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم أربعين أوقية أو فى أصحاب العير فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم: أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بـ"سبيل الله"دينه واتباع رسوله﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾بتمامها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم فى تلك الحال وهو إنفاق بدر والثانى إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاقأحد، ويحتمل أن يراد بهما واحد على أن مساق الأول لبيان غرض الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وإنه لم يقع بعد ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصيرحسرة وهى عاقبة إنفاقها مبالغة ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك ﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرُواْ﴾ الذين ثبتوا على الكفر منهم إذا سلم بعضهم﴿إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ[٣٦]﴾ يساقون.

﴿لِيَمِيْزَ اللّهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بـ"يحشرون"أو"يغلبون" أو ما أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما أنفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله"ثم تكون عليهم حسرة" وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيْثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيْعاً﴾ فيجمعه ويضم بعضه إلى بعض حتى يتراكبوا

---

قوله:من استجاش من العرب :أي من اجتمع من العرب لأصحاب الغير الذي مال عنهم رسول اللّهصلى اللّه تعالىٰ عليه وسلم ولم يقاتلهم إلى غزوة بدر.

قوله:لبيان غرض الإنفاق: يعني أنهم ينفقون لغرض الصد وعاقبه الحسرة والندامة لاالراحة والغلبة وهي مستقع لم يقع الأن فالسين لاستقبال العاقبة.

قوله:أو ما أنفقه: عطف على الكافر واللام على هذا متعلقة بقوله ثم يكون عليهم حسرة كما هو الظاهر المناسب لهذه الإرادة.

الـفـرط ازدحامهم أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين ﴿فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ﴾ كله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشـارة إلى الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلى المنفقين ﴿هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ[٣٧]﴾ الكاملون فى الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعنى أبا سفيان واصحابه والمعنى قل لأجلهم ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عـن معاداة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدخول فى الإسلام ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ مـن ذنوبهم وقرء بالتاء والكاف على انه خاطبهم و يغفر عـلـى البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلـى قتاله ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ[٣٨]﴾ الـذيـن تـحزبوا على الأنبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ لا يوجد فيهم شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وتـضـمـحـل عـنهم الأديان الباطلة ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عـن الـكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ[٣٩]﴾ فيـجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى "فـإن الـلـه بـما تعملون" من الجهاد والدعوة إلى الإسلام والاخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيـمان" بصير" فيجازيكم ويـكون تعليقه بانتهائهم دلالة عـلى أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب.

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ ( ولم ينتهوا ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ لا يضيع من تولاه ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ[٤٠]﴾ لا يغلب من نصره.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ أى الذى أخذتموه من الكفار قهرا ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ مما يقع عـليه اسم الشيء حتى الخيط ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مبتـدأ خبره محذوف أى فثابت أن لله خمسه وقـرئ "فـإن" بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما فى قوله (والله ورسوله أحـق أن يـرضـوه وأن الـمـراد قسـم الـخـمـس على الخمسة المعطوفة ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

---

قـولـه: كـمـال الـكـانـزين: أي الذين يكنزون الذهب والفضة إلى أخر ما ذكر في الأية.

قوله: الذين تحزّبوا على الأنبياء: أي تجمعوا عليهم لأجل محاربتهم.

قـولـه: ويـكون تعليقه بانتهائهم دلالة: يعني أن تعليق الجزاء بالانتهاء كما يدل على أن إثـابة الـكـفار لأجل مباشرة الانتهاء فكذلك يدل على أن إثابة مقابلتهم وهم المسلمون لأجل أنهم سبب لانتهاء الكفار.

الـقُرۡبَىٰ وَالۡيَتَٰمَىٰ وَالۡمَسَٰكِينِ وَابۡنِ السَّبِيلِ ﴾ فكـأنه قال فان لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل: إلـى الإمـام وقيـل إلـى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا إلى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنـه الأمـر فيـه مفـوض إلى رأى الامام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية فقـال: يـقسـم ستة أقسـام ويـصـرف سهـم الـله إلى الكعبة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ قبضة منه فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة. وقيل: سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذووا القربى بنو هاشم وبـنـو الـمـطـلـب لـما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمـان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الـذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة فـقـال -صـلى الله عليه وسلم- انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام وشبك بيـن أصـابعـه وقيـل: بـنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مـخـصـوص بـفـقرائهم كسهم ابن السبيل وقيـل الـخـمـس كله لهم والـمـراد بـاليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل الخمس

---

قـولـه:فكأنه قال فإن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به: لا إلى الله فيكون ذكر الله للتعظيم لا لبيان المصرف.

قوله:الشيخان: أي أبوبكر وعمر رضي الله تعالىٰ عنهما.

قـوله:وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة: وذلك أن هاشما وعبد المطلب وعبد شمس ونـوفـلا أولاد عبد مناف ونسبة رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم مع هؤ لاء ينتهي إلى عبـد مـنـاف وهـو مـحمد بن عبد اللهبن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلوات الله تعالىٰ عليه وعثمان رضي الله تعالىٰ عنه.هو ابن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وجبير هو ابن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف .

قوله:وقيل الخمس كله لهم: أي لذوي القربى كذا في الكشاف .

كـان فى غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ متـعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أى إن كنتم آمنتم بالله فعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية : فـإن العلم العملى إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد ( صلى الله عليه وسلم ) من الآيات والملائكة والنصر وقرء "عبدنا"بضمتين أى الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكافرون ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[ ٤١ ] ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والإمداد بالملائكة

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ بـدل مـن "يوم الفرقان "والعدوة بالحركات الثلاث شط الـوادي وقـد قـرئ بهـا والـمشهـور الـضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾البعدى من المدينة تأنيث الأقصى وكـان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والـعليـا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا ﴿وَالرَّكْبُ﴾أي العير أو قوّادها﴿ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾فـى مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل: وهـو مـنـصـوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الـدلالة عـلى قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يـخـلـوا مـراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكـذا ذكـر مـراكـز الـفـريـقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل

---

قوله:للنصف :اللام بمعنى 'بعد' كذا في التعليق شرح التسهيل .

قـولـه:مـن الأيـات والـمـلائـكة والـنـصر : أيلم يذكر المفعول ليشمل جميع ما يناسب أن ينزل في ذلك المقام .

قـولـه:وكان قياسه قلب الواو ياء كا لدنيا: يعني أن القصوى من ثبا ت الواو كالدنيا والـقيـاس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة تقلب في الصفة دون الاسم لثـقـل الـصفة وخفة الاسم إلا أنه جاء على الأصل وهو الواو كا لقود جاء علىٰ الأصل حيث لم يقلب الواو ألفا كما قلب في قال.

قوله:﴿و الرَّكْبُ﴾ الركب اصحاب الإبل في السفر دون الدواب كذا في الصحاح.

ولا يمشي فيها إلا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا إيمانا وشكرا ﴿وَلَـٰكِن﴾ جميع بينكم على هذه الحالا من غير ميعاد﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ بدل منه أو متعلق بقوله "مفعولا" والمعنى: ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ[٤٢]﴾ بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول والإعتقاد.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾مقدر بأذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك فى رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ لجبنتم﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فى أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار﴿وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[٤٣]﴾ يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها.

---

قوله:ليتحققوا: أي ذكر ذلك ليتحقق المسلمون أن ما اتفق لهم الخ.

قوله:والمراد بمن هلك: هذا على التفسير الأول وإلا فلاحاجة إلى التأويل على التفسير الثاني .

قوله:وقرئ ليهلك بالفتح: أي بفتح اللام على تقدير القسم .

قوله:للحمل على المستقبل: وهو يحيى فكما لم يدغم في المستقبل لم يدغم في الماضي

قوله:لاشتمال الأمرين: أي الإيمان والكفر.

قوله:وهو أن تخبربه :أي المصلحة أن تخبر أنه رأهم في المنام قليلين .

قوله:ما سيكون فيها :من الجرأة والجبن والصبر والجزع.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾ الضميران مفعولا يرى و "قليلا" حال من الثاني وإنما قللهم فى أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن إلى جنبه: أتراهم سبعين فقال: أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى قال أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم فى أعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتناجئهم الكثرة فثبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة. فإن البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى في الشروط ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثمة الاكتفاء على الوجه المحكيِّ وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال لإشراك وحزبه ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ[٤٤]﴾

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء مما غلب فى القتال﴿فَاثْبُتُواْ﴾ للقائهم ﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً﴾ فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون [٤٥]﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغى أن لا يشغله شيء عن ذكر ألله وان يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه فى شيء من الأحوال.

﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ﴾ باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر أو أحد ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ جواب النهي وقيل: عطف عليه ولذلك قرئ ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل: المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله وفى الحديث: نصرت

---

قوله:إن محمدا وأصحابه أكلة جزور :يضرب في القلة والأمر الذي لا يعبأ به، قال الجوهري :هي أكلة راس أي قليل يشبعهم راس واحد وهو جمع أكل.

قوله:مع التساوي في الشروط: وهي المقابلة وعدم الحائل وكونهما محسوسين بحاسة البصر.

قوله:لاختلاف الفعل المعلل به: هناك الجمع بين الفريقين وههنا تقليل الكثير في أعينهم.

الصبا وأهلكت عاد بالدبور ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِينَ[٤٦]﴾ بالكلاء ة والنصرة.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿بَطَراً﴾ فخرا وأشرا ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وأفاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى واخلاص من حيث أن النهي عن الشيء أمر بضده ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّٰهِ﴾ معطوف على بطرا إن جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر ﴿وَاللّٰهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ[٤٧]﴾ فيجازيكم عليه

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ﴾ مقدر باذكر ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ فى معاداة الرسول ( صلى الله عليه وسلم وغيرها بأن وسوس إليهم ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا: اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين" ولكم" خبر"لا غالب" أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك: لا ضاربا زيدا عندنا ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ أى تلاقى الفريقان ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ رجع القهقرى أى بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم.

---

قوله: بالكلأة: أي الحفظ يقال: كلاء اللّٰه كلأة بالكسر أي حفظه كذا في الصحاح.

قوله:وتعزف: العزف اللعب والمعازف الدفون وغيرها والقينة الأمة المغنية والجمع القيان والكؤس جمع كأس.

قوله:معطوف على بطراًإن جعل مصدرا موضع الحال: يعني أن رجلاً بطراً مصدراً في موضع الحال بمعنى باطرين يكون 'يصدون' معطوفا عليه لكونه في معنى 'يبطرون' كما في فالق الاصباح وجعل الليل وكذا إن جعل بطراً مفعولاً له لكن حينئذ يؤول 'يصد ون' بالمصدر.

قوله:وإلا لا نتصب :على أنه مضارع للمضاف.

﴿وَقَالَ إِنِّيْ بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيْ أَرٰى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيْ أَخَافُ اللّٰهَ ﴾ أى تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الأحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له: إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن يصيبني بمكروهٍ من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر ﴿وَاللّٰهُ شَدِيْدُ الْعِقَابِ[٤٨]﴾يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا

﴿إِذْ يَقُوْلُ الْمُنٰفِقُوْنَ وَالَّذِيْنَ فِيْ قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل: هم المشركون وقيل: المنافقون والعطف لتغاير الوصفين ﴿غَرَّ هٰؤُلاء ﴾ يعنون المؤمنين ﴿دِيْنُهُمْ ﴾ حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشرة إلى زهاء ألف﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ﴾جواب لهم ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ ﴾ غالب لا يذل من استجار به وإن قل﴿حَكِيْم[٤٩]﴾ يفعل بحكمته

---

قوله:وخاف عليهم :أي على هزيمتهم وهلاكهم وليس من نصرتهم.

قوله:يثنيهم: أي يصرفهم.

قوله:في يد الحارث: وكان الحارث من أشرافهم.

قوله:ودفع في صدر الحارث: أي أوقع اليد في صدره ودفعه وذهب.

قوله:ويكون الوقت هو الوقت الموعود: أي يكون وقت إصابة المكروه أو الهلاك يوم القيامة لقوله تعالىٰ:﴿ إنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ولعل ذلك بناء على زعمه لما رأى فيه مالم يرقبله من نزول الملئكة فزعم أن الوقت يوم القيمة وأن الملئكة ينزلون لطي العالم.

قوله:والأول: أي المقالة الأولىٰ وهي التخييل إليهم أنه مجيرهم.

قوله:لتغاير الوصفين: أي وصف النفاق وعدم الاطمئنان .

قوله:لما لا يدي لهم به: أي لمالا قدرة له به والزهاء القدر .

البالغة مااستبعده العقل ويعجز عن إدراكه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضيا عكس "إن" ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلَآئِكَةُ﴾ ببدر "وإذ" ظرف "ترى" والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتداء خبره﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ظهورهم أو أستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أى يضربون ما أقبل منهم وما أدبر ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ[٥٠]﴾ عطف على يضربون بإضمار القول أى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل: كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب "لو"محذوف لتفظيع الأمر وتهويله.

﴿ذَٰلِكَ﴾الضرب والعذاب﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ[٥١]﴾ عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبه بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ودلا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لأجل العبيد.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه أي داموا عليه ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل آل فرعون ﴿كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾

---

قوله:وهو مبتداء: أي الملائكة مبتداء ويضربون خبره .

قوله:للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه: قال صاحب الكشاف بناء على مذهب الإعتزال إن اللّٰهليس بظلام للعبيد سبب التعذيب لإن تعذيب الكفار ومن العدل واجب عليه تعالىٰ فيكون ترك التعذيب ظلما ورد عليه المصنف بإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا وإنما هو تفضل فلا ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وقال إن ما قدمت أيديكم سبب للتعذيب وأن سببه مقيدة إن اللّٰه ليس بظلام إذ لو كان ظلاما لأمكن أن يعذب بغير ذنب لأن الظلم فلا يكون ذلك سببا للتعذيب .

قوله:وظلام للتكثير لاجل العبيد: يعني أن تكثر ظلام موذع على كثيرة العبيد المعرف بلام الاستغراق .

تفسير لدأبهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أخذ هؤلآء ﴿إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ [٥٢]﴾لا يغلبه في دفعه شيء .

﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما حل بهم ﴿بِأَنَّ اللّٰهَ﴾بسبب أن الله ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلا إياها بالنقمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن تبعه منهم والسعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته على تغييره متى يغيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا﴿وَأَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون ﴿عَلِيمٌ [٥٣]﴾ بما يفعلون

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بآيٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون وقيل الأول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم ﴿وَكُلٌّ﴾من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش ﴿كَانُوا ظٰلِمِيْن [٥٤]﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصى

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللّٰهِ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ﴾ أصروا على الكفر ورسخوا فيه ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[٥٥]﴾ فلا يتوقع منهم إيمان ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله ﴿الَّذِيْنَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

قوله: كتغيير قريش حالهم :يعني أنهم كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة الأصنام وكان فيهم صلة الرحم فلما بعث إليهم بالأ يات البينات غير وا حالهم إلى أسوء مما كا نت .

قوله:من الدلالة على كفر ان النعم: يعني أن اللّٰه تعالى أنعم عليهم بالتربية فكفروا بنعمته.

قوله:وبيان ما أ خذ به آل فرعون: يعني أن في الأ وليٰ الأ خذ با لذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين أن ذلك هوالإ هلاك والاستيصال .

أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا: نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم و"من" لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُون [٥٦]﴾ سبة الغدر ومغبته أولا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه إياهم عليهم.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ فإما تصادفنهم وتظفرن بهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾ ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من وراء هم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فإنه إذا شرد من وراء هم فقد فعل التشريد في الوراء ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ[٥٧]﴾لعل المشردين يتعظون.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ معاهدين﴿خِيَانَةً﴾نقض عهد بأمارات تلوح لك ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فاطرح إليهم عهدهم﴿عَلَى سَوَاء﴾ على عدل وطريق قصد فى العداوة ولا تناجزهم الحرب فإنه يكون خيانة منك أو على سواء فى الخوف أو العلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الأول أى ثابتا على طريق سوى أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما على غيره وقوله ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ[٥٨]﴾ تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف.

---

قوله:أن لايما لئوا عليه: من الممالأة وهى المعاونة.

قوله:من خلفهم :أي وقرئ من خلفهم على أنه حرف جر.

قوله:فإنه إذا شرد من ورائهم: أي إذا شرد الذين ورائهم فقد فعل التشريد في الوراء وأو قعه فيه وهو معنىٰ جعل 'من' حرف الجر مطلقا بالتشريد وجعل 'الوراء' ظرفاً له.

قوله:ولا تناجزهم الحرب فإنه يكون خيانة منك: أي المناجزة في الحرب يكون خيانة منك وتجاوز في العلاوة والمناجزة في الحرب المبارزة والمقاتلة.

قوله:أو على سواء في الخوف أوالعلم بنقض العهد:وذلك بأن يخاف كل منهما عن الآخر أويعلم كل منهما بنقض العهد بأن تظهر إليهم نبذ العهد وتخبرهم أخبارامكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم.

قوله:وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول: لأن العدل وطريق القصد هو المناسب لنصب الرسول ويكون شأ نه بخلاف المنبوذ إليهم .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ خطاب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقوله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير "أحد" أو "من خلفهم" أو "الذين كفروا" والمفعول الأول "أنفسهم" فحذف للتكرار أو على تقدير "أن سبقوا" وهو ضعيف لأن" أن "المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على ايقاع الفعل على ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ[٥٩]﴾ بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لاصلة و سبقوا حال بمعنى سابقين أى مفلتين والأظهر أنه تعليل للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وكذا إن كسرت "إن" إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وإيقاظ العدو وقيل: نزلت فيمن أفلت من فل المشركين.

﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾ لناقضى العهد أو الكفار ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته ـصلى الله عليه وسلمـ يقول على المنبر" ألا إن القوة الرمي" قالها ثلاثا ولعله ـصلى الله عليه وسلمـ خصه بالذكر لأنه أقواه ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال: ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا أو جمع ربيط كفصيل وفصال وقرىء "ربط الخيل" بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ تخوفون به، وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير ل ما استطعتم أو للإعداد ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ من غيرهم من الكفرة قيل: هم اليهود، وقيل: المنافقون وقيل: الفرس ﴿لَا

---

قوله:على أن الفاعل ضمير أحد :مستفاد من النهي كذاقيل: ويرد عليه أنه لم يتقدم مرجع الضمير لا لفظاً ولا معنىً ولا حكماً.

قوله:أو علىٰ تقديرأن سبقوا: وهذا بناء علىٰ أن "أن "إذا وقعت بعد الظن وما في معناه فيه وجهان أن يكون ناصبة وأن يكون مخففة من الثقيلة .

قوله:أو علىٰ إيقاع الفعل على ﴿إنهم لا يعجزون﴾: أي على أنه قائم مقام مفعوليه وإن كلمة 'لا' زائدة والمعنىٰ :لا يحسبن الذين كفروا حال كونهم مفلتين منهزمين يوم بدر أنهم يعجزوننا .

قوله:اسم للخيل التى تربط: أي الرباط اسم للخيل التى تربط في سبيل اللّٰه.

تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ لا تعرفونهم بأعيانهم ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ يعرفهم﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾جزاؤه﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ[٦٠]﴾ بتضييع العمل أو نقص الثواب.

﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام وإلى﴿لِلسَّلۡمِ﴾للصلح أو الاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال:

" السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع "

وقرئ فاجنح بالضم ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا تخف من إبطانهم خداعا فيه فإن الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ[٦١]﴾ بنياتهم والاية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾ فإن محسبك الله وكافيك قال جرير: "إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا "

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٦٢]﴾جميعا.

﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ مع ما فيهم من العصبية والضغينة فى أدنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته - صلى الله عليه وسلم -وبيانه ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ أى تناهي عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ﴾بقدرته البالغة فإنه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده﴿حَكِيمٞ[٦٣]﴾يعلم أنهكيف ينبغي أن يفعل ما يريده وقيل: الآية في الأوس والخزرج كان بينهم محن لا أمد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارًا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ كافيك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٦٤]﴾إما في محل النصب على المفعول معه كقوله:

إذا كانت الهيجاء واشتجر القنا فحسبك والضحاك وسيف مهند

أو الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين، أو الرفع عطفا على اسم الله تعالى أي كفاك الله والمؤمنون ، و الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي- صلى الله

---

قوله:علىٰ نقيضها: وهو الحرب فإنه مونث سماعي .

قوله:جرع: أي قليل وهو جمع جرعة والجرعة من الماء حسوة منه.

عليه وسلم ـ ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: نزلت في إسلامه

﴿ يـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ بـالغ في حثهم عليه وأصله الحرض وهـو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرىء "حرص" من الحرص ﴿إِن يَكُن مِّـنـكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ شرط فـي معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والـوعـد بأنهم أن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقـرأ ابـن كثيـر ونـافـع وابـن عامر" تكن" بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في "وإن تكن منكم مائة" ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ[٦٥]﴾ بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان.

﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ لما أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهـم وثـقـل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل: كـان فيهم قلة فأمروا بذلك ثـم لما كثروا خفف عنهم وتـكرير المعنى الواحد بـذكر الأعداد المتناسبة للدلالة

---

قـوله:وهوأن ينهكه المرض حتىٰ يشفي على الموت: قال الجوهري: يقال أنهكته الحمى إذا جهدته واضنته ونقصت لحمه. وأشفى على الشيء أشرف عليه وأشفى المريض على الموت

قـوله: شرط في معنى الأ مر بمصابرة الواحد للعشرة: والمعنى :يا أيها النبى حرض الـمومنين على القتال قائلا صابروا في مقابلة عشرة أمثالكم فإنكم إن صبرتم تغلبون عليهم أو ليـصبـر واحد منكم في مقابلة عشرة منهم .فإنه إن صبر يغلب علىٰ عشرة منهم فعشرون يغلبون عليى مأ تين .

قوله: كان فيهم قلة فأمروا بذلك: أي بالصبر مع الوعد بأنهم إن صبروا يغلبون لئلا يدسهم العدو ويستأصلهم.

قـوله:وتكرير المعنىٰ الواحد: يعني كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها بـالأعداد المتناهية بأن يكون النسبة بينهما قبل التخفيف فنسبة العشرين بعدالتحقيق نسبةالنصف فـإن الـعشـرين عشر، وذلك للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحد لايتفاوت إذ الحال قد يتـفـاوت بيـن مقاومة العشرين المأ تين والمائة والالف لايقاوم العشرون المائة فإذا بلغ العدد إلىٰ مائة مع ألف لا يكون الحكم كذلك ، وكذلك بينمقاومة المائة المأتين والألف الألفين.

علـى أن حـكـم الـقـلـيـل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متـفـاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراء ة عاصم وحمزة والضم وهو قراء ة الباقين ﴿وَاللّٰهُ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ[٦٦]﴾بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ وقـرىء للنبي على العهد﴿أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرٰى﴾ وقرأ البصريان بالتاء ﴿حَتّٰى يُثْخِنَ فِيْ الْأَرْضِ﴾ يـكـثـر الـقـتـل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسـلام ويستـولى أهله مـن أثـخـنـه الـمـرض إذا أثقله وأصله الثخانة وقـرىء "يثخن" بالتشديد للمبالغة ﴿تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذكم الفداء ﴿وَاللّٰهُ يُرِيْدُ الآخِرَةَ﴾ يـريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل ثواب الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه، وقرىء بجر الآخرة على إضمار المضاف كقوله:

أكل امرء تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا

﴿وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ﴾ يغلب أولياء ه على أعدائه ﴿حَكِيْمٌ[٦٧]﴾ يعلم ما يليق بكل حال ويـخـصه بها كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبيـن الـمـن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين، روى أنه عليه السلام أتى يوم بدر بسبعيـن أسيـرا فيهـم الـعبـاس وعقيل بن أبى طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر رضى الله تـعالى عنه: قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقـال عمر رضى الله تعالى عنه: اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مـكـنـى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فنضرب أعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ وقال: إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللين وان الـله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قـال:﴿ فـمـن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾ ومثلك يا عمر مثل نوح ﴿قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ فخير أصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمررضى الـله تعالى عنه على رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال: يا رسول الـلـه، أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال: ابك على أصحابك في أخذهم الفداء

---

وذلك أن النسبة متحدة بين القليل والكثير قبل التخفيف وكذلك بعد التخفيف.

قوله:من أثخنه المرضى إذا أثقله :فيكون الأرض بسبب القتلى ثقيلا وذا يوجب كثرة القتلى .

قوله:وأصله الثخانة: وهى الغلظ والصلب .

ولـقـد عـرض عـلـى عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ لولا حكم من الله سبق إثباته فى اللوح المحفوظ وهو أن لا يـعـاقب المخطي فى اجتهاده أو أن لا يـعـذب أهـل بدر أو قوما بما لم يصرح لهم بالنهى عنه أو أن الفدية التى أخذوها ستحل لهم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ لنالكم ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ[٦٨]﴾ روى أنه عليه الصلاة والسلام قال: لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لأنه أيضا أشار بالأثخان.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ مـن الفدية فإنها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فـنـزلـت والـفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره: أبحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم أن الأمر الوارد بعد الحظر للاباحة ﴿حَلَٰلاً﴾ حال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكـلا حـلالا وفـائـدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الأوليـن ولذلك وصفه بقوله ﴿ طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ فـي مخالفته﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رَّحِيمٌ[٦٩]﴾ أباح لكم ما أخذتم.

﴿يَـٰأَيُّهَـا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيۤ أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ﴾ وقـرأ أبو عمرو من الأُسارى ﴿إِن يَّعْلَمِ اللَّهُ فِيۤ قُلُوبِكُمْ خَيْراً﴾ إيمانا وإخلاصا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء روي أنهـا نـزلـت فـي العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله ـ صـلـى الله عليه وسلم ـ أن يـفـدى نـفسـه وابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد: تركتني

---

قـولـه:وهـو أن لا يعاقب المخطئ في اجتهاده: وكان هذا اجتهاداً منهم وخطاءً فيه لأنهـم نـظـروا فـي أن استبـقـائهـم ربـمـا كان سببا في إسلامهم وإن فدائهم يتقوى به على الجهاد وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراء هم .

قـوله:أمسكوا عن الغنائم :أي كفواالأيدي عنها فعلى هذايكون الآية الأولى نزلت فأمسكوا ثم نزلت الأية الثانية بخلاف الوجه الأول فإن الآيتين نزلتامعا فيه.

قوله:أو حرمتها: أي الغنائم على الأمم السالفة .

قـولـه:﴿إن يـعـلـم الله فـي قـلوبكم خيرا﴾ إيمانا وإخلاصا: أيإن يعلم الله فيما سيأتـى إيـمـانـا وإخلاصا ويظهر إخلاصكم وإن كان بعضكم أمنوا الآن واخذ منه الافتداء كالعباس.

أتكفف قريشا ما بقيت فقال: أين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها إني لا أدرى ما يصيبنى في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك؟ قال: أخبرني به ربي تعالى قال: فأشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل، قال العباس: فأبدلني الله خيرًا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[٧٠]﴾

﴿وَإِن يُرِيدُواْ﴾ يعني الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نقض ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُواْ اللَّهَ﴾ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴿مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ أى فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ[٧١]﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ هم المهاجرون هجروا أوطانهم حبا لله ولرسوله ﴿وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ﴾ فصرفوها فى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج ﴿وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بمباشرة القتال ﴿وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ﴾ هم الأنصار آووا المهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿أُوْلَـٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فى الميراث وكان المهاجرين والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله: "وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض" أو بالنصرة والمظاهرة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ﴾ أى من توليهم فى الميراث وقرأ حمزة "ولايتهم" بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد فإنه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٧٢]﴾.

---

قوله: با لكفرو نقض ميثاقه الماخوذ بالعقل: أي بكفرهم ونقضهم ميثاقه الذى أخذه عليهم با لعقل بل على كل عاقل.

قوله: تشبيها لها بالعمل والصناعة: يعني أن فعاله با لكسر في المصادر إنما يجيء في الصنائع وما يزال ويعالج كا لكتابة والصناعة والولاية ليست من هذاالقبيل فشبه بالعمل والصناعة كأنه يتولى بعضهم بعضا يزاول عملا.

﴿وَالَّـذِيـنَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فـي الـميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث أو المؤازرة بينهم وبين المسلمين ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ إلا تفعلوا ما أمرتم به مـن التـواصـل بيـنـكـم وتـولـى بـعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ تـحـصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ[٧٣]﴾ في الدين وقرىء "كثير".

﴿وَالَّـذِيـنَ آمَـنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾ لـما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بيـن أن الكاملين في الإيمان منهم هم الـذيـن حـقـقـوا ايـمـانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[٧٤]﴾ لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهن ويتسم بسمتهم فقال:

﴿وَالَّـذِيـنَ آمَـنُـواْ مِـن بَـعْـدُ وَهَـاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ﴾ أى من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في التوارث من الأجانب ﴿فِي كِتَابِ اللّهِ﴾ فـي حـكـمه أو في اللوح أو في القرآن واستدل به على توريث ذوي الأرحام ﴿إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [٧٥]﴾ من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة الإسـلام والمظاهرة أولاً واعتبار القرابة ثانيًا،عن النبي-صلى الله عليه وسلم-"من قرأ سورة الانفال وبراءة فـأنـا شـفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطى حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته" .

---

قـولـه:تـحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهورا لكفر: لأن المسلمين مالم يصريداً واحداً على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائداً ويضعف الإيمان .

قـولـه:لـمـاقسم المومنين ثلثة أقسام: الأول الذين هاجروا وجاهد وا في سبيل اللّٰه وهـم الـمهـاجـرون .والثـانـي الذين أووا و نصروا وهـم الأنصار. والثالث الذين أمنوا من بعد وهـاجـروا وجـاهـد وا مـعـكـم وهم اللا حقون بعد السابقين إلى الهجرة والقسمان الأولا ن هماالكاملان في الإيمان والثالث لا حق بهم ومعد من جملتهم .

# سورة التوبة

مدنيةوآياتها تسع وعشرون وما ئة

وقيل إلا آيتين من قوله :﴿ لقد جاء كم رسول﴾

وهى آخر ما نزل ولها أسماء أُخر: التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين، والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيُها مائة وثلاثون، وقيل: تسع وعشرون، وانما تركت التسمية فيها ؛لأنها نزلت لرفع الامان وبسم الله أمان، وقيل: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها؛ لأن في الأنفال ذكر العهود، وفى براء ة نبذها فضمت إليها، وقيل: لما اختلفت الصحابة في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله.

﴿ بَرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أى هذه براء ة ،و"من" ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله، ويجوز أن تكون براء ة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ[ ١]﴾ وقرىء بنصبها على اسمعوا براء ة والمعنى أن الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين، وإنما علقت البراء ة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة

---

قوله:لما فيها من التوبة للمؤمنين: كقوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصارالذين اتبعوه في ساعة العسرة إلىٰ قوله وعلى الثلثة الذين خلّفوا﴾ .

قوله:تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله: أماأنها تركت بينهما فرجة فلقول من قال: إنها سورتان وأماأنها تركت بسم الله فلقول من قال: إنها سورة واحدة.

قوله:أي هذه براء ة: هذه البراء ة والنبذ براء ة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين قد براتا من العهد الذين عاهدتم به من المشركين وإنه منبوذ إليهم.

بإذن الله تعالى واتفاق الرسول فإنهما بريء ان منها وذلك أنهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا إلا أناسا منهم بنو ضمرة وبنو كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاء وا فقال:

﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لأنها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر لما روى أنها لما نزلت أرسل رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) عليا رضى الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر رضى الله تعالى عنه أميرا على الموسم فقيل له: لو بعثت بها إلى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى إلا رجل منى فلما دنا على رضى الله تعالى عنه سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ فلما لحقه قال أمير أم مأمور، قال: ما مور، فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال أيها الناس إنى رسول الله إليكم فقالوا بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذى عهد عهده ولعل قوله ـصلى الله عليه وسلمـ لا يؤدى عني إلا رجل مني ليس على العموم فإنه ـصلى الله عليه وسلمـ بعث لأن يؤدى عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فإن عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة إلا رجل منها ويدل عليه أنه فى بعض الروايات لا ينبغى لأحد

---

قوله:ليسيروا أين شاء وا:و لا يتعرض لهم وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها.

قوله:لأن التبليغ :أي تبليغ السورة كان في يوم النحر وإن كانت نزلت في شوال.

قوله:العضباء: العضباء مشقوقة الإذن وقيل: العضباء لقب لناقة رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه واله وسلم ولم تكن مشقوقة الأُذن.

قوله:الرغاء: وهو صوت الإبل.

قوله:أمرت بأربع: أي بخصال أربع.

قوله:فإن عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة إلا رجل منها: فلو تولاه لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينافي نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي اللّٰه تعالىٰ عنه.

أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ[٢]﴾ بالقتل والأسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ أى إعلام فعال بمعنى الإفعال كالأمان والعطاء ورفعه كرفع "براءة" على الوجهين ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم العيد لأن فيه تمام الحج معظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال: هذا يوم الحج الأكبر، وقيل: يوم عرفة لقوله: ـ صلى الله عليه وسلم ـ "الحج عرفة" ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر، أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أي بأن الله ﴿بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أى من عهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ عطف على المستكن في "برىء" أو على محل "أن" واسمها في قراءة من كسرها إجراء للأذان مجرى القول وقرىء بالنصب عطفا على اسم "أن" أو لأن الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فإن قوله براءة من الله إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾

---

قوله: على الوجهين: أي خبر مبتدأ ومبتدأ أي هذا الأذان أذان من الله ورسوله. أو أذان من الله ورسوله هذا الإعلام وهو أن الله بريء من المشركين ورسولُه.

قوله: لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله: من الطواف والنحر والحلق والرمي.

قوله: فإنه أكبر من باقي الأعمال: ومعظم واجباته لأنه إذا فات فات الحج.

قوله: لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب: ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر.

قوله: في قراءة من كسرها: لأن المكسورة لا يغير الجملة فكان اسمها باقياً على اسميتها وإن محلها الرفع وأما أن المحل بمجموع إن مع اسمها فمن تسامحاتهم كما صرح به صاحب التعليق في كون المحل بمجموع لا لنفي الجنس مع اسمها.

قوله: ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين: لأن الأذان عام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد، ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث بخلاف البراءة فإنها مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم.

من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ﴾ فالتوب ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة أو تبتم على التولى عن الإسلام والوفاء ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ﴾ لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [٣]﴾ في الآخرة.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ استثناء من المشركين أو استدراك فكأنه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً﴾ من شروط العهد ولم ينكثوه أو لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً﴾ من أعدائكم ﴿فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [٤]﴾ تعليل وتنبيه على أن إتمام عهدهم من باب التقوى.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ انقضى وأصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة ﴿الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ التى أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للإجماع فإنه يقتضى بقاء حرمة الأشهر

---

قوله: عن التوبة أوثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء: يعني أن المراد التولي عن التوبة وهو الظاهر وحينئذ لاحاجة إلى التاويل لأن المراد التوبة الحادثة بعد أذان من الله ورسوله إلى الناس براءتهما عن المشركين وهو لم يكن قبل أو التولي عن الإسلام والوفاء وهو كان فيما سبق من الزمان فلابد من التأويل بالثبات عليه.

قوله: طلبا: تميز عن نسبة المفعول أو الفاعل أي لا يفوتون عن طلبه أو لا يفوت طلبه منهم.

قوله: استثناء من المشركين أو استدراك: لأنه إما استثناء متصل من المشركين في قوله: برأة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. أو في قوله: إن الله بريء من المشركين. أو استثناء منقطع بمعنى لكن.

قوله: التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها: يعني أن المراد بالأشهر الحرم أربعة أشهر أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وهي شوال إلى أخر ما ذكر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها أو حرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب يعني غلب ذوالحجة والمحرم لأنهما من الأشهر الحرم وسموا بالأشهر الحرم بالاتفاق على صفر وربيع الاول وبعض من ربيع الآخروكذاعلى شوال لأنها ليست من الأشهر الحرم وسموا بالأشهر الحرم .

قوله: وهذا مخل بالنظم: لأن الكلام سيق للأمر بأن يسيحوا أربعة أشهر فالمراد بالانسلاخ انسلاخ تلك الأشهر لاغيرها من الأشهر الحرم وأما أنه اختلاف الإجماع

الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾ الناكثين ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من حل أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وأسروهم والأخيذ اليسير ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام ﴿وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ عن الشرك بالإيمان ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَوةَ﴾ تصديقا لتوبتهم وإيمانهم ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [٥]﴾ تعليل للأمر أى فخلوهم لأن الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف وعدلهم الثواب بالتوبة.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ المأمور بالتعرض لهم ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك وطلب منك جوارك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ فأمنه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ موضع أمنه إن لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل ﴿ذَلِكَ﴾ الأمن أو الأمر ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ [٦]﴾ ما الإيمان وما حقيقة ما تدعوهم إليه فلا بد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ استفهام بمعنى الإنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم أو لأن يفى الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر "يكون" "كيف" وقدم للاستفهام أو للمشركين أو عند الله وهو على الأولين صفة للعهد أو ظرف له أو لـ"يكون" و"كيف" على الأخيرين حال من العهد و للمشركين إن لم يكن خبرا فتبيين ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هما المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء أو الجر على البدل أو الرفع على

---

فلأن الإجماع على أن حرمة الأشهر الحرم منسوخ وهذا يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد هذه الأية ما ينسخ حرمتهما بخلاف ما لو كان المراد هذه الأربعة فإنها أربعة مخصوصة أباح السيح فيها فقط لا في هذه الأربعة في كل سنة حتى يتصور النسخ فيها هذا لكن دعوى الإجماع محل تأمل فإن نسخ بقاء حرمة المقاتلة في الأشهر الحرم عند الجمهور كما سيأتي.

قوله: وللمشركين إن لم يكن خبرا فتبيين :أي قوله للمشركين على تقدير أن لا يكون خبراً يكون متعلقاً بعهد بياناً له كما في قوله:﴿ فلما بلغ معه السعي﴾ على ما قرره الرضي أن معمول المصدر يتقدم عليه إذا كان ظرفا.

أن الاستثناء منقطع أى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ أى فتربصوا أمرهم فإن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله:"فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم" غير أنه مطلق وهذا مقيد و"ما" تحتمل الشرطية والمصدرية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ[٧]﴾ سبق بيانه.﴿كَيْفَ﴾ تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله:

وخبرتماني أنما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب

أي فكيف مات﴿ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾أي وحالهم أنهم إن يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ ﴾لا يراعوا فيكم ﴿إِلًّا﴾حلفا وقيل: قرابة، قال حسان:

لعمرك إن الك من قريش كإل السقب من رأل النعام

وقيل:ربوبية ولعله اشتق للحلف من الإل وهو الجؤار لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ألل الشيء إذا حدده أو من آل البرق إذا لمع وقيل إنه عبرى بمعنى الإله لأنه قرء إيلا كجبرئل وجبرئيل ﴿ وَلَا ذِمَّةً ﴾ عه دا أو حقا يعاب على إغفاله ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل

---

قوله:فتربصوا أمرهم: أي لاتقاتلوهم.

قوله:وهو كقوله فأتموا إليهم عهدهم :يعني أن معناهما واحد وهو الوفاء بالعهد إلا أنه مطلق وهذا مقيد باستقامتهم لكم على العهد.

قوله:والمصدرية :أي استقيموا لهم استقامتهم لكم أو بسبب استقامتهم لكم على أن الفاء في "فاستقيموا" سببية وعلى الأول تكرار للفاء في" فمااستقاموا".

قوله:وخبرتماني :يرثى أخاه ويقول: أخبرتموني أن الموت مختص بالحضر فكيف مات أخي في البادية التي فيها هاتان الجبلان ،والهضبة والقليب جبلان بالبادية.

قوله:لعمرك إن إلّك من قريش... كإلّ السقب من زال النعام. السقب ولد الناقة والرال ولد النعام والخطاب لأبي سفيان استهزاء يعني لا قرابة بينك وبين قريش كما لا قرابة بين ولد الناقة وولد النعام وإن كان بينهما مناسبة في الصورة.

قوله: ولا يجوز جعله حالا: رد على القوم حيث ذهبوا إلى الحالية.

"لا يرقبوا" فإنهم بعد ظهورهم لا يرضون ولأن المراد إثبات إرضائهم المؤمنين بوعد الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث إن ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ ما تتفوه به أفواههم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ[٨]﴾ متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الأكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر إلى أحدوثة السوء.

﴿اشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾استبدلوا بالقرآن﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾ عرضا يسيرا وهو اتباع الأهواء والشهوات ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ﴾ دينه الموصل إليه أو سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على أن اشتراء هم أداهم إلى الصد﴿إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[٩]﴾ عملهم هذا أو ما دل عليه قوله.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِىْ مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ فهو تفسير لا تكرير وقيل الأول عام فى الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود أو الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم﴿وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ[١٠]﴾فى الشرارة.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾عن الكفر﴿وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَآتَوُاْ الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِىْ الدِّيْنِ﴾ فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم﴿وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[١١]﴾ اعتراض للحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين أوخصال التائبين.

﴿وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ وإن نكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان أو الوفاء بالعهود ﴿وَطَعَنُواْ فِىْ دِيْنِكُمْ﴾ بصريح التكذيب وتقبيح الأحكام ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أى فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوى

---

قوله: والحالية تنافيه: أي المقصود لأن الحال يدل على إرضائهم وقت ظهورهم والمقصود إرضائهم في الحال الحاضرة مع استبطان الكفر والمعاداة بحيث إن ظفروا لم يبقوا على المؤمنين بل يبسطوا أيديهم ويقاتلوهم.

قوله:تز عهم: وزعته أي كففته .

قوله:أو مادل عليه قوله ﴿لا يرقبون﴾: يعني أن المخصوص بالذم إما الصد عن سبيله أو عدم رقبتهم وحينئذ يكون قوله:لا يرقبون. تفسير لقوله :﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾لا تكرير لقوله﴿ لا يرقبون في مؤمن إلّا وَّلَا ذِمَّةٌ﴾.

الرئاسة والتقدم فى الكفر أحقاء بالقتل وقيل: المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالتخصيص إما لأن قتلهم أهم وهم أحق به أو للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب "أئمة" بتحقيق الهمزتين على الأصل والتصريح بالياء لحن ﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أى لا إيمان لهم على الحقيقة وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذمى إذا طعن فى الإسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لأن المراد نفى الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله تعالى﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ [التوبة:١٢] وقرأ ابن عامر لا أيمان لهم بمعنى لا أمان أو لا إسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعنى لا يؤمنون على الإخبار عن قوم معينين أو ليس لهم إيمان فيراقبوا لأجله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ[١٢]﴾ متعلق بـ" قاتلوا" أي ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا إيصال الأذية بهم كما هو طريقة المؤذين.

---

قوله:للمنع عن مرا قبتهم :يعنى تخصيصهم لأجل أنهم محل للمراقبة والرعاية لأجل ريا ستهم فمنع عن ذلك وأوجب القتل عليهم .

قوله:بتحقيق الهمزتين على الأصل :وذلك أن أ صلها أئمة لأنها جمع إمام كعماد وأعمدة فنقلت الحركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الأخرىٰ فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها .

قوله:والتصريح بالياء لحن: أي من حيث القراء ة كذ افي الكشاف وفي الشاطبية وقال صاحب التعليقات: وأما محض الياء فلحن لم يقرأ بها قاري معتبر، وقال صاحب المدارك أئمة همزتين كوفي وشامي والباقون بهمزة واحدة غير ممدود بعدها ياء مكسورة .

قوله:وهو ضيعف لأن المراد نفي الوثوق عليها لأنها ليست بأيمان لقوله تعالىٰ:﴿وإن نكثوا أيمانهم ﴾[التوبة:١٢]:قيل وإنما أثبتم الأيمان في قوله:﴿ وإن نكثوا أيمانهم ﴾لأنه أراد أيمانهم التى أظهروهاثم قال لاأيمان لهم على الحقيقة ولعل ذلك أن صميم القلب وخلوصا للاعتقاد شرط في اليمين كما في الشهادة فعلى هذالا يتوجه ما قال المصنف على الحنفية.

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً ﴾ تحريض على القتال لأن الهمز ة دخلت على النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل ﴿نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ﴾ التى حلفوها مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة ﴿ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ حين تشاوروا فى أمره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله:"وإذ يمكر بك الذين كفروا"وقيل: هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة ﴿وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ بالمعاداة والمقاتلة لأنه صلى الله عليه وسلم بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم ﴿ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾ فقاتلوا أعداء كم ولا تتركوا أمره ﴿إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ[١٣]﴾ فإن قضية الإيمان أن لا يخشى إلا منه.

﴿ قَاتِلُوهُمْ ﴾ أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ وعد لهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم وإذلالهم ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ[١٤]﴾ يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا إلى رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فقال أبشروا فإن الفرج قريب.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ﴿وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ ﴾ ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرىء"ويتوب" بالنصب على إضمار أن على أنه من جملة ما أجيب به الأمر فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما كان وما سيكون ﴿حَكِيمٌ[١٥]﴾لا يفعل ولا يحكم إلا على وفق الحكمة.

---

قوله:لأن الهمزة دخلت على النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل: لأنه إذا انتفى النفي لم يبق إلا الفعل فلا جرم أن يقدم عليه فيحرض عليه.

قوله:على خزاعة: وهم مومنون.

قوله:بعد بيان موجبة والتوبيخ على تركه :بقوله:﴿ إن كنتم مومنين﴾ والموجب هو نكث الأيمان وأنهم بإخراج الرسول .

قوله:لمالقوا منهم: من المكروه.

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين و"أم" منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ﴿أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد به نفي المعلوم لمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ﴾عطف على "جاهدوا"داخل في الصلة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗ ﴾ بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم وما في"لما"من معنى التوقع منبه على أن تبين ذلك متوقع ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ[١٦]﴾ يعلم غرضكم منه وهو كالمزيج لما يتوهم من ظاهر قوله:﴿ ولما يعلم الله﴾.

﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ما صح لهم ﴿أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ الله ﴾ شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام، وقيل هو المراد وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب بالتوحيد ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِ﴾ بإظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له على رضى الله تعالى عنه فى القول فقال ما بالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا أنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبةونسقى الحجيج ونفك العاني فنزلت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ التى يفتخرون بها بما قارنها من الشرك ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ[١٧]﴾لأجله.

---

قوله:وأراد به نفي المعلوم: أي لم يتحقق الذين جاهدوا منكم حتىٰ يتعلق العلم بوقوعه فيكون معنى قوله: إن تعلق العلم بوقوعه مستلزم لوقوعه إن يتحقق الوقوع أولا يتعلق به العلم كما في اللازم المتقدم، وحينئذ يكون تعلق العلم بالوقوع لازما والوقوع ملزومابمعنى التابع والمتبوع على ماهو مصطلح البيان وأن المراد من اللزوم اللزوم في الجملة لا اللزوم الذهني فلا يرد ما قيل الوجه أن يقال من حيث إن نفي علم اللّٰه تعالىٰ مستلزم لعدمه إذ لولم يكن معد وما لوجب علم اللّٰه تعالىٰ به لاحاطة علمه بجميع الأشياء أو من وقوعه يستلزم العلم به .

قوله:﴿ولم يتخذوا من دون اللّٰه ولا رسوله ولا المومنين وليجة ﴾:أي لم يتخذوا بطانة ومحبة من المشركين يوالونهم بسببها ويفشون إليهم أسرارهم .

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسٰجِدَ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلٰوةَ وَآتَى الزَّكٰوة ﴾ أى إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودروس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى: "إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره" وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول - صلى الله عليه وسلم: لما علم أن الإيمان بالله قرينة وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة عليه ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللّٰهَ﴾ أى فى أبواب الدين فإن الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها ﴿ فَعَسَىٰ أُوْلَـٰئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ[١٨]﴾ ذكره بصيغة التوقع قطعا لأطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجٰهَدَ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ السقاية والعمارة مصدرأسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحآج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله ﴿ لَا يَسْتَوُوْنَ عِنْدَ اللّٰهِ ﴾وبين عدم تساويهم بقوله﴿وَاللّٰهُ لَا يَهْدِىْ الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْن [١٩]﴾أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول - صلى الله عليه وسلم - منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب، وقيل: المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين

---

قوله:لما علم أن الإيمان با لله قرينة: أي قرين الإيمان با لرسول لاقترانهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها وفي ذكرالإيمان بالله دلالة علىٰ الإيمان با لرسول.

قوله:أي في أبواب الدين: جواب عمايقال كيف قيل:﴿ ولم يخش الاالله﴾ مع أن المؤمن يخشىٰ المحاذير .

قوله:وتوبيخا لهم :أي للمشركين بجز مهم بأ نهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنىٰ .

﴿ اَلَّذِيْنَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّٰهِ ﴾ أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم ﴿وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ[٢٠]﴾ بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَّجَنّٰتٍ لَّهُمْ فِيْهَا﴾ في الجنات ﴿نَعِيْمٌ مُّقِيْمٌ[٢١]﴾ دائم وقرأ حمزة "يبشرهم"بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف. ﴿ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا أَبَداً ﴾ أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل ﴿إِنَّ اللّٰهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيْمٌ[٢٢]﴾يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أو نعيم الدنيا.

﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى: لاتتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ﴿ إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيْمَانِ ﴾ إن اختاروه وحرصوا عليه ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظّٰلِمُونَ[٢٣]﴾ بوضعهم الموالاة في غير موضعها.

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُمْ ﴾ أقرباؤكم مأخوذ من العشرة، وقيل: من العشرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر ، وعشيراتكم ، وقرىء "وعشائركم" ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ فوات وقت نفاقها ﴿وَمَسٰكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّٰهِ

---

قوله:أو من أهل السقاية والعمارة عند كم: أي هم أعظم عندكم لاعند اللّٰه .

قوله:إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف: يعني لا يدخل تحت وصف واصف وتعريف معرف وتعيين معين .

قوله:لأجله: أي لأجل ما ذكر من الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل اللّٰه بأموالهم وأنفسهم .

قوله:إن استحبوا الكفر على الإيمان :حيث إرتد وا وهو ظاهر في نزوله في شأن التسعة المرتدين نهياً عن موالاتهم .

قوله:من العشر ة: أي المخالطة، قال الجوهري المعاشرة المخالطة وكذلك التعاشروالاسم العشرة.

وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ﴾ الحب الاختيارى دون الطبيعى فإنه لا يدخل تحت التكليف فى التحفظ عنه ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَسِقِينَ[٢٤]﴾ لا يرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ يعنى مواطن الحرب وهى موقعها ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر فى أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال قوله ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ منه أن يعطف على موضع فى مواطن فإنه لا يقتضى تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم وإعجابها إياهم فى جميع المواطن، و حنين: واد بين مكة والطائف حارب فيه

---

قوله:وقل من يتخلص عنه :أي عن التشديد العظيم إذ لايجدأورع الناس عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائروالمال وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله .

قوله:يعني مواطن الحرب :كوقعة بدرو قريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة.

قوله:وموطن يوم حنين :إشارة إلىٰ دفع مايقال كيف عطف الزمان ويوم حنين على المواطن، وذلك أنه إما على حذف المضاف إما في المعطوف أو المعطوف عليه أو على أن المواطن اسم زمان كمقتل حسين.

قوله:ولا يمنع إبدال قوله﴿ إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾منه: إشارة إلى دفع ما قال صاحب الكشاف: الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر. وموجب ذلك أن قوله ﴿إذا أعجبتكم﴾ بدل من ﴿يوم حنين﴾ فلو جعلت ناصبة هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبة فعلا خاصا ووجه الدفع أن الإبدال من 'يوم حنين' لا يقتضي مشاركة المعطوف والمعطوف عليه فيما نسب إليه المعطوف وتعلق به وهو البدل حتى تقتضي كثرتهم وإعجابهم في جميع المواطن.

قوله:من الطلقاء: أي الذين استرقهم رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم يوم فتح مكة ثم أعتقهم وقلّ القوم بالفتح منهزمهم يستوي فيه الواحد والجمع.

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون وكانوا اثنى عشر ألفا العشرة الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا إليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أبو بكر رضى الله تعالى عنه أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله ـصلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذًا بلجامه وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، فكروا عنقا واحدا يقولون: لبيك لبيك، ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال ـصلى الله عليه وسلم ـ هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ كفا من ترابٍ فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ أى الكثرة شيئا من الإغناء أو من أمر العدو ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ برحبها أى بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾ الكفار ظهوركم﴿ مُّدْبِرِينَ[٢٥]﴾منهزمين والإدبار الذهاب إلى خلف خلا ف الإقبال.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ رحمته التي سكنوا بها وأمنوا ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾الذين انهزموا وإعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل: هم الذين ثبتوا

---

قوله:وناهيك بهذا شها دة :أي حسبك هذا شاهدة والصيت شديد الصوت وأصحاب الشجرة أي الذين بايعوا تحت الشجرة وأما إنهم أصحاب سورة البقرة فلأن فضل الشها دة بين في سورة البقرة فنبه بالنداء أن يكونوا حاضري القلب بفضل الشهادة وبيعة الرضوان التي تحت الشجرة حتى يرجعوا فيكرّوا كذا في التفسير الشهابي. ويمكن أن يكون وجهه أن الله تعالىٰ وصفهم بأنهم أمنوا بالله وباليوم الأخر كما ينبغي وأنهم على هدى من ربهم وأنهم المفلحون لا كإيمان اليهود بهما ولذلك أمر بقتالهم وقال:قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولاباليوم الآخرأي على ما ينبغي وذلك أن إيمانهم بهما كما ينبغي يوجب الإقبال على القتال لا الانهزام والفرار ويشعر بذلك قول المصنف فيما بعد أي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بينّاه في أول البقرة.

قوله:للتنبيه على اختلاف حاليهما :وهو الانهزام وعدم الانهزام حيث انهزموا ولم

مع الرسول ـصلى الله عليه وسلم ـولم يفروا ﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ بأعينكم أى الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف الأقوال ﴿وَعذَّبَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ﴾ بالقتل والأسر والسبي ﴿وَذٰلِكَ جَزَآء الْكٰفرين[٢٦]﴾ أي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَلَى مَن يَشَآءُ﴾ منهم بالتوفيق للإسلام ﴿وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيْمٌ[٢٧]﴾ يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي أن ناسا منهم جاء وا إلى رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ وأسلموا وقالوا: يا رسول الله، أنت خير الناس وأبرهم وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وقد سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال ـصلى الله عليه وسلم: اختاروا إما سباياكم وإما أموالكم، فقالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلمـ وقال: إن هؤلاء جاء وا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا: رضينا وسلمنا، فقال: إني لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنهم قد رضوا.

﴿يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب وقرىء"نجس" بالسكون وكسر النون وهو كـ"كبد" في كبد وأكثر ما جاء تابعا لرجس ﴿فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ لنجاستهم وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم وقيل: المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر

---

ينهزم صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم، وقيل: المراد بالمؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله ولم يفرّوا فعلى هذا يكون وجه الإعادة استحقاقهم السكينة استقلالا.

قوله:وأكثر ما جاء تابعا لرجس: أي أكثر مجيء نجس حاصل حال كونه تابعا لرجس يقال: رجس نجس.

قوله:وإنما نهي عن الاقتراب للمبالغة: أي للمبالغة في النهي عن دخول المسجد الحرام.

قوله:أو للمنع عن دخول الحرم: لأن الدخول في أرض الحرم أقرب من المسجد الحرام.

المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقراً بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والأرزاق ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من عطائه أو تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدرارا ووفق أهل تبالة وجرش فأسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض وقرىء "عائلة" على أنها مصدر كالعافية أوحال ﴿إِن شَاء﴾ قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال إلى الله تعالى ولينبه على أنه تعالى متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ﴿إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ[٢٨]﴾ فيما يعطي ويمنع

﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أى لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في أول البقرة فإن إيمانهم كلا إيمان ﴿وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل: رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ﴿وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ بيان للذين لا يؤمنون ﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ﴾ ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى دينه إذا قضاه ﴿عَن يَدٍ﴾ حال من الضمير أى في "يعطوا" عن يد مؤاتية بمعنى منقادين أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدى

---

قوله: قيده بالمشية لتنقطع الآمال إلى الله تعالى: يعني إن خفتم عن الفقر فسيحصل لكم الغناء بمشية الله تعالىٰ فعلقوه إلىٰ مشيته ففيه تعليم لتعليق الأمور بمشية الله تعالىٰ لينقطع الآمال إلى الله تعالى، وفي هذا رد على صاحب الكشاف حيث قال بناء على مذهب الاعتزال أن الأصلح واجب على الله تعالىٰ معنى قوله إن شاء أن أوجبت الحكمة أغناكم وكان مصلحة لكم في دينكم وتنبيه على أنه متفضل في الإغناء لا واجب عليه وأنتم مستحقون عليه ذلك.

قوله: من جزى دينه إذا قضاه: ففيه دلالة على أن الجزية لا يلزم إلا بعد التقرير ولهذا قال ما يقرر عليهم.

قوله: أي عن يد مؤاتية: أي موافقة يقال أتيته على ذلك الأمر مؤاتية إذا وافقته وطاوعته فالمعنى منقادين غير ممتنعين.

غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو عن إنعام عليهم فإن إبقاء هم بالجزية نعمة عظيمة أو من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد إلى يد ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ[٢٩]﴾ أذلاء، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذها من مجوس هجر وأنه قال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لأن لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم إلا من مشركي العرب لما روى الزهرى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب، وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر إلا المرتد وأقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى على الغني ثمانية وأربعون درهما، وعلى المتوسط نصفها، وعلى الفقير الكسوب ربعها، ولا شيء على الفقير غير الكسوب.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا أنه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى ويعقوب "عزير" بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراء ة الأخرى إما لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لأنه يؤدى إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر ﴿وَقَالَتِ

---

قوله: أو من الجزية: عطف على من الضمير.

قوله: لأنه يودي إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر: لأن الإنكار والتصديق إنما يتوجهان إلى النسبة الخبرية لا التوصيفية.

النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ﴾ هو أيضا قول بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إله ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفى للتجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الأفواه ولا يوجد مفهومه فى الأعيان ﴿يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ﴿مِن قَبْلُ ﴾ أى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة: المشابهة والهمزة لغة فيه وقرأ به عاصم ومنه قولهم: امرأة ضهيأ على فعيل للتى شابهت الرجال فى أنها لا تحيض ﴿قَاتَلَهُمُ اللّهُ ﴾ دعاء عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم ﴿أَنَّى يُؤْفَكُون [٣٠]﴾ كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل.

﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾ بأن أطاعوهم فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم ﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ بأن جعلوه ابنا لله ﴿وَمَا أُمِرُواْ ﴾ أى وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ﴾ ليطيعوا ﴿إِلـهاً وَاحِداً ﴾ وهو الله تعالى وأما طاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو فى الحقيقة طاعة لله ﴿لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ[٣١]﴾ تنزيه له عن أن يكون له شريك.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ﴾ يخمدوا ﴿ نُورَ اللّهِ ﴾ حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه

---

قوله: إما تاكيد لنسبة هذا القول إليهم: يعني أن هذا القول منهم من غير تجوز في نسبة البنوة إلى الله تعالىٰ كما في قول عيسىٰ عليه السلام أبي.

قوله: على معنى أن الكفر قديم فيهم: قال صاحب الكشاف: إنه كفر قديم فيهم أي نسبتهم بالبنوة إلى الله تعالىٰ كفر قديم فيهم والمصنف عدل عنه وأطلق الكفر لأن الظاهر المتبادر من قوله' الذين كفروا' هو مطلق الكفر.

قوله: أو تعجب من شناعة قولهم: أي ما أعجب قولهم.

قوله: يخمدوا: فالمراد بالإطفاء معناه الحقيقي وحينئذ يكون استعارة مكنية وتخئيلية شبه الحجة أو القرآن أو بنوة محمد ﷺ بالنور وأثبت ما هو من لوازمه وهو الإطفاء.

عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد ( صلى الله عليه وسلم ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بشركهم أو بتكذيبهم ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ أى لا يرضى ﴿إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام وقيل: إنه تمثيل لحالهم فى طلبهم إبطال نبوة محمد ( صلى الله عليه وسلم ) بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه فى معنى النفى ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ[٣٢]﴾ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه.

﴿هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ كالبيان لقوله :﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾ ولذلك كرر ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[٣٣]﴾ غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله والضمير في "ليظهره" للدين الحق أو للرسول -صلى الله عليه وسلم- واللام فى الدين للجنس أى على سائر الأديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ﴾ يأخذونها بالرشا في الأحكام سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم منه ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة فى وصفهم بالحرص على المال والضن به وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم وقوله -صلى الله عليه وسلم- ما أدى زكاته فليس بكنز أى بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله: -صلى الله عليه وسلم- من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله ( صلى الله عليه وسلم ) فيما أورده الشيخان مرويا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بهاجبينه وجنبه وظهره" ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[٣٤]﴾هو الكى بهما

---

قوله:ويقتنونه: من الاقتناء وهو الاتخاذ ،و في بعض النسخ يفتونه أي يدخرونه ولا يؤدون منه حقه. وفي ذلك فتنة للمال حيث يهلكه بالادّخار وعدم إخراج الحق منه.

﴿ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير وإنما قال عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضى الله تعالى عنه: أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله تعالى ﴿ولا ينفقونها﴾ وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للأموال فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على أن الذهب أولى بهذا الحكم ﴿فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡ﴾ لأن جمعهم وإمساكهم إياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسية التى هى الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع التى هى مقاديم البدن ومآخيره وجنباه ﴿هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ﴾ على إرادة القول ﴿لِأَنفُسِكُمۡ﴾ لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ [٣٥]﴾ أى وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرىء "تكنزون" بضم النون.

---

قوله: وأصله تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة: يعني أصل الكلام بالنار ثم جعل الاحماء للنارمبالغة في الإحماء فصار الكلام هكذا تحمى النار عليها ثم حذفت النار وأسند تحمى إلى الجار والمجرور لأن المقصود إحماء الدراهم والدنانير لتوضع عليهم لا إحماء النار فانتقلت صيغة تحمى من التانيث إلى التذكير.

قوله: لأن جمعهم وإمساكهم: يعني أن جمعهم وإمساكهم كان لثلثة أمورفجوزي أيضا بثلثة أصناف من الكي. قوله: أو لأنهم أزوروا عن السائل: أي لأنهم مالوا وعدلوا عن السائل وولوه ظهورهم والميل يكون بالحياة والجنوب فكوي بالثلثة.

قوله: أو لأنها أصول الجهات: أي مبادي الجهات التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه. وحاصله أن ليس ههنا اختصاص بل فيه إشارة إلى الجهات الأربع للاستيعاب التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه. هذا مبني على قول من قال: بأن جهة الشيء قائم به وقد بين بطلانه في الحكمة. قوله: علي إرادة القول: أي يقال لهم: هذا ما كنزتم.

قوله: أي وبال كنزكم: أو ما تكنزو نه على أن يكون ما مصدرية أو موصولة.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ أى مبلغ عددها ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ معمول عدة لأنها مصدر ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فى اللوح المحفوظ أو فى حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰت وَالأَرْضَ﴾ متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت فى نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أى تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعرب ورثوه منهما ﴿فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولو الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الإحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا فى الحرم وفى الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة

﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جميعا وهو مصدر كف عن الشىء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[٣٦]﴾ بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم.

﴿إِنَّمَا النَّسِيٓءُ﴾ أى تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر كانوا إذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش "إنما النسى" بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها وقرىء "النسى" بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه إذا أخره ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لأنه

---

قوله: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشرة شهرا: أي من غير زيادة لا كما زعمت الفلاسفة أنها تزيد في السنة الثالثة بناء على التفاوت فيما بين السنة القمرية والشمسية والمراد بيان أن أحكام الشرع تبتني علي الشهور القمرية المحسوبه بالأهلّة لا الشهور الشمسية المبنية على السنة الشمسية التي هي مدة انتقال الشمس من المكان إلى أول الحمل بحركته الخاصة.

قوله: أو في حكمه: فعلى هذا يكون المراد فيما كتبه وأثبته من حكمه .

قوله: وقع موقع الحال: يعني أنه مصدر بمعنى اسم فاعل وقع حالا .

قوله: حتىٰ رفضوا خصوص الأشهر: أي رفضوا خصوص الأشهر الحرم واعتبروا مجرد العددفيحرمون من شهور العام أربعة أشهر .

تـحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهـم ﴿ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ضـلالا زائـدا وقـرأ حـمـزـة والـكسائى وحفص "يضل" على البناء للمفعول وعن يـعقوب "يضل" على أن الفعل لله تعالى ﴿يُحِلُّونَهُ عَاماً﴾ يـحلون المنسى من الأشهر الحرم سـنة ويـحرمون مكانه شهرا آخر ﴿ وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً﴾ فيتـر كـونه على حرمته قيل أول من أحـدث ذلك جـنـادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى إن آلهتكم قـد أحـلـت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادى فى القبائل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فـحرموه والجملتان تفسير للضلال أو حال ﴿ لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ أى ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة واللام متعلقة ب"يحرمونه" أو بـما دل عليه مجموع الفعلين﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ بـمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ﴾ وقرء على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى: خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَفِرِينَ[٣٧]﴾ هداية موصلة إلى الاهتداء.

﴿ يَـأَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ تبـاطأتم وقرىء "تثاقلتم" عـلـى الأصل و"أثاقلتم" على الاستفهام للتوبيخ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ متعلق به كـأنـه ضـمـن مـعـنـى الاخـلاد والـمـيـل فـعدي بإلى وكان ذلك فى غزوة تبوك أمروا

---

قـولـه: والـلام متـعـلقة بـ"يحرمونه": وهو الثاني لأنه لا يحتاج إلى التأويل بخلاف الوجه الأخـر فـإنه يحتاج إلى التأويل إذالواحد من الجار لايتعلق بعاملين أي يخترعون مثل هذا الحكم أي يـحـرمـونـه عـاما ويتركونه على حرمته عاما لا في جميع الأعدام لأجل موافقة عدد الأربعة الـمحرمة وترتيب تحليل ماحرم الله عليه من مراعاة الوقت وخصوص الأشهر فخالفواالتخصيص الذي هوأحد الواجبين اللذين هما لعدد والتخصيص بالأشهر المذكورة.

قوله: على الأصل : يعني أن الأصل تثاقلتم فأدغمت التاء في الثاء فصارت تاء ساكنة فدخلت همزة الوصل لئلا يبتد ء بالساكن. قـوله: وأثـا قـلتـم عـلى الاستفهام: أي على أن الهـمـزة للا ستفهام وهمزة الوصل محذوف. قوله: كـأنـه ضمن معنى الإخلاد والميل فعدي بإلى: والمعنىٰ ملتم إلى الإقامة بأ رضكم ودياركم وأخلدتم أنفسكم فيها.

قـولـه: وكـان ذلك فـيغزوة تبوك: روي أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم إذا رجع من الـطـائف الـذي هـوغـزوة حنين كان موضع يقال له: تبوك، ثم قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسـلـم بـعد ذلك للناس تهيوا للحرب واجمعوا السلاح لغزوة تبوك وعادة رسول اللّٰهصلى الله تعالىٰ

بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنيَا﴾ وغرورها ﴿مِنَ الآخِرَةِ﴾ بدل الآخرة ونعيمها ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنيَا﴾ فما التمتع بها ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ في جنب الآخرة ﴿إِلَّا قَلِيلٌ[٣٨]﴾ مستحقر ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً﴾ إذ لا يقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئا فإنه الغني عن كل شيء وفي كل أمر وقيل: الضمير للرسول -صلى الله عليه وسلم- أي ولا تضروه فإن الله سبحانه وتعالى وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق ﴿وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[٣٩]﴾ فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالىٰ:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ﴾ أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ ولم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج إلى الكفرة لأن همهم بإخراجه أو قتله تسبب لإذن الله له بالخروج وقرىء "ثاني اثنين" بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار: نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثان أو ظرف لثاني ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ وهو أبو بكر

---

عليه وسلم إذا أراد أن يغزو، الإيذان والإعلام لأصحابه أولًا حتى يستعد وا للحرب ثم خرجوا وذلك الزمان زمان قيظ وحرو عسرة وقحط مع بعد السفر وكثرة العد وفشق عليهم فتأخروا وتكا سلوا.

قوله: مع بعد الشقة: أي المسافة البعيدة التي تقطع بمشقة كما سيجيء.

قوله: كأهل اليمن وأبناء فارس: لعل وجه التخصيص وإن كان الظاهر مغن عن التخصيص كما قال صاحب الكشاف أن في عريكتهم من الخصال الحميدة ماليس في عريكة غيرهم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: لو كان العلم في الثُريّا لناله أبناء فارس.

قوله: فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه: وهو فسينصره وأقيم فقد نصره اللّٰه الذي هو الدليل عليه وإنما قال كالدليل عليه لإن الظاهر أن الذي نصره في مثل ذلك الوقت ينصره بعده.

قوله: إذ المراد به زمان متسع: لأن الخروج وهو من حين الخروج إلى حين التوطن بمكان.

رضى الله تعالى عنه ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بالعصمة والمعونة روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أمنته التى تسكن عندها القلوب ﴿عَلَيۡهِ﴾ على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو على صاحبه وهو الأظهر لأنه كان منزعجا ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه فى الغار أو ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰ﴾ يعني الشرك أو دعوة الكفر ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا﴾ يعنى التوحيد أو دعوة الإسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أيدى الكفار إلى المدينة فإنه المبدأ أو بتأييده إياه بالملائكة فى هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة "الذين" والرفع أبلغ لما فيه من الاشعار بأن وكلمة الله عالية في نفسها وإن فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[٤٠]﴾ في أمره وتدبيره.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا﴾ لنشاطكم له ﴿وَثِقَالًا﴾ عنه لمشقته عليكم أو لقلة عيالكم ولكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعلى أن أنفر قال نعم حتى نزل "ليس على الأعمى حرج" ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من تركه ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ[٤١]﴾ الخير علمتم أنه خير أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله تعالى به صدق فبادروا إليه.

﴿لَوۡ كَانَ عَرَضًا﴾ أي لو كان ما دعوا إليه نفعا دنيويا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ

---

قوله: ولذلك وسط الفصل: يعني لاجل أنه لاثبات لتفوقه ولا اعتبار وسط ضمير الفصل وحصر العلو في كلمة الله لأن تفوقه في حكم العدم .

قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير علمتم أنه خير: يعني أن الجزاء المحذوف يحتمل أن يكون 'علمتم' ويحتمل أن يكون 'فبادروا' والمعنى على الأول: إن كنتم تعلمون جنس الخير علمتم أنه خير، وعلى الثاني: إن كنتم تعلمون أنه الخير فبادروا إليه .

﴿وَسَفَراً قَاصِداً﴾متوسطا﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾لوافقوك ﴿وَلَـكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾أى المسافة التـى تقطع بمشقة وقرء بكسر العين والشين﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ﴾ أى المتخلفون إذا رجعت مـن تبوك معتذرين ﴿لَـوِ اسْتَطَعْنَا﴾يـقـولـون لـوكـان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرىء"لو استـطعنا" بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله:اشتروا الضلالة﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ساد مسـدجـوابـى الـقـسـم والشـرط وهـذا من المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾بإيقاعهافى العذاب وهو بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك أوحال من فاعله﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[٤٢]﴾في لذاك لأنهم كانوا مستطيعين الخروج.

﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ﴾كناية عن خطأه فى الإذن فإن العفو من روادفه ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بيـان لـما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لأى شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتـلـوا بـأكـاذيـب وهلا توقفت ﴿حَتَّـى يَتَبَيَّـنَ لَكَ الَّـذِيْنَ صَدَقُواْ﴾فـي الاعتذار﴿وَتَـعْلَمَ الْكَاذِبِينَ[٤٣]﴾ فيه قيل إنما فعل رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـشيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء وإذنـه لـلمنافقين فعاتبه الله عليهما ﴿لاَ يَسْتَـأْذِنُكَ الَّـذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أى ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا فإن الخلص مـنهـم يبـادرون إليـه ولا يتـوقـفون على الاذن فيه فضلا أن يستأذنوك فى التخلف عنه أو أن يستـأذنـوك فـى التـخلف كراهة أن يجاهدوا ﴿وَالـلّـهُ عَـلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ[٤٤]﴾ شهـادة لهم بـالتـقوى وعدة لهم بثوابه.﴿إِنَّـمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾فى التخلف ﴿الَّـذِيْـنَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾تـخـصـيـص الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بأن الباعث عـلـى الـجهـاد والوازع عنه الإيمان وعدم الإيمان بهما ﴿وَارْتَـابَـتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِيْ رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ[٤٥]﴾يتحيرون. ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ﴾ للخروج﴿عُدَّةً﴾أهبة وقرىء عدة بحذف التاء عند الإضافة كقوله:

إن الخليط أجدوا البين فانجردوا  وأخلفوك عد الأمر الذى وعدوا

و"عـدة" بكسر العين بالاضافة وعدة بغيرها﴿وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ استدراك عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لأنه تعالى كره انبعاثهم أى نهـوضهـم للخروج ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ فـجسهـم بـالجبن والكسل ﴿وَقِيْـلَ اقْـعُـدُواْ مَعَ الْقَاعِدِيْنَ[٤٦]﴾تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود أو حكاية

---

قوله:يتحيرون: لان التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المستبصر .

قول بعضهم لبعض أو إذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم.

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم شيئا ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه ؛لأن الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولأجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لأنه لا يكون مفرغا ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا إذا أسرع ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم أو الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير في " أوضعوا" ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ[٤٧]﴾ فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ﴾ تشتيت أمرك وتفريق أصحابك ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعنى يوم أحد فإن ابن أبى وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ذي جُدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أحد ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ الْأُمُورَ﴾ ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال أمرك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ بالنصر والتأييد الإلٰهي ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وعلا دينه ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ[٤٨]﴾ أى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول

---

قوله:المعذورين: والمعذورون النساء والصبيان وغيرهم وغير المعذرين القاعدون بغير الإذن.

قوله:وعلى الوجهين لايخلوا عن ذم: أي على احتمال إرادة المعذ ورين وغير المعذ ورين لا يخلو عن ذم لأ ن القعود مذموم سواء كان مع المعذورين وغيرهم.

قوله:لأ ن الزيادة باعتبارأ عم العام: وهو الشيء فيكون الخبال زيادة على الأ شياء لهم لا على الخبال .

قوله:ولأجل هذاالتوهم :أي لأجل توهم أنه على تقدير الاستثناء المتصل يلزم زيادة الخبال على الخبال مع أنه ليس كذلك .إذ لا خبال لهم، أوجعل الاستثناء منقطعاً وإن المعنى ما زادوكم خيراً لاخبالاً وليس كذلك ،لأ ن الاستثناء المنقطع إنما يكون فيما ذكر فيه المستثنى منه.

قوله:ولأ سرعوا ركا ئبهم :بالنمائم والمراد الإسراع بالنمائم ففيه استعارة تبعية شبه سرعة إفسادهم لذات البين بالنمائم بسرعة سيرالركائب خلالكم ثم استعيرلهاالإ يضاع .

ـصلى الله عليه وسلمـ والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لأجله وكره انبعاثهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة اعتذارهم تداركًا لما فوت الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ بالمبادرة إلى الإذن ولذلك عوتب عليه.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في القعود ﴿ وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ ولا توقعني فى الفتنة أى فى العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي، وفيه إشعار بأنه لا محالة متخلف أذن له أم يأذن أو فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال إذ لا كافل لهم بعدي أو في الفتنة بنساء الروم لما روي أن جد بن قيس قال قد علمت الأنصار أني مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى أعينك بمالي فاتركني ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف أو ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ[٤٩]﴾ جامعة لهم يوم القيامة أوالآن لأن احاطة أسبابها بهم كوجودها .

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾ لفرط حسدهم .﴿وَإِن تُصِبْكَ﴾ فى بعضها ﴿مُصِيبَةٌ﴾ كسر أو شدة أو كما أصاب يوم أحد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف ﴿وَيَتَوَلَّوا﴾ عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له أو عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلمـ ﴿ وَّهُمْ فَرِحُونَ[٥٠]﴾ مسرورون.

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ إلا ما اختصنا بإثباته وإيجابه من النصرة أو الشهادة أو ما كتب لأجلنا فى اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرىء "هل يصيبنا"وهو من فيعل لا من فعّل؛لأنه من بنات الواو لقولهم: صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لأنه وقوع الشيء فيما قصد به، وقيل من الصواب ﴿هُوَ

---

قوله:وبيان ما ثبطهم الله لأجله وكره انبعاثهم له: وهو انبعاث الفتنة .

قوله: ببنات الأصفر: أي نساء الروم .

قوله:لأن إحاطة أسبابها بهم كوجودها: وكأنهم في وسط جهنم وهى محيطة بهم.

قوله:﴿قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ أي الشان والعادة التي نحن متّسمون بهما وهى التيقظ والحزم بالعمل.

قوله:إلا مااختصنا: الاختصاص مستفاد من اللام في 'لنا' فعلى هذا يكون اللام للصلة وعلى الوجه الأخير للعلة.

مَوْلَيٰنَا ﴾ ناصرنا ومتولى أمورنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [٥١]﴾ لأن حقهم أن لا يتوكلوا على غيره.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا ﴾ تنتظرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾ أيضا إحدى السوأيين ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا ﴾ ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ[٥٢]﴾ ما هو عاقبتكم.

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ أمر فى معنى الخبر أى لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس: وأعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل أمرين: أن لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَٰسِقِينَ[٥٣]﴾ تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾ أى وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي "أن يقبل" بالياء لأن تأنيث النفقات غير حقيقى وقرىء "يقبل" على أن الفعل لله ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ[٥٤]﴾ لأنهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا.

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُمْ ﴾ فإن ذلك استدراج ووبال لهم كما قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ [٥٥]﴾ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة.

---

قوله:أمر في معنىٰ الخبر: جواب عما يقال كيف أمر هم ثم قال:﴿ لن يتقبل منكم ﴾.

قوله:أنفقتم طوعاً أو كرهاً: ففعل بالأمر ما فعل بالاستفهام في قوله:﴿ سواء عليهم أء نذرتهم أم لم تنذرهم ﴾أي مستو عليهم إنذارك وعدم إنذراك .

قوله: كأنهم أمر وا بأن يمتحنوا:لأن الأمر بالامتحان إنما يكون إذا كان ذلك الأمر متحققًا.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾إنهم لمن جملة المسلمين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لكفر قلوبهم ﴿وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ[٥٦]﴾ يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ حصنا يلجؤون إليه﴿ أَوْ مَغَارَاتٍ﴾غيرانا ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول، وقرأ يعقوب "مدخل"من دخل وقرىء "مدخلا" أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم و"متدخلا"و"مندخلا"من تدخل اندخل ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ لأقبلوا نحوه ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ [٥٧]﴾يسرعون إسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرىء"يجمزون"ومنه الجمازة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾يعيبك وقرأ يعقوب "يلمزك"بالضم وابن كثير"يلامزك"﴿ فِي الصَّدَقَـٰتِ ﴾في قسمه ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ[٥٨]﴾ قيل إنها نزلت في أبى الجواظ المنافق فقال: ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل، وقيل: فى ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال:إعدل يا رسول الله، فقال:" ويلك، إن لم أعدل فمن يعدل" و"إذا"للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على أن ما فعله الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) كان بأمره ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ ﴾ كفانا فضله ﴿سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ صدقة أو غنيمة أخرى ﴿وَرَسُولُهُ ﴾ فيؤتينا أكثر مما آتانا﴿إِنَّآ إِلَى اللّهِ رَاغِبُون [٥٩]﴾ في أن يغنينا من فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم :ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَـٰكِينِ ﴾ أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم، والفقير من لا

---

قوله:﴿يفرقون﴾ يخافون: قال الجوهري: الفرق با لتحريك الخوف، وقد فرق بالكسر .

قوله: كا لفرس الجموح: وهو الذى إذا أحمل لم يرده اللجام .

قوله: كفانا فضله: أي حسبنا ماقسم لنا.

مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره. والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى ﴿أما السفينة فكانت لمسٰكين﴾ وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى﴿مسكينا ذا متربة﴾ ﴿وَالْعٰمِلِيْنَ عَلَيْهَا﴾ والعاملين عليهاالساعين فى تحصيلها وجمعها ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستأنف قلوبهم أو أشراف قد يترتب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك، وقيل: أشراف يستألفون على أن يسلموا فإن النبى ـصلى الله عليه وسلم ـ كان يعطيهم والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل: كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله سقط ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ وللصرف فى فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل بأن تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد، أو بأن يفدى الأسارى والعدول عن اللام إلى "في" للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب، وقيل:للايذان بأنهم أحق بها ﴿ وَالْغٰرِمِيْنَ ﴾والمديونين لأنفسهم في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء أوحمالة لإصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل

---

قوله:يقع موقعا من حاجته: يعني أن الفقير من لا مال له ولا كسب أصلا ليقع موقع الحاجة ويزول عنه حاجته بخلاف المسكين فإنه له مالا أوكسبا لكنه لا يكفيه .

قوله: كأنه أصيب فقاره :أي كأن الفقر أصيب فقار ظهره وقصمها .

قوله:وقد عد منهم من يؤلف قلبه: أي وقد عد الفقهاء من يؤلف قلبه على قتال الكفار ومانعي الزكوٰة من قبيل المؤلفة قلوبهم فجوزوا إعطاء شيء من خمس الخمس إياهم كما للمؤلفة قلوبهم .

قوله:للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لاللرقاب: يعني أن الصدقات في حق فك الرقاب ولأجل فكه وأنه مستحق له لأجله لا لنفسه وكذلك الغارم.

قوله:وقيل للإيذان بأنه أحق بها: لأن في للظرف فيدل على أن الصدقة في وعائه وفي محله فيكون أرسخ.

لله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغنى أو لعامل عليها ﴿وَفِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح، وقيل: وفي بناء القناطر والمصانع ﴿وَابْنِ السَّبِيْلِ﴾ المسافر المنقطع عن ماله ﴿فَرِيْضَةً مِّنَ اللّٰهِ﴾ مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أى فرض لهم الله الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في "للفقراء" وقرىء بالرفع على تلك فريضة ﴿وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ[٦٠]﴾ يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم.

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ النَّبِيَّ وَيَقُوْلُوْنَ هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا: محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله ﴿يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ﴾ يصدق به لما قام عنده من الأدلة ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أى وهو رحمة ﴿لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنكُمْ﴾ لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه عل انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما

---

قوله:واللام مزيدة للتفرقة: يعني لم يقل 'ويؤمن المومنين' لأن المراد إيمان التصديق وهو تسليم مايقولونه وتصديقه لكونهم صادقين عنده لاإيمان الأمان فلولم يذكر اللام لا لتبس به لأنه يجيء بغير اللام بخلاف إيمان الأمان نحو 'ما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صدقين' وأما الإيمان بالله فإنما عدي بالباء لأنه قصد به نفس التصديق بالله الذى هو ضدالكفر .

قوله:لمن أظهر الإيمان: وهم المنافقون حيث يقبل إيمانهم الظاهرو لا يفعل بهم مايفعل با لمشركين.

عليكم وقرأ حمزة "ورحمة" بالجر عطفا على خير وقرىء بالنصب على أنها علة فعل دل عليه "أذن خير" أى يأذن لكم رحمة، وقرأ نافع: "أذن" بالتخفيف فيهما وقرىء "أذنٌ خير" على أن خير صفة له أو خبر ثان ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٦١]﴾ بإيذائه ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ لترضواعنهم والخطاب للمؤمنين ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الارضائين أو لأن الكلام فى إيذاء الرسول -صلى الله عليه وسلم - وإرضائه أو لأن التقدير والله احق أن يرضوه والرسول كذلك ﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ[٦٢]﴾ صدقا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ﴾ أن الشأن وقرىء بالتاء ﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يشاقق مفاعلة من الحد ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا﴾ على حذف الخبر أى فحق أن له أو على تكرير "أن" للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفا على "أنه" ويكون الجواب محذوفا تقديره: من يحادد الله ورسوله يهلك، وقرىء "فإن" بالكسر ﴿ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ[٦٣]﴾ يعني الهلاك الدائم.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ وتهتك عليهم أستارهم ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إ نه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضا فى كفرهم وأنهم لم

---

قوله: لتلازم الرضاءين: فكانا في حكم شيء واحد فهما في حق الرضا كذات واحد.

قوله: أولأن الكلام في إيذاء الرسول ﷺ: فيكون الضمير عائداً إلى الرسول .

قوله: من الحد: الحد: الحاجز بين الشيئين كأنه والله ورسوله في حد حاجز بينهما لايتجاوزونه.

قوله: أو على تكرير أن للتاكيد: رد عليه بأنه يلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط والفاء أيضا لا يظهر وجه نصب نار جهنم.

قوله: عليهم: على المؤمنين، فضمير 'عليهم' عائد على المؤمنين وكذا ضمير 'تنبئهم' عائد عليهم وضمير 'قلوبهم' إلى 'المنفقين'.

قوله: وذلك يدل على ترددهم أيضا في كفرهم: حيث ترصد وا نزول السورة من

يكونوا على بت في أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بشيء، وقيل: إنه خبر في معنى الأمر وقيل: كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ﴾ مبرز أو مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ[٦٤]﴾ أي ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساويكم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ روى أن ركب المنافقين مروا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات، فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال: قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا فى شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ[٦٥]﴾ توبيخا على استهزاء هم بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب.

﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ﴾ لا تشتغلوا باعتذاراتكم فإنها معلومة الكذب ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم) والطعن فيه ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد اظهاركم الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ[٦٦]﴾ مصرين على النفاق أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء، وقرأعاصم بالنون فيهما، وقرىء بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو" الله" و"إن تعف" بالتاء والبناء على المفعول ذهابًا إلى المعنى كأنه قال: إن ترحم طائفة.

---

الله تعالىٰ وذا إنما يكون إذا كانوا مترددين في أمر الرسول وكونه من الله تعالىٰ غير جازمين به، وفيه إشارة إلى دفع ما يقال: إن المنافقين جازمين بعدم كونه من الله تعالىٰ فكيف يترصد ون نزول الأية ويحذرون منه.

قوله: مبرز أو مظهر: يعني أن المراد من الإخراج إما للمعنى اللغوي وهو الإبراز لأن الإبراز: الإخراج أو لازم معناه وهو الإظهار. قال الجوهري: برز الرجل بروزاً خرج ،وأبرزه غيره.

قوله: والزاماً للحجة: بأن قولكم كذا وكذا استهزاء بالله وآياته ورسوله فيكون باطلاً يجب الاحتراز والتوبة عنه.

قوله: لتوبتهم وإخلاصهم: أي لتوبتهم عن الكفر والنفاق وإخلاصهم الإيمان.

﴿الْمُنٰفِقُونَ وَالْمُنٰفِقٰتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد، وقيل: إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله: وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ عن الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن المبار، وقبض اليد كناية عن الشح ﴿نَسُواْ اللّهَ﴾ غفلوا عن ذكر الله وتركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ فتركهم من لطفه وفضله ﴿إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ[٦٧]﴾ الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير.

﴿ وَعَدَ الله الْمُنٰفِقِينَ وَالْمُنٰفِقٰتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ﴿وَلَعَنَهُمُ اللّهُ﴾ أبعدهم من رحمته وأهانهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ[٦٨]﴾ لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق.

﴿كَالَّذِيْنَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أى أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ﴿كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً﴾ بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ﴾ نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فإنه ما قدر لصاحبه ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِيْنَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ﴾ ذم الأولين استمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم

---

قوله:مقدرين للخلود: يعني أن خالدين حال مقدرة لعدم مقارنته عامله الذي هو 'وعد' في الزمان والمعنى وعدهم الله حال كونهم مقدرين مفروضين للخلود أو قارضين للخلود لأنهم متصفين به حال الوعد.

قوله:وفيه دليل على عظم عذابها: لأنه كان حسبهم بحيث لا يزاد عليه فيكون مقابلاً للنفاق والكفر اللذين من الجنايات العظيمة حذوالقذة بالقذة.

قوله:أي أنتم :يعني أن الكاف إما في محل رفع بتقدير 'أنتم' أو في محل نصب بتقدير 'فعلتم' مثل فعل الذين.

قوله:ذم الأولين الخ: إشارة إلى دفع ما يقال: إن قوله:كما استمتع الذين من قبلهم" مغن عن قوله فاستمتعوا بخلاقهم ، ووجه الدفع ظاهر وهو أنه ذم الأولين تمهيدا لذم المخاطبين لا قصداً حتى يلزم الإغناء.

﴿وَخُضۡتُمۡ﴾ودخلتم في الباطل﴿كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ كالذين خاضوا أو كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذى خاضوه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ[٦٩]﴾ الذين خسروا الدنيا والاخرة.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ اغرقوا بالطوفان ﴿وَعَادٖ﴾ أهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ أهلكوا بالرجفة ﴿وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أهلك نمرود ببعوض وأهلك أصحابه ﴿وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ﴾ وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾ قريات قوم لوط ائتفكت بهم أى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر﴿أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ يعنى الكل ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ أى لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ[٧٠]﴾ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في سائر الأمور ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ لامحالة فإن السين مؤكدة للوقوع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على كل شىء لا يمتنع عليه ما يريده ﴿حَكِيمٞ[٧١]﴾ يضع الأشياء مواضعها.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾ تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفى الحديث أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ إقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون

---

قوله: كالذين خاضوا: يعني أن المراد بالذي الجمع بدليل عود ضمير الجمع إليه ،فإما أن يحمل على حذف النون أو على تقدير الموصول اسم جمع كالفوج أو المراد المصدر كالخوض فعلى هذا يكون ضمير 'خاضوه' مفعولاً مطلقاً.

قوله:وائتفاكهن انقلاب أحوالهن: يريد أن الايتفاك في الأصل الانقلاب وحقيقته أن يجعل الشيء عالية سافلة ثم استعير لانقلاب الأحوال.

والصديقون والشهداء يقول الله تعالى: "طوبى لمن دخلك" ومرجع العطف فيها يحتمل أن يكون إلى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع أو إلى تغاير وصفه فكأنه وصفه أولا بأنه من جنس ما هوأبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلوعن شيء منها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار عليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى إلى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه -صلى الله عليه وسلم- إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: أنا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون: وأى شيء افضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم أبدا﴿ذَٰلِكَ ﴾ أى الرضوان أو جميع ما تقدم ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[٧٢]﴾ الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ بالسيف﴿وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ بإلزام الحجة وإقامة الحدود﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾في ذلك ولا تحابهم﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ[٧٣]﴾مصيرهم.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ﴾ روي أنه - صلى الله عليه وسلم- اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد! لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقا لنحن شر من الحمير. فبلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت: فتاب الجلاس وحسنت توبته ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ واظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ من فتك الرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن

---

قوله:ومرجع العطف :يعني أن العطف في الأية يحتمل أن يكون باعتبار تعدد الموعود وهما جنات عدن ومساكن، وذلك إما بأن وعد لكل واحد منهم كل واحد منهما أو بأن وعد للجميع على التوزيع بأن وعد لبعضهم جنات عدن وللبعض الأخر مساكن طيبة، ويحتمل أن يكون باعتبار تعدد الوصف وتغايره بناء على أن جنات عدن ومساكن طيبة شيء واحد متصف بوصف جريان الأنهار تحتها وطيب العيش وكونها دار إقامة فالتغاير باعتبار الوصف.

راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا أو اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة أو بأن يتوّجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ وما أنكروا أو ما وجدوا ما يورث نقمتهم ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَّهُمْ﴾ وهو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ بالإصرار على النفاق ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ بالقتل والنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ[٧٤]﴾ فينجيهم من العذاب.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ[٧٥]﴾ نزلت في ثعلبة بن حاطب آتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: أدع الله أن يرزقنى مالا فقال عليه الصلاة والسلام: يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه

---

قوله: إليكم إليكم: إسم فعل أي أبعدوا وتنحُّوا عنه.

قوله: أو إخراجه: عطف على قتل الرسول.

قوله: أو بأن يتوجوا: عطف على قتل من حيث المعنى أي هموا بأن يقتلوه أو يخرجوه والمؤمنين أو يتوجوا عبد الله بن أبي، قال الجوهري: التاج الاكليل وقد توّجه فتتوج أي ألبسه التاج فلبسه والعمائم تاج العرب.

قوله: أثروا بالغنائم: أي صار غنياً بالغنائم، قال الجوهري: أثرى الرجل إذا كثر ماله.

قوله: والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أوالعلل: أي ما نقموا شيئاً إلا أن أغناهم الله أولأجل شيء إلا أن أغناهم الله.

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية. فارجعا حتى أرى رأي: فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ إن الله منعني أن اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال:" هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني" فقبض رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته فلم يقبلهاوهلك فى زمان عثمان رضى الله تعالى عنه.

﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ منعوا حق الله منه﴿وَتَوَلَّوا﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ [٧٦]﴾وهم قوم عادتهم الإعراض عنها.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ يلقون الله بالموت أو يلقون عملهم أى جزاء ه وهو يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ[٧٧]﴾ وبكونهم كاذبين فيه فإن خلف الوعد متضمن لكذب، مستقبح من الوجهين أو المقال مطلقا وقرئ "يكذبون" بالتشديد.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أى المنافقون أو من عاهد الله، وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسروه في أنفسهم من النفاق أو العزم على الإخلاف ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ[٧٨]﴾ فلا يخفي عليه ذلك.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير فى سرهم وقرئ

---

قوله:من الوجهين: أي كونه خلف الوعد وكونه كذباً.

قوله:أوالمقال :عطف على مجرور فيه من غير إعادة الجار على ما هو رأي الكوفيين .

قوله:ذم مرفوع أو منصوب :يعني مرفوع على الذم أو منصوب على الذم أي هم الذين أو أذم أو أعني الذين .

"يلمزون" بالضم ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾المتطوعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَٰتِ﴾ روي أنه ـصلى الله عليه وسلم ـحث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة فقال: رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصارى بصاع تمر فقال: بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطي من الصدقات فنزلت﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ إلا طاقتهم وقرء بالفتح وهو مصدر جهد فى الأمر إذا بالغ فيه﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يستهزئون بهم ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى:﴿الله يستهزء بهم﴾[البقرة:١٥] ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٧٩]﴾على كفرهم.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يريد به التساوى بين الأمرين فى عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلمـ فى مرض أبيه أن يستغفر له ففعل ـصلى الله عليه وسلمـ فنزلت فقال ـصلى الله عليه وسلمـ لأزيدن على السبعين فنزلت: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لأنه ( صلى الله عليه وسلم ) فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراء ه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إشارة إلى أن

---

قوله:عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم: وعلى تقدير تمام حصتها يكون مجموع المال الف الف ومأتي الف وثمانين الف .

قوله:أجر بالجرير: حبل يجرالبعير به بمنزلة العذار للدابة غير الزمام أي أسقى الناس على أجرة صاعين .

قوله:لاشتمال السبعة على جيمع أقسام العدد: لأن العدد إما زوج أو فرد والزوج

المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ[٨٠]﴾ المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فإن مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد إلى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى: ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم [التوبة:١١٣]﴾

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ بقعودهم عن الغزو خلفه يقال: أقام خلاف الحي أي بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ أى قال بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تثبيطا ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ وقد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُون [٨١]﴾ أن مآبهم إليها أو أنها كيف هى ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[٨٢]﴾ إخبار عما يؤول إليه حالهم فى الدنيا والاخرة أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم.

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ فإن ردك إلى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فإن كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقى منهم وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى غزوة أخرى بعد تبوك ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ إخبار فى معنى النهى للمبالغة ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ

---

إما زوج الزوج وإما زوج الفرد وزوج الزوج هو الذى نصفه الزوج أيضا كا لأربعة وزوج الفرد هو الذي نصفه الفرد كالستة وجميع ذلك متحقق فيه.

قوله:فيكون انتصابه على العلة أو الحال :أي قعد وا لأجل المخالفة أو مخالفين.

قوله:إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآ خرة: أي فيضحكون قليلاً على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون كثيراً جزاءً في العقبى .

مَرَّةٍ﴾تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم و "أول مرة" هي الخروجة إلى غزوة تبوك ﴿فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَٰلِفِينَ[٨٣]﴾ أى المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرء مع " الخلفين " على قصر الخالفين .

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾ روى أن عبد الله بن أبي دعا رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذي يلى جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل: صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولأنه كان مكافأة لإ لباسه العباس قميصه حين أسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكافر ولذلك رتب النهى على قوله " مات أبدا " يعنى الموت على الكفر فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى ﴿ وَلَا تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ[٨٤]﴾ تعليل للنهى أو لتأبيد الموت.

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ[٨٥]﴾ تكرير للتأكيد والأمر حقيق به فإن الابصار طامحة إلى الأموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز أن تكون هذه في فريق غير الأول.

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ﴾ بأن آمنوا بالله ويجوز أن تكون أن المفسرة ﴿وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ذووا الفضل والسعة ﴿وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَٰعِدِينَ[٨٦]﴾الذين قعدوا لعذر.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾من النساء جمع خالفة وقد يقال: الخالفة للذي لا خير فيه﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ[٨٧] ﴾ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة.

---

قوله:ويكفنه في شعاره :أي للتبرك ،روي أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبي عليه الصلاة والسلام .

قوله:فإن إحياء الكافر للتعذيب: تعليل لكون الموت على الكفر موتاً أبدياً .

قوله:﴿سورة﴾ من القرآن: أي بتمامها وهو الظاهر المتبادر من النظم .

قوله:أي بأن أمنوابالله:أي بالإيمان فعلى هذا يكون 'أن' مصدرية ويجوز ان يكون مفسرة لأن الإ نزال في معنى القول كالأمراي إذا قيل لهم فيها آمنوا بالله.

وما في التخلف عنه من الشقاوة

﴿لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ﴿وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل: الحور لقوله تعالى "فيهن خيرات حسان "وهي جمع خيرة تخفيف خيرة ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[٨٨]﴾ الفائزون بالمطالب.

﴿أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ[٨٩]﴾ بيان لما لهم من الخيرات الأخروية

﴿وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ يعنى اسدا وغطفان استأذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا: إن غزونا معك اغارت طيىء على اهالينا ومواشينا والمعذر أما من عذر في الأمر إذا قصر فيه موهما أن له عذرا ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للأتباع لكن لم يقرأ بهما: وقرأ يعقوب : "المعذرون" من أعذر إذا اجتهد في العذر وقرئ "المعذرون" بتشديد العين والذال على أنه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله ﴿وَقَعَدَ الَّذِيْنَ كَذَبُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الإيمان وان كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من الأعراب أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره ﴿عَذَابٌ أَلِيم[٩٠]﴾ بالقتل والنار.

﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالهرمى والزمنى ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِيْنَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة ﴿حَرَجٌ﴾ إثم فى التأخر ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإيمان والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ مِن سَبِيْلٍ﴾ أى ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك ﴿وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيْمٌ[٩١]﴾ لهم أو للمسيء فكيف للمحسن.

﴿وَلاَ عَلَى الَّذِيْنَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب

وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد أتوا رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ وقالوا: قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك. فقال ـصلى الله عليه وسلمـ لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل: هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان، وقيل: أبو موسى وأصحابه ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال من الكاف فى أتوك بإضمار قد ﴿تَوَلَّواْ﴾ جواب إذا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل .﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ أى دمعا فإن من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو أبلغ من" يفيض دمعها" لأنه يدل على أن العين صارت دمعا فياضا.﴿حَزَناً﴾ نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه ما قبله ﴿أَلَّا يَجِدُواْ﴾ لئلا يجدوا متعلق بـ"حزنا" أو بـ"تفيض" ﴿مَا يُنفِقُونَ[٩٢]﴾ فى مغزاهم .

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ بالمعاتبة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ واجدون اللأهبة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف إيثارا للدعة ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾حتى غفلوا عن وخامة العاقبة﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[٩٣]﴾مغبته.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من هذه السفرة ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ﴾ بالمعاذير الكاذبة لأنه ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم لأنه ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أعلمنا بالوحى إلى نبيه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه فكأنه استتابة وإمهال للتوبة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أى إليه فوضع الوصف موضع

---

قوله:أي دمعا فإن 'من' للبيان :يعني أن كلمة 'من' للبيان دخلت على التمييز كما في قولك 'أفديت من رجل' فلا جرم دمع الأعين .

قوله:لأنه يدل على أن العين صارت دمعا فياضا: فعلى هذا يكون التمييز عن الأعين لا عن النسبة .

قوله:لفعل دل عليه ما قبله: يعني أنه منصوب على أنه مفعول له لفعل محذوف دل عليه يفيض من الدمع أو حال له أو مفعول مطلق له، أي 'يبكون لأجل الحزن أوحزنين أويحزنون حزناً .

قوله:مغبته: قال الجوهري: غب كل شيء عاقبته.

الـضـمـيـر للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[٩٤]﴾ بالتوبيخ والعقاب عليه.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ فلا تعاتبوهم ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ ولا تـوبخوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ لا يـنـفـع فيهـم التأنيب فإن المقصود منه التطهير بـالـحـمـل عـلـى الانـابة وهـؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مـن تـمـام التعليل وكأنه قال: إنهم أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم التـوبيـخ فـى الـدنيـا والاخـرة أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم ﴿جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ[٩٥]﴾يجوز أن يكون مصدرا وان يكون علة.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ بـحـلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ[٩٦]﴾ أي فإن رضاكم لا يستلزم رضـا الـلـه ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه أوإن امكنهم أن يـلبسـوا عـلـيـكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا يـنزل الهوان بهم والـمـقـصـود مـن الآية: الـنهـى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض وعدم الالتفات نحوهم.

﴿الأَعْرَابُ﴾ أهـل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾ مـن أهـل الـحـضر لتوحشهم وقسـاوتهـم وعـدم مـخـالـطتهـم لأهـل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة ﴿وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ﴾ وأحـق بـأن لا يـعـلموا ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ مـن الشرائع فرائضها وسـنـنها﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ﴾ بـعـلـم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر ﴿حَكِيمٌ[٩٧]﴾ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا.

---

قـولـه: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم﴾: أي سيحلفون بالله الحلف الكاذب إذا انصرفتم إليهم من هذه السفرة لئلا تعاتبوهم فلا تعاتبوهم ولا توبخوهم.

قـولـه: فـلا يهتك ستر هم: جواب النفى أي إن يلبسوا لايهتك الله سترهم ولاينزل الهوان بهم.

قـولـه: ﴿الأعراب﴾ أهل البدو: وقال العرب جيل من الناس والنسبة إليه عربي بين العروبة وهـم أهل الأ مصار والأعراب منهم سكان البا دية خاصة والنسبة إلى الأعراب أعرابي لأنه لاواحد له وليس الأعراب جمعاً لعرب كما كان الإنباط جمعاً لنبط وإنما العرب اسم جنس.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾ يعد ﴿مَا يُنفِقُ﴾ يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به ﴿مَغْرَماً﴾ غرامة وخسرانا إذ لا يحتسبه قربة عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وإنما ينفق رياء أو تقية ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم فيتخلص من الانفاق ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون أو الإخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة فى الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور وسمى به عقبة الزمان، و"السوء"بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة كقولك: رجل صدق، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: السوء هنا وفى الفتح بضم السين ﴿وَاللّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون عند الانفاق ﴿عَلِيمٌ[٩٨]﴾ بما يضمرون.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ﴾ سبب قربات وهى ثاني مفعولي"يتخذ" و"عند الله" صفتها أو ظرف لـ"يتخذ" ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ وسبب صلواته لأنه -صلى الله عليه وسلم- كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلى عليه كما قال -صلى الله عليه وسلم-:"اللهم صل على آل أبى أوفى" لأنه منصبه فله أن يتفضل به على غيره ﴿أَلآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وإن المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم، وقرأ ورش" قربة"بضم الراء ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ وعدلهم بإحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[٩٩]﴾ لتقريره وقيل: الأولى فى أسد وغطفان وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه.

---

قوله:أوتقية: أي من المسلمين .

قوله:ونوبه: قال الجوهري: النابية المصيبة واحدة نواب الدهر والنوبة اسم منه والعقبة النوبة .

قوله:أضيف إليه للمبالغة :أي أضيف الدائرة إلى السوء للمبالغة لأن الإضافة يدل على زيادة اختصاص الدائرة بالسوء وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة كرجل صدق .

قوله:ذى البجادين: قال الجوهري: البجاد بالموحدة والجيم كساء مخطط ومنه ذوالبجادين وهو خادم رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أخذت أمه بجادا فشقته نصفين فردته بأحدهما وازّرته بالأخرىٰ وأرسلته إلى رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ليخدمه .

﴿وَالسّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهٰجِرِيْنَ﴾ هم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة ﴿وَالْأَنصَارِ﴾ أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير، وقرىء عطفا على" والسابقون" ﴿وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ اللاحقون بالسابقين من القبيلتين أو من اتبعوهم بالأيمان والطاعة إلى يوم القيامة ﴿رَّضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ تَحْتَهَا الْأَنْهٰرُ﴾ وقرأ ابن كثير من تحتها الأنهار كما في سائر المواضع ﴿خٰلِدِيْنَ فِيْهَا أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْم [١٠٠]﴾.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ أى وممن حول بلدتكم يعنى المدينة ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُوْنَ﴾ هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِيْنَةِ﴾ عطف على وممن حولكم أو خبر لمحذوف صفته ﴿مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ﴾ ونظيره فى حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قوله:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وعلى الأول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتوفقهم في تحامي مواقع التهم إلى حد أخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ونطلع على أسرارهم إن قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قوله: وهم الذين صلوا إلى القبلتين الخ: وقوله أهل بيعة العقبة الأولىٰ الخ فعلى هذا يكون المراد من السابقون الأولون من المهاجرين والأ نصار الذين سبقوا على بعضهم بمانالوا من الكرامة التي لم تحصل لغيرهم، ويكون كلمة 'من' تبعيضية ،وإن "فسر السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار" بالذين أدركوا رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه واٰله وسلم وحصل لهم السبق بإدراكه وصحبته يكون 'من' بيانية، فعلى الثاني يحمل 'الذين اتبعوهم بإحسان' على التابعين لم يلحقوا بالرسول صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم، وعلى الأول يحمل "الذين اتبعوهم باحسان" على الصحابة الذين لم يحصل لهم تلك المزايا والفضا ئل .

قوله: أو خبر لمحذوف صفته: ﴿مرد وا﴾: أي ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق أي تمهروا فيه.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ[١٠١]﴾ إلى عذاب النار.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأناأقسم أن لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فأطلقهم ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيىء هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو إما بمعنى الباء كما فى قولهم: بعت الشاء شاة ودرهما أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أن يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله:"اعترفوا بذنوبهم"﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[١٠٢]﴾ يتجاوزعن التائب ويتفضل عليه.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ روي أنهم لما أطلقوا قالوا:يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال:ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى مثله، وقرىء تطهرهم من أطهره بمعنى طهره و تطهرهم بالجزم جوابا للأمر ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منازل المخلصين ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾لاعترافهم﴿ عَلِيمٌ[١٠٣]﴾بندامتهم.

---

قوله:ونهك الأبدان: أي انقاب أبدانهم بالطاعات .

قوله:والواو إمابمعنىٰ الباء: جواب سوال، وهو أنه قد جعل كلامنهما مخلوطا فماالمخلوط به فأجاب بأن المخلوط به هو الآخر والواوبمعنى الباء كما في قولك :بعت الشاء شاة ودرهما ،قالوا إن الواو للجمع والباء للإلصاق فيتناسبان، أو المخلوط به محذوف والمعنى أن كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوط بالآخر بمعنى أنهما مستويان في الخلط لا أن يكون أحدهما أصلا والآخر خلط به بخلاف مالو قيل: خلطوا عملاً صالحاً با لآخر السيء .

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ﴾ الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما﴿أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ إذا صحت وتعديته بـ"عن" لتضمنه معنى التجاوز ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله﴿ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[١٠٤]﴾ وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ﴾ ما شئتم ﴿ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ﴾ فإنه لا يخفى عليه خيرا كان أو شرا ﴿ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ بالموت ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[١٠٥]﴾ بالمجازاة عليه.

﴿ وَآخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿ مُرْجَؤْنَ﴾ مؤخرون أى موقوف أمرهم من أرجأته إذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ) مرجون ( بالواو وهما لغتان ﴿ لِأَمْرِ اللّهِ﴾ فى شأنهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن أصروا على النفاق ﴿ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا والترديد للعباد، وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى ﴿ وَاللّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿ حَكِيمٌ[١٠٦]﴾فيما يفعل بهم، وقرىء"والله غفوررحيم"والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر الرسول ـصلى الله عليه وسلم ـأصحابه أن لا

---

قوله:والمرا دأن يمكن في قلوبهم :يعني أن المراد تمكن قبول التوبة في قلوبهم والاعتداد بصد قا تهم والا فقد علموا ذلك .

قوله:أولغير هم: عطف على قوله:'للمتوب عليهم' .

قوله:﴿وقل ا عملوا﴾ ما شئتم: فعلى هذا يكون الخطاب لغير التا ئبين ويكون تهديداً وتر غيباً لهم في التوبة، فقد روي أنه لما يتب عليهم قال الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لايكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت، ففيه وعيد وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة ،ويحتمل أن يكون الخطاب للتائبين والمعنى: اعملوا أيها التائبون، الأعمال الحسنة الصالحة لكم، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم تنبيئة تذكير ومجازاة عليه.

قوله:وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى: وذلك أن كون الأمر والشان لله تعالىٰ في شانهم يدل على أنه لايجب على الله شيء إما العذاب أو قبول التوبة وإنما يفعله بمقتضى الحكمة بإرادته.

يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلى الله فرحمهم الله تعالى.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ﴾ عطف على "وآخرون مرجون" أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص، وقرا نافع وابن عامر بغير الواو ﴿ضِرَاراً﴾ مضارة للمؤمنين، وروي أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما اتموه أتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: إنا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى، فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا إلى المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة ﴿ وَكُفْراً﴾ وتقوية للكفر الذى يضمرونه ﴿وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قباء ﴿ وَإِرْصَاداً﴾ ترقبا ﴿ لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ يعنى الراهب فإنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومات بقنسرين وحيدًا، وقيل: كان يجمع الجيوش يوم الأحزاب فلما انهزموا خرج إلى الشام و من قبل متعلق بـ"حارب" أوبـ" اتخذوا" أى اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي أنه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يأتيه فقال: إنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه، فلما قفل كرر عليه فنزلت ﴿ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى ﴾ ما أردنا ببنائه إلا الخصلة الحسنى أو الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين ﴿وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[١٠٧]﴾ فى حلفهم.

﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ﴾ للصلاة ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ يعنى مسجد قباء أسسه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى الجمعة

---

قوله: للكفر الذى يضمرونه: أي النفاق.

قوله: يعني الراهب: أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله ﷺ.

لأنه أوفق للقصة أو مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقول أبى سعيد رضى الله عنه سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ من أيام وجوده و"من" تعم الزمان والمكان كقوله

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ أولى بأن تصلي فيه ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ من لمعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى وقيل: من الجنابة فلا ينامون عليها ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ[١٠٨]﴾ يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال -صلى الله عليه وسلم- أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر انهم مؤمنون وأنا معهم فقال -صلى الله عليه وسلم- أترضون بالقضاء؟ قالوا- نعم قال -صلى الله عليه وسلم- أتصبرون على البلاء؟ قالوا: نعم، قال: أتشكرون في الرخاء ؟قالوا: نعم فقال -صلى الله عليه وسلم- أنتم مؤمنون ورب الكعبة، فجلس ثم قال: يا معشر الأنصار، إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط؟ فقالوا: يا رسول الله، نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء، فتلا النبي ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ﴾ بنيان دينه ﴿عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ﴾ على قاعدة محكمة هو التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها ﴿فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار وإنما وضع شفا الجرف وهو ما جرفهالوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان

---

قوله:و'مِن' تعم الزمان والمكان: يعني أن 'من' تجيء لابتداء الغاية في الزمان والمكان فإذاًيرد ما قيل:إن القياس "مذ"لأنه لإبتداء الغاية في الزمان ، و"مِن"لابتداء الغاية في المكان.

قوله:لمن الديارالقنة الخ: القنة بالضم أعلى الجبل مثل القلة، الحجر قصبة اليمامة يذكرو يؤنث، والحجة: بالكسر السنة والجمع حجج وكلمة 'من' للزمان .

قوله:وإنما وضع شفا الجرف: شفا الشيء طرفه والجرف ماتجرفته السيول وأكلته من الأرض والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط .

وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم أن مصيرهم إلى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرىء أساس بنيانه و أسس بنيانه على الاضافة، و"أسس" و"آساس" بالفتح والمد و"إساس"بالكسر وثلاثتها جمع أس و تقوى بالتنوين على أن الألف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر "جرف" بالتخفيف ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّلِمِينَ[١٠٩]﴾ إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْاْ﴾ بناؤهم الذى بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ﴿ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أى شكًا ونفاقا والمعنى أن بناء هم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم ﴿ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأزمنة، وقيل: المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو فى النار وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا، وقرأ يعقوب إلى بحرف الانتهاء و "تقطع" بمعنى " تتقطع" وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص، وقرىء "يقطع"بالياء وتقطع بالتخفيف و"تقطع قلوبهم" على خطاب الرسول أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم ﴿حَكِيمٌ[١١٠]﴾ فيما أمر بهدم بنيانهم.

---

قوله:ثم رشحه بانهياره به :أي جاء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانها ربه ذلك الجرف فهو في قعرها.

قوله:وأسس الخ: أي وقرىء أسس في أُساس وإِساس .

قوله:وثلاثتها جمع أس :قال في المهذب: الأساس والأسيس بالهمزة المفتوحة والأس والأسس:جماعة.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ استئناف ما لأجله الشراء، وقيل:"يقاتلون" في معنى الأمر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت أن الواو لا توجب الترتيب وأن فعل البعض قد يسند إلى الكل ﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فإنه في معنى الوعد ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ مذكورا فيهما كماأثبت في القرآن ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقًا ﴿فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ فافرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[١١١]﴾.

﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح أى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله: ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ أو خبره ما بعده أى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرىء بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين ﴿الْعَابِدُونَ﴾ الذين عبدوا الله مخلصين له الدين ﴿الْحَامِدُونَ﴾ لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون لقوله: صلى الله عليه وسلم:"سياحة أمتي الصوم" شبه بها لأنه يعوق عن الشهوات، أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ﴾ في الصلاة ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالأيمان والطاعة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفى قوله تعالى ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ أى فيما بينه وعينه من الحقائق

---

قوله:وقيل يقاتلون في معنى الأمر: أي ليقاتلوا في سبيل الله.

قوله:وقد عرفت أن الواو لاتوجب الترتيب الخ: فيجوز أنهم يقاتلون أولاثم يقتلون أو يقتل بعضهم ويقاتل للبعض الأخر .

قوله:فإنه في معنى الوعد :لأن الشرى بالجنة وعدلهم بالجنة.

قوله:مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقاً :أي الوعد حيث أتىٰ بكلمة الاستفهام وبناء أفعل وذلك أن المعنى لا أحد أو فى بعهده من الله لأن خلاف الميعاد قبيح لايقدم الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين.

والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل: إنه للايذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث أن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمى واو الثمانية ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ[١١٢]﴾ يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن ايمانهم دعاهم إلى ذلك وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل: وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾روي أنه ـصلى الله عليه وسلم ـ قال لأبى طالب لما حضرته الوفاة "قل: كلمة أحاج لك بها عند الله" فأبى فقال ـصلى الله عليه وسلم ـلأزال أستعفر لك ما لم أُنه عنه" فنزلت، وقيل: لما افتتح مكة خرج إلى الابواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال: "إنى استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل عليّ الآيتين" ﴿وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ[١١٣]﴾ بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فإنه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر فقال:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ وعدهاإبراهيم أباه بقوله: "لأستغفرن لك" أى لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله ويدل عليه قراء ة من قرأأباه أو وعدها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بأن مات على الكفر أو أوحى إليه بأنه لن يؤمن ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾فقطع استغفاره﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ﴿حَلِيمٌ[١١٤]﴾ صبورعلى الأذى، والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه.

---

قوله: للإيذان بأن التعداد قد تم: فلا يكون الواو داخلاً في التعداد فيكون من تعداد أخر عطف به أحد التعدادين على الأخر فلهذا سميت واو الثمانية لا السبعة إلا أنه على هذا ينبغي أن يقال واو الثامن وأما أن السبعة عددتام فلأن من عادة العرب أن يتموا عددا على السبعة ثم يبتدوا الثامن بالواو كما جاء في سورة الكهف﴿ ثلثةرابعهم، خمسة سادسهم، سبعة وثامنهم كلبهم﴾ وكذلك في سورة التحريم﴿ مسلمات مؤمنات. إلى قوله: وإبكارا﴾.

﴿ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوماً﴾ أى ليسميهم ضلالا أويؤاخذهم مؤاخذتهم﴿ بَعْدَ إِذْ هَدٰهُمْ ﴾ للإسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ حتـى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه و كأنه بيان عذر الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله لعمه أو لمن استغفر لأسلافه المشركين قبـل الـمـنـع، وقيـل: إنـه فـي قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملةدليل على أن الغافل غير مكلف﴿ إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ[١١٥]﴾ فيعلم أمرهم فى الحالين.

﴿إِنَّ اللّٰـهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّٰهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ[١١٦]﴾لما منعهم من الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولى قربى، وتضمن ذلك وجـوب التبرؤ عنهم رأساء بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولى آمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصر ة إلا مـنـه ليتوجهوا بشراشرهم إليه ويتبرؤوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه.

﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ من إذن المنافقين فى التخلف أو بـرا هم عن علقة الذنو ب كقوله تعالى ﴿لغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل: هو بـعـث عـلـى التـوبة والـمعنى ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة حتى النبيصلى الله عليه وسـلـم والـمهـاجرون والأنصار لقوله تعالى:﴿ وتوبوا إلى الله جميعا﴾إذ ما من أحد إلا وله مـقـام يستـنـقـص دو نـه مـا هو فيه والترقي إليه تو بة من تلك النقصية واظهار لفضلها بأنها الأنبيـاء والصالحين من عباده ﴿ الَّـذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ فـى وقتها هى حالهم فى غـزوـة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يـعتـقـب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل:إن الـرجـلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا القيظ ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ عـن الثبـات عـلـى الإيـمـان أو اتبـاع الـرسـول صـلى الله عليه وسلم وفى كاد

---

قـولـه:ليسـميهم ضلالاً :إنما فسر بهذا لأن الإضلال بمعنى خلق الضلال متحقق لأن الاستغفار للمشركين ضلال.

قـولـه:وكأنه بيان عذر الرسول ﷺ: أي كون الرسول معذورا في قوله لعمه حيث لم يبين حينئذ للنبيصلى اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم أنه لا يجوز الاستغفار للكافرمن الميت.

قوله:من الظهر :الظهر الإبل يحمل عليها ويركب.

قوله:حتى شربوا القيظ: أي ماء الكرش بأن نحروا الإبل وعصروا كرشه وشربوه.

ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد إليه الضمير فى "منهم" وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لأن تأنيث القلوب غير حقيق وقرىء من بعد "ما زاغت قلوب فريق منهم" يعنى المتخلفين ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ[١١٧]﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم فإنهم المرجئون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ أي برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس ولا سرور ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وعلموا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من سخطه ﴿إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ إلا إلى استغفاره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالتوفيق للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة ﴿ٱلرَّحِيمُ[١١٨]﴾ المتفضل عليهم بالنعم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما لا يرضاه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ[١١٩]﴾ فى إيمانهم وعهودهم أو فى دين الله نية وقولا وعملا وقرىء "من الصادقين" أي في توبتهم وإنابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم.

---

قوله: والعائد عليه الضمير في منهم: لأن القوم إذا كان اسم 'كاد' يكون في الجملة الواقعة خبرا لكاد ضمير عائد إليه.

قوله: أو المراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم: وذلك أن كيدودتهم الذنب فتاب الله عليهم وعفا عنهم.

قوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ بالتوفيق للتوبة: يعني بعد ضيق الأرض وعلمهم أن لا ملجأ من الله إلا إليه رجع الله عليهم بالتوفيق للتوبة ،أو المراد أنزل الله قبول توبتهم ليتوبوا أي ليعدوا في جملة التائبين أو المراد رجع على الثلثة بالقبول والرحمة مرة ثم رجع عليهم به مرة أخرى ليستقيموا على توبتهم فلا يرد أن التوبة عليهم إنما يكون بعد توبتهم فما معنى قوله: ليتوبوا؟.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِيْنَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ﴾ نهى عبر به بيصغة النفى للمبالغة ﴿وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ ولا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال، روي أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له زوجة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال: ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال: كن أبا خيثمة فكأنه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر له وفى"ولا يرغبوا" يجوز النصب والجزم﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما دل عليه قوله" ما كان" من النهي عن التخلف أو وجوب المشايعة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ شيء من العطش ﴿وَلاَ نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلاَ مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعة ﴿فِيْ سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ موطئًا﴾ ولا يدوسون مكانا ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ يغضبهم وطؤه ﴿وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً﴾ كالقتل والاسر والنهب﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ إلا استوجبوا به الثواب و ذلك مما يوجب المشايعة ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ[١٢٠]﴾ على إحسانهم ،وهو تعليل لـ كتب وتنبيه على أن الجهاد إحسان ، أما فى حق الكفار فلأنه سعى في تكميلهم بأقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون ، وأما فى حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم .﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيْرَةً﴾ ولو علاقة ﴿وَلاَ كَبِيْرَةً﴾ مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة.

---

قوله:﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر إذا ترفعت أي لا ترفعوا عن نفسه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم ولا تعرضوا عنه بأن تصونوا أنفسكم عما لا يصونه عنه والضح الشمس، وزها السراب الشيء إذا رفعه.

قوله:مثل ما أنفق عثمان رضي اللّٰه تعالىٰ عنه في جيش العسرة: في مسند أحمد بن حنبل عن عبد الرحمٰن بن حمزة قال جاء عثمان رضى اللّٰه تعالىٰ عنه إلى النبي صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حتى جهز جيش العسرة فصبها في حجرة رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم فجعل يقلبها بيده فقال: ماضرابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مراراً.

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً ﴾ فى مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى إذا سال فشاع بمعنى الأرض ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾ أثبت لهم ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ بذلك ﴿ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[١٢١]﴾جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾ وما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا جميعا فإنه يخل بأمر المعاش ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ ﴾وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لأنه أهم وفيه دليل على أن التفقه و التذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغى أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ[١٢٢]﴾ إرادة أن يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الأخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد أشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى" المرصاد" وقد قيل للآية معنى آخر وهو أنه لما نزل ف المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى "ليتفقهوا" ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي "رجعوا" للطوائف أى ولينذروا "لبواقي" قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم.

﴿يَآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ أولا بإنذار عشيرته الأقربين فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح وقيل: هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر

---

قوله:وهو كل منعرج :الوادي منعطفة يمنة ويسرة.

قوله:جزاء أحسن أعمالهم :يعني أنه بتقدير مضاف ،إما على أحسن وإما على ما كانوا يعملون أي يجزيهم جزاء أحسن عمل كان لهم أو أحسن جزاء عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيراً لأجرهم.

وقيل الروم فإنهم كانوا يسكنون الشأم وهو قريب من المدينة ﴿ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ شدة وصبرا على القتال وقرىء بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[١٢٣]﴾ بالحراسة والاعانة.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم ﴾فمن المنافقين﴿مَّن يَقُولُ ﴾ انكار واستهزاء﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ ﴾ السورة﴿إِيمَاناً ﴾ وقرىء"أيكم"بالنصب على اضمار فعل يفسره "زادته" ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى ايمانهم ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ[١٢٤] ﴾بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ[١٢٥]﴾واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه.

﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ ﴾ يعنى المنافقين وقرىء بالتاء ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾يبتلون بأصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ﴾ لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ﴿ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ[١٢٦]﴾ ولا يعتبرون.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم ﴿ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أى يقولون هل يراكم أحد إن قمتم من حضرةالرسول صلى الله عليه وسلم فإن لم يرهم أحد قاموا وإن يرهم أحد أقاموا

---

قوله:على إضمار فعل يفسره زادته: أي أيكم زادت هذه زادته.

قوله:بزيادة العلم : أي اليقين وبانضمام الإيمان بالسورة إلى إيمانهم السابق لأنهم لم يكونوا مؤمنين بها تفصيلا ، لم يقل إلى إيمانهم كما قال إلى رجسهم لأن إيمانهم السابق كان معلوماً بخلاف كفرهم لأنهم على النفاق فصرح بذلك للتنبيه على كفرهم السابق.

قوله:وقرىء بالتاء :ينبغي أن يقال: وقرء حمزة لأنه من المشهورة لا من الشاذة.

قوله:يبتلون بأصناف البليات : كالقحط والمرض وغيرهما.

﴿ ثُم انصَرَفُواْ﴾ عن حضرته مخافة الفضيحة ﴿ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم ﴾ عن الإيمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء ﴿بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُون[١٢٧]﴾ لسوء فهمهم أو لعدم تدبرهم.

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم عربي مثلكم وقرء من ) أنفسكم أى من أشرفكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ ﴾ شديد شاق ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ عنتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ أى على ايمانكم وصلاح شأنكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ منكم ومن غيركم ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ[١٢٨]﴾ قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ ﴾ فإنه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم ﴿لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ﴾ كالدليل عليه ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فلا أرجو ولا اخاف إلا منه ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم[١٢٩]﴾ الملك العظيم أو الجسم العظيم المحيط الذى تنزل منه الأحكام والمقادير وقرىء "العظيم" بالرفع وعن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أن آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن عليّ إلا آية آية وحرفًا حرفًا ما خلا سورة براءة "وقل هو الله أحد" فإنهما انزلتا عليّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة والله تعالىٰ أعلم.

---

قوله:وهو يحتمل الإخبار والدعاء: أي الإخبار بأن اللّٰه تعالىٰ صرف قلوبهم ومنعها عن تلقي الحق والدعاء عليهم بالخذلان.

# سورة يونس عليه السلام

مكية وآيا تها تسع ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر﴾ فخمها ابن كثير ونافع وحفص وأمالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ[١]﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآى والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله عل الحكم أو لأنه كلام حكيم أو محكم اٰياته لم ينسخ شيء منها.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً﴾ استفهام انكار للتعجب وعجباخبر كان واسمه ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ وقرىء بالرفع على أن الأمر بالعكس أو على أن كان تامة و"أن أوحينا"بدل من عجب واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاء هم ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ من إفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب أن الله تعالى لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا فى المال وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب ولذلك كان أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل: تعجبوا من أنه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الأنعام ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ أن هى المفسرة أو المخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول "أوحينا"﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾.

---

قوله:لاشتماله على الحكم :فيكون الحكيم بمعنى ذي الحكمة.

قوله:أو لأنه كلام حكيم: فيكون الحكيم بمعنى مفعولا.

قوله:واللام للدلالة: يعني أن اللام تدل على إنكار أن يكون مما يتعجب منه الناس وإنما هو أمر جعلوه أعجوبة يتعجبون منها استهزاء.

قوله:من أفناء رجالهم: قال الجوهري: هو من إفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو.

قوله:أن هي المفسرة :لأن الإيحاء في معنى القول.

عمم الانذار إذ قلما من أحد ليس فيه ما ينبغى أن ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به حقيقة ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ بأن لهم ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ سابقة منزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وإضافتها إلى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم إنما ينالونها بصدق القول والنية ﴿قَالَ الْكَفِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ يعنون الكتاب وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ[٢]﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون "لساحر"على أن الاشارة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أمورًا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة ، وقرىء هذا إلا سحر مبين.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ التى هى أصول الممكنات ﴿ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيء بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾ أى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ﴿ رَبُّكُمْ ﴾ لا غيره إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه بالعبادة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُون[٣]﴾ تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه.

---

قوله: إذ قلما من أحد: يعني عمم الإنذار بحيث يشمل جميع الناس إذ لا يخلوا أحد من المؤمنين أو الكافرين من الذنب أو الذلة بخلاف البشارة فإنها تختص بالمؤمنين.

قوله: سابقة: أي سبقا يقال له سابقة في هذا الأمر أي سبق سميت قد ما لأن السبق يكون بالقدم فيكون من إطلاق السبب على المسبب .

قوله: وإضافتها إلى الصدق لتحققها. وإضافة القدم إلى الصدق لتحقق القدم لأن القدم إذا كان صادقاً يكون ثابتاً متحققاً غير زائل.

قوله: أي الموصوف بتلك الصفات : يعني أن ذلكم الله إشارة إلى الله الموصوف بكونه رباً خالقاً مستوياً على العرش مدبراً للأمور

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾ بالموت أو النشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله "إليه مرجعكم "وعد من الله ﴿حَقّاً﴾ مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد بدئه وإهلاكه﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ أى بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم أو بإيمانهم لأنه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الأوجه لمقابلة قوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ[٤]﴾ فإن معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله تعالى ﴿إليه مرجعكم جميعا﴾فإنه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ إنه يبدأبالفتح أي لأنه ويجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا بما نصب وعد الله أو بما نصب حقا .

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ أى ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا وفى الأنبياء وفى القصص "ضئاء" بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين ﴿وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ أى ذانور أو سمى نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور.

---

قوله:إليه مرجعكم وعد من الله :أي وعد وإخبار من الله بأن إليه مرجعكم وكذا وعد الله فاعتبر الحيثية في الأول فلا يحتمل غير الصدق يدل عليه المقصود الأظهر كما في:'له علىّ ألف درهم اعترافاً' فإن كان مؤكداً لنفسه، وفي الثاني نفس الخبر فاحتمل غير الصدق فكان مؤكداً لغيره.

قوله:فإن معناه ليجزي الذين الخ :يعني أنه يدل على أن جزائهم بسبب كفرهم فيكون جزاء الذين أمنوا بسبب إيمانهم ليتجاوب كل من متقابلين وهما الذين أمنوا والذين كفروا.

قوله:والياء فيه منقلبة عن الواو: لكونها واقعة في المصدر مع كسرة ما قبلها ولكونها ساكنة في الواحد مع الألف بعدها في الجمع مع كسرة ما قبلها كذا في الشافية.

وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ الضمير لكل واحد أى قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وإناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ حساب الاوقات من الاشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ الايٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[٥]﴾ فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص "يفصل" بالياء.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ من أنواع الكائنات ﴿لَاٰيٰتٍ﴾ على وجود الصناع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ[٦]﴾ العواقب فإنه يحملهم على التفكر والتدبر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراء ها ﴿وَرَضُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيٰتِنَا غٰفِلُونَ[٧]﴾ لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلا وإما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر البعث ولم ير إلا الحياة الدنيا وبالاخرين من ألهاه حب

---

قوله:أي قدر مسير كل واحد منهما: أي موضع سير كل واحد منهما منازل ثمانية وعشرين كل واحد منهما فيها.

قوله:وإناطة أحكام الشرع به : كآجال الديون ومواقيت الحج.

قوله:بالمحسوسات: أي باللذات الدنيويةوحب العاجلة عما ورائها من الآخرة ولذاتها الأبدية.

قوله:والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الأيات راساً الخ: يعني أنهم جمعوا بين الذهول عن الأيات راساً وإنكار البعث وبين الانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم حتى يستعدوا لها فأوعد وا عليه حتى يرتدعوا عن كل منهما كما أنه على تقدير تغاير الفريقين أو عد كل منهما على ما اختاره.

العاجل عن التأمل فى الآجل والاعداد له.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ[٨]﴾ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾ بسبب ايمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لادراك الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ،أو لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله "بإيمانهم" على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير وقوله ﴿فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ[٩]﴾خبر أو حال أخرى منه أو من"الأنهار"أو متعلق بـ"تجرى" أو بـ" يهدي".

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ أى دعاؤهم ﴿سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ اللهم إنا نسبحك تسبيحا ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ ما يحيى به بعضهم بعضا أو تحية اللائكة إياهم ﴿فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ وآخر دعائهم ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ[١٠]﴾ أى أن يقولون ذلك ولعل المعنى انهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياء ه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز بأصناف الكرامات أو الله تعال فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام و "إن" هي المخففة من الثقيلة، وقد قرىء بها وبنصب "الحمد".

---

قوله:أولإد راك الحقائق :وكذا قوله أو لما يريد ونه عطف على قوله إلى سلوك طريق واللام بمعنى إلى.

قوله:ومفهوم الترتيب: يعني أن ترتيب العمل الصالح على الإيمان بناء على أن الواو يدل بمفهومه على أن الإيمان وحده ليس سبباً مستقلاً للهداية وإنما السبب هو الإيمان والعمل الصالح لكن منطوق قوله:بإيمانهم: يدل على أن الإيمان هو السبب المستقل للهداية فيدخلون الجنة بمجرد الإيمان، وفيه إشارة إلى رد ما في الكشاف من مذهب الاعتزال أن مجرد الإيمان بدون العمل الصالح لاينفع.

قوله:أي دعائهم: لأن 'اللّٰهم' نداء له ومعناه اللّٰهم إنا نسبحك أي يدعون اللّٰه بالتسبيح والتنزيه.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ ولو يسرعه إليهم ﴿اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم:" فأ مطرنا علينا حجا رة من السماء" تقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لاميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب" لقضى "على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرىء" لقضينا" ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[١١]﴾ عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالالهم واستدراجا.

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ لإزالته مخلصا فيه ﴿لِجَنبِهِ﴾ ملقى لجنبه أى مضاجعا ﴿أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً﴾ وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ يعنى مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا﴾ كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال: ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان

﴿إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ إلى كشف ضر ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١٢]﴾ من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي ﴿وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ وما استفهام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل و إصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ

---

قوله:وضع موضع تعجيله: يعني أن أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخبر فوضع استعجالهم موضع تعجيله اشعاراً بسرعة اجابته تعالىٰ لهم في الخير وبأن الاستعجال مراد في الشر وتقدير الكلام" ولو يجعل الله للناس الشر الذي دعوه تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير".

﴿الْمُجْرِمِينَ[١٣]﴾ نجزى كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم﴾استخلفناكم فيها بعد القرون التى أهلكناها استخلاف من يختبر ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ[١٤]﴾أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر فى الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا هى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يعنى المشركين ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم إليه فيلزموه ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي﴾ ما يصح لى ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وإنما اكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه الاتيان بقرآن آخر ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾تعليل لما يكون فإن المتبع لغيره فى أمر لا يستبد بالتصرف فيه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه

---

قوله:وفائدة الدلالة: أي فائدة كيف الدلالة على أن المعتبر في الجزاء كيفيات الأعمال من الحسن والقبح لا نفس الأعمال التي هي الحركات المخصوصة ولهذا يحسن الفعل الواحد كشرب الخمر مثلا يحسن مرة ويقبح أخرىٰ ولو كان المعتبر في الجزاء نفس الفعل لما كان الأمر كذلك بل يكون فعل حسنا وفعل أخر قبيحا.

قوله:وهو مصدر: يعني أن تلقاء مصدر بمعنى اللقاء استعمل ظرفاً بمعنى الحذاء، قال الجوهري: التلقاء أيضا مصدر بمعنى اللقاء.

قوله:لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر: لأن التبديل أسهل من الإتيان بقرآن فإذا لم يصح له الأسهل فكيف يصح له الأصعب.

قوله:وجواب للنقض بنسخ بعض الأيات ببعض: أي تقرير النقض أنك تنسخ بعض الأيات ببعض فأجاب بأني لا أنسخ وأني أتبع ما يوحىٰ إليّ بأن نسخت أية تبعت النسخ.

واختراعه ولذلك قيد التدبيل فى الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ أى بالتبديل ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ[١٥]﴾ وفيه ايماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ غير ذلك ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ﴾ ولا أعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير "ولأدراكم "بلام التأكيد أى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيرى وقرىء "ولا أدراكم "ولا أدرأتكم" بالهمز فيهما على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال والمعنى أن الأمر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً﴾ مقدارا عمر أربعين سنة ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن ولا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز خارق للعادة فإن من عاش بين اظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشىء قريضا ولا خطية ثم قرأ عليهم كتابا بزت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا من كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلوم به من الله تعالى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ[١٦]﴾ أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ تفاد مما اضافوه إليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعلى فى قولهم إنه لذو شريك وذو ولد ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ فكفر بها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ[١٧]﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فإنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عباده يجلب نفع أو دفع ضر ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ﴾ الأوثان ﴿شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أو في الآخرة أن يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا

---

قوله:ولذلك قيد التبديل في الجواب: أي بقوله من تلقاء نفسي.

قوله:أي لو شاء الله ما تلوته: أي لوشاء الله عدم تلاوة القرأن ما تلوته ولا علمكم به على لسان غيري لأنه الحق الذي لامحيص عنه .

قوله:ولم ينشيء قريضاً: القريض الشعر وبدت أي غلبت.

عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾ أتخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ وهو أن له شريكا أو هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما وفيه تقريع وتهكم بهم ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على أن ما يعبدون من دون الله إما سماوي وإما أرضي ولا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ[١٨]﴾عن إشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين في أول النحل والروم بالتاء.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق وذلك فى عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان أو على الضلال فى فترة من الرسل ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ باتباع الهوى والأباطيل أو ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل والجزاء ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلا﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[١٩]﴾ بإهلاك المبطل وإبقاء المحق.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي من الآيات التى اقترحوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا

---

قوله:تفاد: أي قوله :﴿فمن أظلم ممن افترىٰ على اللّٰه كذباً﴾ تفاد وتحامي عما نسبوه إلى النبي صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم وهو افتراء بطريق الكناية في قولهم 'أو بدله' فإنه يدل على أن الكتاب من عند نفسه وأن كونه من عند اللّٰه افتراء على اللّٰه.

قوله:وفيه تقريع وتهكم بهم: بأن الذي أنبأوابه باطل غير منطوتحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه.

قوله:مؤكدة للنفي :أي لنفي مالا يعلمه اللّٰه وعدم تحققه لأن مالم يوجد فيهما فهو معد وم وهذا الكلام على سبيل إلزام الخصم والغرض وإلا فالمسلمون متنزهون عن أمثاله، قال الإمام فخر الدين الرازي: ثبت بالدليل أن خارج العالم خلاء لانهاية له وثبت أنه قادر على جميع الكائنات فهو تعالىٰ قادر على أن يخلق ألف ألف عالم أعظم وأوسع منه. ودلائل الفلاسفة في إثبات أن العالم واحد دلائل ضعيفة مبنية على مقدمات واهية.

قوله:أو بعد الطوفان :إذ لم يذر اللّٰه من الكافرين ديارا.

قوله:أي من الأيات التي اقترحوها :وهي قران غيرها هذا.

﴿الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى إنزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن إنزالها ﴿فَانْتَظِرُواْ﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ[٢٠]﴾ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل على من الآيات العظام واقتراحكم غيره.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ صحة وسعة ﴿مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ﴾ كقحط ومرض ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِى آيَاتِنَا﴾ بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل: قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله ﴿قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾ منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدهم ، وإنما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لإذا الشرطية والمكر إخفاء الكيد وهو من الله تعالى أما الاستدراج أو الجزاء على المكر ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ[٢١]﴾ تحقيق للانتقام وتنبيه على أن ما دبروا فى إخفائه لم يخف على الحفظة فضلا أن يخفى على الله تعالى وعن يعقوب "يمكرون" بالياء ليوافق ما قبله

﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر "ينشركم" بالنون والشين من النشر ﴿فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ﴾ فى السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ بمن فيها عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة الهبوب ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ بتلك الريح ﴿جَاءتْهَا﴾ جواب إذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة بمعنى تلقتها ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ ذات عصف شديدة الهبوب ﴿وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يجيء الموج منه ﴿وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو ﴿دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من "ظنوا" بدل اشتمال لأن دعاء هم من لوازم ظنهم ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ

---

قوله:وإنما دل على سرعتهم: جواب سوال .تقرير السوال أن الله تعالىٰ ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله:أسرع مكرا فأجاب بأن كلمة إذ المفاجات دلت ذلك كأنه قال إذا رحمناهم بعدضراء فاجؤا وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء.

قوله:يجيء الموج منه: أي من كل مكان من أمكنة الموج يجيء الموج منه.

قوله:لأن دعائهم من لوازم ظنهم :لأن ظن الهلاك يستلزم الدعاء والتضرع إلى الله تعالىٰ.

مِنَ الشّٰكِرِيْنَ[٢٢]﴾ على إرادة القول أو مفعول "دعوا" لأنه من جملة القول .

﴿فَلَمَّا أَنجٰهُمْ﴾ إجابة لدعائهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِيْ الْأَرْضِ﴾ فاجئوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم فإنها إفساد بحق ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾ فإن وباله عليكم أو أنه على أمثالكم وابناء جنسكم ﴿مَّتَاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره "ذلك متاع الحياة الدنيا" و على أنفسكم خبربغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال أو مفعول فعل دل عليه البغى وعلى أنفسكم خبره ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ فى القيامة﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[٢٣]﴾ بالجزاء عليه

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ من الزروع والبقول والحشيش ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ حسنها وبهجتها ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها "وازينت" أصله تزينت فأدغم وقد قرىء على الأصل "وازينت" على أفعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قٰدِرُونَ عَلَيْهَا﴾ متمكنون من حصدها ورفع غلتها ﴿أَتٰهَا أَمْرُنَا﴾ ضرب زرعها ما يحتاجه ﴿لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنٰهَا﴾ فجعلنا زرعها ﴿حَصِيْداً﴾ شبيها بما حصد من أصله ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرىء بالياء على الأصل ﴿بِالْأَمْسِ﴾ فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية

---

قوله:لأنه من جملة القول :أي الدعاء من جملة القول ومن جزئياته أي قالوا :يا اللّٰه حال كونهم مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه ألخ.

قوله:وقد قرىء على الأصل :أي بدون حذف المضاف هنا والضمير عائد إلى المضاف المحذوف فيما قبل.

وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح لا الماء وإن وليه حرف التشبيه لأنه من التشبيه المركب ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[٢٤]﴾ فإنهم المنتفعون به.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾دار السلام من التقضي والآفة أو دار الله وتخصيص هذا الاسم أيضا للتنبيه على ذلك أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ بالتوفيق ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ[٢٥]﴾ هو طريقها وذلك الإسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ المثوبة الحسنى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله﴿ويزيدهم من فضله﴾وقيل: الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هى اللقاء ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ لا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾ غبرة فيها سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [٢٦]﴾ دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾عطف على قوله"للذين أحسنوا الحسنى"على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو أولذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة بمثلهاعلى تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أى أن تجازى سيئه بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على أن الزيادة هى الفضل أو التضعيف أوكأنما أغشيت وجوههم أو أولئك أصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة.

---

قوله:أو دار الله: فعلى هذا يكون السلام إسم الله وتخصيص هذا الاسم للتنبيه على السلامة من التقضي والآفة.

قوله:وفيه تنبيه على أن الزيادة هي الفضل أو التضعيف: وذ لك أن جزاء السيئة إذا كان مثلها لابد وأن يكون جزاء الحسنة مثل الحسنة فالزيادة هي الفضل على مثل الحسنة أو تضعيفها كما في الوجهين الأولين لا شيء أخر كما في الوجهين الأخرين وفي هذا تقوية للوجهين الأولين.

مبتدأ وخبره محذوف أى فجزاء سيئة بمثلها واقع أو بمثلها على زيادة الباء أو تقدير مقدر بمثلها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ وقرىء بالياء ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ ما من أحد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ غطيت ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾ لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه غشيت لأنه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة أو معنى الفعل فى "من الليل" وقرأ ابن كثيروالكسائي ويعقوب "قطعا" بالسكون فعلى هذا يصح أن يكون مظلما صفة له أو حالا منه ﴿أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[٢٧]﴾ مما يحتج به الوعيدية والجواب أن الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولأن الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ يعنى الفريقين جيمعا "﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ﴾ ألزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه وقرىء بالنصب على المفعول معه ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ[٢٨]﴾ مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فإنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواء هم لأنها الآمرة ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قوله:أو بمثلها: أي أو الخبر مثلها على أن يكون الباء زائدة أو على أن التقدير مقدر مثلها.

قوله:والعامل في الموصوف عامل في الصفة: فكذا في الحال، لأن الحال في المعنى صفة لذي الحال والمعنى كأنما أغشيت قطعا من الليل التي شانها الظلام.

قوله:فعلى هذا يصح أن يكون مظلما صفة له أو حالا منه: لأنه على هذه القرأة مفرد فيصح جعل مظلماً بالتذكير صفة له أو حالاً منه بخلاف على القرأة الأولىٰ فإنه لا يصح بدون التانيث.

قوله:مما يحتج به الوعيدية :لأن السيئات عام يتناول الكفر والفسق فدلت الأية على أن الفاسق مخلد في النار.

قوله:المنتقل إليه من عامله: لسده مسده.

قوله:ففرقنا بينهم ألخ: أي باعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف ومتبرأ شركائهم منهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا.

قوله:مجاز عن براءة ما عبدوه :يعني ليس من شركائهم قول وإنما هو مجاز عن

الاشـراك لا مـا اشـركـوا بـه وقيـل ينـطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين.

﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنه العالم بكنه الحال ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ[٢٩]﴾ "إن" هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره، وقرأ حمزة والكسائي "تتلوا" من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت ،أو من التلو أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى النار، وقرىء "نبلو" بالنون ونصب "كل" وإبدال "ما" منه والمعنى نختبرها أي نفعل بها فعل المختبر لحالها المعترف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها، ويجوز أن يراد به نصيب بالبلاء أى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون "ما" منصوبة بنزع الخافض ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى جزائه إياهم بما أسلفوا ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ ربهم ومتولي أمرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرىء "الحق" بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وضاع عنهم ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ[٣٠]﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أى منهما جميعا، فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أومن كل واحد منهما توسعة عليكم، وقيل: من لبيان من على حذف المضاف أى من أهل السماء والأرض ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من أدنى شيء ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ ومن يحيى ويميت أو من ينشىء الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ومن يلي تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ[٣١]﴾ أنفسكم عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك.

---

براء ة ما عبد وه وتبرئهم عن عبادتهم.

قوله: أو المصدر المؤكد: أي لغيره كقولك هذا عبد الله الحق.

قوله: بأسباب سماوية: وذلك لأن الأوضاع الفلكية توجب الاستعداد والمطر وصلاح الزروع والثمار والمواد الأرضية تقبل ذلك.

﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أى المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ استفهام إنكار أى ليس بعد الحق إلا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ[٣٢]﴾ عن الحق إلى الضلال.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أى كما حقت الربوبية لله أو أن الحق بعده الضلال أو أنهم مصرفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه، وقرأ نافع وابن عامر" كلمات" هنا وفى آخر السورة وفي" غافر "﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[٣٣]﴾ بدل من الكلمة، أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها ولذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينوب عنهم في الجواب فقال ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ لأن لجاجهم لا يدعهم أن يعترفوا بها ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ[٣٤]﴾ تصرفون عن قصد السبيل.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وإرسال الرسل صلى الله عليه وسلم والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بـ" إلى" لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهي غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما أسند إلى الله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ أم الذي لا

---

قوله: جعل الإعادة كالإبداء: جواب سوال، وهو أن يقال كيف جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام مع أنهم غير معترفين فأجاب بأنها لظهور برهانها جعل أمراً مسلماً معترفاً بصحته عند العقلاء وإن لم يساعد وا عليها.

قوله: للدلالة على أن المنتهي غاية الهداية: وذ لك أن اللام يكون للعلة والغرض فتدل على أن المنتهي غاية الهداية والغرض منها وإنها لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق بل لأجل هذا الغرض الذي هو الحق ولذ لك عدي باللام ما أسنده إلى الله لأن أفعال الله تعالىٰ معللة بالأغراض كما هو مذهب البعض.

يهتدي إلا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه إذا اهتدى أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله، وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير، وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر" يهدي" بفتح الهاء وتشديد الدال، ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد، والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أوكسرت لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر" يهدي"باتباع الياء الهاء ، وقرأ أبو عمرو بالإدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لأن المدغم فى حكم المتحرك، وعن نافع برواية قالون مثله وقرىء إلا أن يهدي للمبالغة ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ[٣٥]﴾ بما يقتضي صريح العقل بطلانه .

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ ﴾ فيما يعتقدونه ﴿إِلَّا ظَنّاً﴾مستندًا إلى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة، والمراد بالأكثر الجميع، أو من ينتمي منهم إلى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ﴾من العلم والاعتقاد الحق ﴿ شَيْئاً﴾ من الإغناء ، ويجوز أن يكون مفعولا به و" من الحق" حالا منه، وفيه دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ﴿ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ[٣٦]﴾ وعيد على اتباعهم للظن وإعراضهم عن البرهان.

---

قوله:من قولهم أهدى بنفسه إذا اهتدىٰ: قيل أن لفظ 'بنفسه' غير مذكور فكيف يكون منه إلا أن يحمل على الحذف.

قوله:أو كسرت لالتقاء الساكنين: بأن أسكنت التاء بد ون نقل الحركة إلى ما قبلها كما في الوجه الأول فالتقى ساكنان.

قوله:وقرأ أبو عمروبالإدغام المجرد: أي بد ون تحريك الهاء ولم يبال بالتقاء الساكنين أي الهاء والدال المدغم لأن الساكن المدغم في حكم المتحرك.

قوله:وقرئ إلا أن يهدي للمبالغة: لأن باب التفعيل يجيء للمبالغة والتكثير في الفعل وذلك بأن اللّٰه تعالىٰ راكب فيهم العقول وأعطاهم من التمكين للنظرفي الأدلة التي نصبها لهم ووفقهم وألهمهم وأخطرهم ببالهم ووفقهم على الشرائع.

قوله:﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ بما يقتضي صريح العقل بطلانه: حيث تزعمون أنداد اللّٰه.

قوله:﴿شيئا﴾ من الإغناء: فعلىٰ هذا يكون مفعولاً مطلقاً.

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْاٰنُ اَنْ يُّفْتَرٰى مِن دُونِ اللّٰهِ﴾ افتراء من الخلق ﴿وَلَـٰكِن تَصْدِيْقَ الَّذِىْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مطابقا لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزًا دونها عيارعليها شاهد على صحتها، ونصبه بأنه خبر لـ" كان" مقدرًا أو علة لفعل محذوف تقديره" ولكن أنزله الله تصديق الذى" وقرىء بالرفع على تقدير" ولكن هو تصديق" ﴿وَتَفْصِيْلَ الْكِتٰبِ﴾ وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع ﴿لَا رَيْبَ فِيْهِ﴾ منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك، ويجوزأن يكون حالا من" الكتاب" فإنه مفعول في المعنى، وأن يكون استئنافا ﴿مِن رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ[٣٧]﴾ خبر آخر، تقديره "كائنا من رب العالمين" أو متعلق بـ" تصديق" أو" تفصيل" و"لاريب فيه" اعتراض، أو بالفعل المعلل بهما، ويجوز أن يكون حالا من "الكتاب" أو من الضمير في "فيه" ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه.

﴿أَمْ يَقُوْلُوْنَ﴾ بل أيقولون ﴿افْتَرٰهُ﴾ محمدصلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه للإنكار ﴿قُلْ فَأْتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ﴾ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمرنا في النظم والعبارة ﴿وَادْعُوْا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به ﴿مِّن دُوْنِ اللّٰهِ﴾ سوى الله تعالى فإنه وحده قادر على ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صٰدِقِيْنَ[٣٨]﴾ أنه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوْا﴾ بل سارعوا إلى التكذيب ﴿بِمَا لَمْ يُحِيْطُوْا بِعِلْمِهِ﴾ بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من

---

قوله: مطابقاً لما تقدمه: يعني أن هذا القرآن ليس افتراء من الخلق وإنما هو مطابق للكتب المقدمة التي شهد على صدقها وتحقق صدقها فيكون صادقاً ولا يكون كذباً كيف يكون كذباً وهو لكونه معجزا دونها دال على صدقها.

قوله: بالقرآن أول ما سمعوه: يعني أن المراد أنهم كذّبوا بالقرآن أول ما سمعوا قبل أن يتدبروا أياته ويحيطوا بالعلم بشانه، قيل الظاهر أن يقول ولم يحيطوا علماً كقوله وأحاط بكل شيء علماًفعدل عنه للمبالغة وإفادة أنه كان ينبغي أمره أن يحيطوا به علماً أحاطةً تامةً بحيث كانوا أحاطوا بالعلم المحيط به، وقيل وجه المبالغة أنه يلزم من إحاطة العلم إحاطة المعلوم بالطريق الأولىٰ.

ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب، والمعنى أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى، ثم إنهم فاجئوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه، ومعنى التوقع في "لمّا" أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فزادوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها، أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقا لإخباره مرارًا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردًا وعنادًا﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أنبياءهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ[٣٩]﴾ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم.

﴿وَمِنْهُم ﴾ ومن المكذبين ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ من يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند، أو من سيؤمن به ويتوب عن الكفر﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره ،أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ[٤٠]﴾ بالمعاندين أو المصرين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ ﴾وإن أصروا على تكذيبك بعد إلزام الحجة ﴿فَقُل لِّى عَمَلِىَ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ فتبرأ منهم فقد أعذرت، والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ[٤١]﴾ لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم، قيل: إنه منسوخ بآية السيف.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالأصم الذى لا يسمع أصلا﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ تقدرعلى إسماعهم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ[٤٢]﴾ولو انضم إلى صممهم عدم تعقلهم، وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتاتى إلا باستعمال العقل السليم فى تدبره، وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلف والتقليد تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق.

---

قوله:ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم إلى معانيه: وذلك أن التاويل تفسير مايؤول إليه القرآن من جهة الغموض والخفاء .إما المعاني وإما عاقبة ماأخبر فيه من المغيبات فالوجه الاول مبني على المعنى الاول والثاني على الثاني .

﴿وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَ﴾ يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك ﴿أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ[٤٣]﴾ وإن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة، فإن المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الأعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الأحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ بسلب حواسهم وعقولهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ[٤٤]﴾ بإفسادها وتفويت منافعها عليهم، وفيه دليل على أن للعبد كسبا وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة، ويجوز أن يكون وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه، وقرأ أبو عمرو والكسائي بالتخفيف ورفع الناس.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة أو صفة لـ"يوم" والعائد محذوف ، تقديره كأن لم يلبثوا قبله أو لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وهذا أول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وهي حال أخرى مقدرة أو بيان لقوله" كأن لم يلبثوا" أو متعلق الظروف، والتقدير: يتعارفون يوم يحشرهم ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ استئناف للشهادة على خسرانهم والتعجب منه، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في "يتعارفون" على إرادة القول ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ[٤٥]﴾

---

قوله:وهو حال أخرى مقدرة :لأن التعارف لا يكون في أن الحشر وإخراجهم من القبور إنما هو بعد حين التقائهم واجتماعهم وهو أول زمان انتشارهم قبل روية الأهوال فعلىٰ هذا يكون المراد بالحشر إخراجهم من القبور ، وحينئذ يكون ﴿كأن لم يلبثوا إلا ساعةمن النهار﴾ حالا مقدرة لأن كونهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة هو في حال روية الأهوال. فإن قلت: هل يجوز أن يراد بالحشر الجمع ؟قلت: لا، لأنه حينئذ لا يصح أن يكون ﴿ يتعارفون﴾ حالا لأنه يكون في أول النشر لا في زمان الجمع الذي هو زمان روية الأهوال.

قوله:للشهادة علىٰ خسرانهم: يعني أن قوله: قد خسر الذين شهادة من الله تعالى على خسرانهم وتعجب من خسرانهم.

طرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ نبصرنك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نريك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ[٤٦]﴾ مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بـ" ثم" أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الماضية ﴿رَّسُولٌ﴾ يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق ﴿فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ﴾ بالبينات فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بين الرسول ومكذبيه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل فأنجى الرسول وأهلك المكذبون ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ[٤٧]﴾ وقيل: معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله: وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ استبعادا له واستهزاء به ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[٤٨]﴾ خطاب منهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً﴾ كيف أملك لكم فاستعجل في جلب العذاب إليكم ﴿إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ﴾ أن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مضروب لهلاكهم ﴿إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ[٤٩]﴾

---

قوله:فذاك :أي فذاك حق وصواب أو ثابت.

قوله:ولذلك رتبها على الرجوع :ثم أي لأجل أن المراد جزاء ما يفعلون رتبها على الرجوع لأن جزاء ما يفعلون وهو العقاب يتراخي عن زمان الرجوع بعد الحشر وإلا فالله شهيد على ما يفعلون في الدنيا والآخرة لا يتراخي إلى الآخرة.

قوله:أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة :بأن ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم.

قوله: ﴿إلا ماشاء الله﴾ أن أملكه: أي إلا الضر والنفع الذي شاء الله ملكي لهم، هذا بالنظر إلى الظاهر لأن الله ملك الإنسان بعض المنافع وبعض المضار فيكون الاستثناء متصلا وأما في الحقيقة فالضر والنفع من الله لا يملكه إلا الله فيكون الاستثناء منقطعاً والمعنى لكن ماشاء الله من الضر والنفع كائن واقع.

لايتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلون فسيحين وقتكم وينجز وعدكم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الذى تستعجلون به ﴿بَيَاتاً﴾ وقت بيات اشتغال بالنوم ﴿أَوْ نَهَاراً﴾ حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ[٥٠]﴾ أي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بـ" أرأيتم " لأنه بمعنى "أخبرونى" والمجرمون" وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغى أن يفزعوا من مجيء العذاب لا أن يستعجلوه، وجواب الشرط محذوف، وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا خطأه، ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك :إن أتيتك ماذا تعطيني" وتكون الجملة متعلقة بـ" أرأيتم" أو بقوله ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ بمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، "وماذا يستعجل" اعتراض ودخول حرف الاستفهام على" ثم" لانكار التأخير﴿ آلآنَ ﴾ على إرادة القول أي قيل لهم :إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به، وعن نافع "الآن" بحذف الهمزة والفاء حركتها على اللام ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ[٥١]﴾ تكذيبا واستهزاءً.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾عطف على" قيل" المقدر ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ المؤلم على الدوام﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ[٥٢]﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾ ويستخبرونك﴿ أَحَقٌّ هُوَ﴾أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة، والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبئونك وقيل: إنه للانكار، ويؤيده أنه قرىء "الحق هو" فإن فيه تعريضًا بأنه باطل ، وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم والجملة

---

قوله:وهو متعلق بأرأيتم :أي مفعول أرأيتم وإن أتاكم، ابتداء كلام جوابه محذوف وهو ندمتم على الاستعجال أو عرفتم خطائكم، فقوله ندموا أو عرفوا ليس كما ينبغي.

قوله:ويكون الجملة متعلقة بأرائيتم: أي الجملة الشرطية مفعول أرأيتم أو بقوله الصواب أو قوله بدون الباء لأن المعنى أن يكون الجواب قوله:﴿أَثُمَّ إذا مَا وقع آمنتم به﴾:هذا لكن ينبغي أن يتأمل كيف يدخل 'ثم' العاطف في الجواب الشرط.

قوله :لقوله ويستنبئونك :لأن الاستنباء طلب الخبر وهو معنى الاستفهام.

قوله:فإن فيه تعريضاً بأنه باطل: لأن اللام للجنس فكأنه قيل أهو جنس الحق وماهيته يعني ليس حقيقة الحق فيكون باطلاً.

في موضع النصب ويستنبئونك﴿ قُلۡ إِيۡ وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ ﴾إن العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت، وقيل: كلا الضميرين للقرآن، و"إي" بمعنى "نعم" وهو من لوازم القسم، ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال: إي والله، ولا يقال: إى وحده ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ[٥٣]﴾بفائتين العذاب.

﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ ﴾ بالشرك أو التعدى على الغير ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من خزائنها وأموالها﴿ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا، وقيل: وأسروا الندامة أخلصوها لأن إخفاء ها إخلاصها أو لأنه يقال سر الشىء لخا لصته من حيث إنها تخفي ويضن بها، وقيل أظهر وها من قولهم: أسر الشيء أسره إذا أظهره﴿ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ[٥٤]﴾ ليس تكريرا لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير إنما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ[٥٥]﴾لأنهم لا يعلمون لقصور عقولهم إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا.

﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾فى الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى؛ لأن القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت لهما أبدا ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ[٥٦]﴾بالموت أو النشور.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ[٥٧]﴾ أي قد جاء كم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن

---

قوله:والضمير إنما يتناولهم :يعني أن ضمير 'بينهم' إنما يتناول المظلومين مع أنه لم يتقدم إلا ذكر الظالمين لدلالة الظلم على المظلوم.

قوله:للحكمة العملية :الحكمة علم يعرف به ما عليه الموجود كله في نفسه وما عليه الواجب وهي قسمان نظرية وهي التي الغاية فيه حصول الاعتقاد واليقين بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان ويكون المقصود إنما هو حصول رأي فقط كعلم التوحيد وغيره. وعملية وهي التي لا يكون الغاية فيه حصول الاعتقاد واليقين بالموجودات فقط وإنما يكون المقصود فيه حصول راي في أمر يحصل بكسب الإنسان ليكسب ما هو الخير منه بل حصول رأي لأجل عمل كعلم الأخلاق وغيره.

الأعمال، ومقابحها المرغبة فى المحاسن، والزاجرة عن المقابح، والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الإعتقاد، وهدى إلى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين، حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان ، والتنكير فيها للتعظيم.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ بإنزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ فإن اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك، وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الأجمال، وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح ، أو بفعل دل عليه قد جاء تكم ، وذلك إشارة إلى مصدره أي فبمجيئها فليفرحوا، والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فيهما فليفرحوا، أو للربط بما قبلها، والدلالة على أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله

وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعي

وعن يعقوب"فلتفرحوا"بالتاء على الأصل المرفوض، وقد روى مرفوعا ويؤيده أنه قرئ"فافرحوا"﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ[٥٨]﴾من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال قريب ،وهو ضمير ذلك، وقرأ ابن عامر" تجمعون" بالتاء على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيّها المخاطبون.

---

قوله:تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا: أي أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا أما الثاني فظاهر وأما الأول فلأن الفرح بالشيء يستلزم الاعتناء به وهذا كما يقدر في ضربت غلامه أهنت.

قوله:وفائدة ذلك التكرير: أي فائدة تكرار الفعل التاكيد في التقرير والبيان بعد الإجمال لأن في الحذف إجمالا ن ولأن الفرح به بيان للاعتناء بشانه وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح. فإن قيل :كيف قال:اختصاصهما بالفرح والواجب أن يقال إيجاب اختصا ص الفرح فأن تقديم قوله:'فبذلك' على الفعل يفيد ذلك، كأنه قيل :افرحوا بهما لا بغيرهما، أجيب بأن ذلك من باب القلب ويمكن أن يقال: إن الباء داخل على المقصورفالاختصاص حاصل بالتقديم والمراد بذ لك التكرير على الوجه المخصوص.

قوله:أو بفعل دل عليه قد جاء تكم :التقدير قل قد جاء تكم موعظة بفضل الله وبرحمته.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّٰهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ جعل الرزق منزلاً، لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب منها، وما في موضع النصب بـ' أنزل' أو بـ 'أرأيتم' فإنه بمعنى أخبروني، ولكم دل على أن المراد منه ما حل، ولذلك وبخ على التبعيض فقال: ﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً ﴾ مثل هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا ﴿قُلْ آللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ﴿أَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُونَ[٥٩]﴾ في نسبة ذلك إليه، ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بـ "أرأيتم" وقل مكرر للتأكيد وأن يكون الاستفهام للإنكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ ﴾ أي شيء ظنهم ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ أيحسبون أن لا يجازوا عليه، وهو منصوب بالظن، ويدل عليه أنه قرء بلفظ الماضي؛ لأنه كائن وفي إبهام الوعيد تهديد عظيم ﴿ إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ حيث أنعم عليهم

---

قوله:محصل بأسباب منها: نحو المطر الذي تنبت به الأرض النبات والشمس الذي بها نضج الإنزال وينع الأثمار والمراد بالأسباب الأوضاع الفلكية التي توجب جميع ذلك.

قوله:ويجوز أن يكون المنفصلة متصلة بأرأيتم :أي يجوز أن يكون القضية المنفصلة وهي ﴿أالله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ متصلة بقوله أرأيتم ومن تتمته كلمة ﴿قل﴾ تكرار للتاكيد فالاستفهام على حقيقته ، ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة للتقرير أي لتقرير أنهم افتروا على الله. قيل لايجوز أن يكون أم متصلة لأنه يصير المعنى أي الأمرين واقع الإذن أم الافتراء؟ وأجيب بأن الاستخبار بقوله أخبروني وهو عالم بأنه ما أذن الله وأنهم مفترون للوعيد وطلب الإقرارمنهم على الكذب والافتراء لإلزام الحجة.

قوله:أيحسبون أن لا يجازوا عليه :أي يظنون يوم القيامة أن لا يجازوا عليه بمعنى أنهم لا يظنون بذ لك يوم القيامة بل يتقنون بالجزاء عليه لأنه واقع فيوم القيامة منصوب بالظن ويدل عليه إن قريء بلفظ الماضي وذلك أنه مستقبل عبر عنه بالماضي لتحقق الوقوع، وظاهر أنه حينئذ يكون يوم القيامة متعلقا به، وفيه دفع لما قيل:إنه لا يجوز أن يكون الظن عاملا في 'يوم القيامة' لأن ذلك اليوم يوم يقين ومشاهدة وأن العامل فيه محذوف وهو المفعول الثاني ليظن، ألا ترى أن المعنى أي شيء يظنونه واقعاً يوم القيامة ؟أتعذيب بالنار أو تقريب بالجنة.

بالعقل، وهداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ[٦٠]﴾هذه النعمة.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ولا تكون فى أمر وأصله الهمز من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير فى﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾له؛ لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول أولأن القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو﴿ مِن قُرْاٰنٍ ﴾على أن من تبعيضية أو مزيدة لتأكيد النفي، أو للقرآن وإضماره قبل الذكر، ثم بيانه تفخيم له أو لله﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾تعميم للخطاب بعد تخصيصه بـ من هو رأسهم؛ ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة، وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً ﴾ رقبآء مطلعين عليه ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون فيه، وتندفعون ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه، وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ موازن نملة صغيرة أو هباء ﴿فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاء ﴾ أي في الوجود والإمكان فإن العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الأرض ؛لأن الكلام في حال أهلها، والمقصود منه البرهان علىإحاطة علمه بها ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ[٦١]﴾ كلام برأسه مقرر لما قبله ،لا نافية و' أصغر' اسمها، 'فى كتاب' خبرها، وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر، ومن عطف على لفظ' مثقال ذرة' وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَـآءَ اللَّهِ ﴾الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾

---

قوله: لأن تلاوةالقرأن معظم شان الرسول: يعني أن القرأن شان الرسول وأنه أكثر شانه فمن تبعيضية أو ابتدائية والثانية تبعيضية أو زائدة.

قوله:تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم: حيث خاطب أولا في قوله "وما تكون" و"ما تتلوا" بالنبي ثم خاطب النبي وأصحابه، وفيه إشارة إلى أن تخصيصه بالخطاب وإن كان المراد العام لشرفه لأنه راسهم.

قوله:جعل الاستثناء منقطعاً: لأنه على تقدير الاتصال يصير المعنى "وما يعذب مثقال ذرة إلا في حال كونه في كتاب مبين وهو فاسد".

من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [٦٢]﴾لفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ[٦٣]﴾ وقيل: "الذين آمنوا وكانوا يتقون" بيان لتوليهم إياه.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ هو ما بشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ بتلقى الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم، ومحل "الذين آمنوا"النصب، أو الرفع على المدح، أو على وصف الأولياء ،أو على الابتداء ، وخبره لهم البشرى ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ﴾ أي لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده ﴿ ذَٰلِكَ ﴾إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[٦٤]﴾ هذه جملة، والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه، وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم، وقرأ نافع "يحزنك" من أحزنه، وكلاهما بمعنى ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾استئناف بمعنى التعليل، ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل: لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم؛ لأن الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئًا منها،

---

قوله:فسره قوله تعالىٰ:﴿ الذين أمنوا وكانوا يتقون﴾: يعني أن أولياء اللّٰه بمعنى أنهم يتولونه ويحبونه بالطاعة ويتولاهم ويحبهم بالكرامة هم 'الذين أمنوا وكانوا يتقون' وقوله: لهم البشرىٰ ألخ بيان لشرفهم ومثوبتهم في الدنيا وفي الأخرة، وقيل الذين آمنواوكانوا يتقون بيان لتوليهم ومحبهم للّٰه ولهم البشرىٰ ألخ بيان لتولية ومحبة إياهم.

قوله:وما يريهم من الرويا الصالحة :يراه لنفسه أو لمسلم أخر.

قوله:وبشرىٰ الملائكة عند النزع: تأتيهم الملائكة بالرحمة. قال اللّٰه تعالىٰ:﴿ تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ وهذه الجملة الخ أما الأولىٰ وهو قوله: لا تبديل، فلأن معناه لا أخلاق لمواعيده فيكون تاكيداً لمعنى الوعد في قوله: لهم البشرىٰ، وأما الثانية وهي ذلك هو الفوز العظيم فلأن معناه البشارة في الدارين هو الفوز العظيم فيكون تاكيداً للبشارة.

قوله: وليس من شرطه :أي ليس من شرط الاعتراف أن يقع بين كلا مين بأن يقع بعده كلام متصل بما قبله بل يجوز أن يقع في آخر الكلام.

قوله:إشراكهم وتكذيبهم :يعني أن قولهم هو إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم إياك.

فهو يقهرهم، وينصرك عليهم ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ[٦٥]﴾ بعزماتهم فيكافئهم عليها.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى السَّمٰوٰت وَمَن فِى الْأَرْضِ﴾ من الملائكة والثقلين، وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيدًا لا يصلح أحد منهم للربوبية، فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندًا أو شريكًا فهو كالدليل على قوله ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَآء﴾ أي شركاء على الحقيقة وإن كان يسمونها شركاء، ويجوز أن يكون شركاء مفعول" يدعون" ومفعول "يتبع" محذوف دل عليه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أى ما يتبعون يقينًا، وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة بـ يتبع أو موصولة معطوفة على 'من' وقرء "تدعون" بالتاء الخطابية، والمعنى: أي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين: أي أنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة فيكون إلزاما بعد برهان، وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ[٦٦]﴾ يكذبون فيما ينسبون إلى الله أو يحزرون ويقدرون أنها شركاء تقديرًا باطلاً.

﴿هُوَ الَّذِىْ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وإنما قال: ' مبصرا'

---

قوله: ويجوز أن يكون" ما" استفهامية منصوبة بـ"يتبع": أي أي شيء يتبع هؤلاء الذين يدعون من دون اللّٰه شركاء يعني: ما يتبعون ليس بشيء.

قوله: أوموصولة معطوفة على من: أي أن اللّٰه ما يتبعه الذين يدعون من دون اللّٰه شركاء.

قوله: من الملائكة والنبيين: بيان لأي شيء.

قوله: فيكون إلزاماً بعد برهان: أي على قراءة التاء وأن يكون "ما" استفهامية يكون الزاماً بعد برهان بقوله ألا إن للّٰه ما في السمٰوٰت والأرض بأنهم يبتغون الوسيلة بالملائكة والنبيين مع أنهم لا يبتغون إلا اللّٰه.

قوله: يكذبون فيما ينسبون إلى اللّٰه أو يحزرون ويقدرون: قال الجوهري: الخراص: الكذب، وقد خرص يخرص بالضم خرصاً كذب والخرص حرز ما على النخل من الرطب تمرا.

قوله: تنبيه على كمال قدرته تعالىٰ وعظم نعمته: حيث جعل الليل مظلماً تستريحون فيه والنهار مضيئاً تبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم.

ولم يقل: لتبصروا فيه، تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ[٦٧]﴾سماع تدبر واعتبار.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أى تبناه ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له عن التبني،فإنه لا يصح إلا ممن يتصور له الولد ، وتعجب من كلماتهم الحمقاء ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾علة لتنزيهه، فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقرير لغناه﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا﴾ نفي لمعارض ما أقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم، وتحقيقا لبطلان قولهم، و بهذا متعلق بـ 'سلطان' أو نعت له، أو بـ 'عندكم' كأنه قيل: إن عندكم في هذا من سلطان ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ[٦٨]﴾ توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم، وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة، وأن العقائد لا بد لها من قاطع، وأن التقليد فيها غير سائغ.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ[٦٩]﴾ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف: أى افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر أوحياتهم، أو تقلبهم متاع، مبتدأ خبره محذوف: أى لهم تمتع في الدنيا﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ[٧٠]﴾بسبب كفرهم.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبره مع قومه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ عظم عليكم وشق ﴿مَّقَامِي﴾ نفسي كقولك: فعلت كذا لمكان فلان، أو كوني

---

قوله:تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب :فإن النهار ظرف للسكون أيضا وسبب لطلب الأرزاق.

قوله:فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة: لأنه إنما يطلب الولد ضعيف ليتقوى أوفقير ليستعين به أو ذليل ليشرف به والكل أمارةالحاجة والله تعالىٰ منزه عن الحاجة.

قوله: كأنه قيل: إن عندكم في هذا من سلطان: أي ليس في هذا القول وهو 'اتخذالله ولداً' دليل وإنما مجرد دعوىٰ تدعونه ،فالباء في كل من الاحتمالات بمعنى في أي ليس دليل في هذا القول أو دليل كائن في هذا القول أو دليل ثابت عندكم في هذا القول

قوله:﴿مقامي﴾ نفسي: يعني أن المراد بقوله 'مقامي' إما المكان أو المصدر، فإن

وإقامتي بينكم مدة مديدة، أو قيامي على الدعوة ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إياكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وثقت به ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ فاعزموا عليه ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أى مع شركائكم، ويؤيده القراءة بالرفع عطفًا على الضمير المتصل، وجاز من غير أن يؤكد للفصل، وقيل: إنه معطوف على 'أمركم' بحذف المضاف: أى وأمر شركائكم، وقيل: إنه منصوب بفعل محذوف تقديره:' وادعوا شركاءكم، وقد قرء به، وعن نافع 'فاجمعوا'من الجمع، والمعنى أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم ثقةً بالله، وقلة مبالاة بهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ في قصدي ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مستورًا واجعلوه ظاهرًا مكشوفًا من غمه إذا ستره، أو ثم لا يكن حالكم عليكم غمًا إذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾ أدُّوا﴿ إِلَيَّ ﴾ ذلك الأمر الذي تريدون بي وقرء:'ثم افضوا إليَّ' بالفاء: أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى الفضاء﴿ وَلَا تُنْظِرُونِ[٧١] ﴾ ولا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ يوجب توليكم لثقله عليكم، واتهامكم إياي لأجله، أو يفوتني لتوليكم ﴿ إِنْ أَجْرِيَ﴾ما ثوابي على الدعوة والتذكير﴿ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم، أو توليتم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ[٧٢]﴾ المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فأصروا على تكذيبه بعدما ألزمهم الحجة، وبين أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم ،لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾من الغرق ﴿وَمَنْ مَعَهُ فِي

---

كان المكان يكون كناية عن النفس أو يكون لفظ المقام مقحماً كما في مقام الذئب، وإن كان الثاني فإما أن يكون المراد المكث والكون مجازاً وإما أن يراد حقيقة القيام وذلك أنهم إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيناً وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسىٰ صلوات الله تعالىٰ عليه أنه كان يعظ الحواريين قائماً وهم قعود.

قوله:﴿ثم لايكن أمركم﴾ في قصدى: أي لا يكون قصدكم وسعيكم إلى إهلاكي مستوراً عليكم بل ظاهراً مكشوفاً تجاهرونني به.

قوله:فكذبوه: أي قال نوح لقومه:﴿ إن كان كبر﴾ وألزم الحجة وبين أن توليهم لعنادهم فاصرّوا على تكذيبه بعد إلزام الحجة فهو عطف على 'قال' وبيان لعاقبة قصة نوح عليه الصلاة والسلام.

﴿الْفُلْكِ﴾ وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰئِفَ﴾ من الهالكين به ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَٰتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ[٧٣]﴾ تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتسلية له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ أرسلنا ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كل رسول إلى قومه ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله إياهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثه الرسل -عليهم الصلاة والسلام ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ[٧٤]﴾ بخذلانهم؛ لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف، وفي أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد، وقد مر تحقيق ذلك. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَٰتِنَا﴾ بالآيات التسع ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن اتباعهما ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ[٧٥]﴾ معتادين الإجرام، فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك ﴿قَالُوا﴾ من فرط تمردهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ[٧٦]﴾ ظاهر أنه سحر، أو فائق في فنه واضح فيما بين إخوانه.

﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه، ولا يجوز أن يكون ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ لأنهم بتوا القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه، اللهم إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير، والمحكي مفهوم قولهم، ويجوز أن يكون معنى 'أتقولون للحق' أتعيبونه من قولهم: فلان يخاف القالة كقوله: "﴿سمعنا فتىً يذكرهم﴾[سورة الأنبياء: ٦٠] فيستغني عن المفعول ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّٰحِرُونَ[٧٧]﴾ من تمام كلام موسى للدلالة على أنه ليس بسحر، فإنه لو كان سحرًا لاضمحلّ، ولم يبطل السحرة، ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر، أو من تمام قولهم: إن جعل 'أسحر هذا' محكيًا كأنهم قالوا: أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح، ولا يفلح الساحرون.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ لتصرفنا، واللفت والفتل أخوان ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾

---

قوله: أي بسبب تعودهم تكذيب الحق: يعني أنهم كانوا قبل بعثة الرسول أهل جاهلية مكذبين بالحق.

من عبادة الأصنام ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ الملك فيها، سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر، أو التكبر على الناس باستتباعهم ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ[٧٨]﴾بمصدقين فيما جئتما به.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وقرأ حمزة والكسائي:"بكل سحار"﴿عَلِيمٍ[٧٩]﴾حاذق فيه.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ[٨٠]﴾

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾ أي الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرًا، وقرأ أبو عمرو'السحر' على أن 'ما' استفهامية مرفوعة بالابتداء، و'جئتم به' خبرها، و السحر بدل منه، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: أهو السحر، أو مبتدأ خبره محذوف: أي السحر هو، ويجوز أن ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده وتقديره أيُّ شيء أتيتم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيمحقه أوسيظهر بطلانه﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ[٨١]﴾ لا يثبته ولا يقويه، وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له. ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ ويثبته ﴿ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بأوامره وقضاياه وقرىء 'بكلمته'﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ[٨٢]﴾ذلك.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى ﴾ أي في مبدأ أمره﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم، فلم يجيبوه خوفًا من فرعون إلا طائفة من شبّانهم وقيل: الضمير لـ فرعون' والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به، أو مؤمن آل فرعون، وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾ أى مع خوف منهم، والضمير لـ فرعون وجمعه' على ما هو المعتاد في ضمير العظماء ،أو على أن المراد بـ فرعون آله'

---

قوله:لاتصاف الملوك بالكبر: فالكبرياء من لوازم الملك فيكون كناية عنه.

قوله:لاما سمّاه فرعون وقومه سحراً: وهو أيات الله.

قوله:وفيه دليل على أن السحرإفساد وتمويه لا حقيقة له: لأن الإفساد الإتيان بالشيء الفاسد فظاهر أن الفاسد لا حقيقة له وإنما هوتمويه يخيل أنها حية تسعى وليست بحية في الحقيقة.

قوله:إلا طائفة من شبّانهم :أي مع حوف.

كما يقال ربيعة ومضر. أو للذرية أو للقوم ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول 'خوف' وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ لغالب فيها﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ[٨٣]﴾في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لما رأى تخوف المؤمنين به ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ فثقوا به واعتمدوا عليه ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ[٨٤]﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له، وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين، فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل، فإنه المقتضى له والمشروط بالإسلام حصوله، فإنه لا يوجد مع التخليط ،ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين، ولذلك أجيبت دعوتهم﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾موضع فتنة ﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[٨٥]﴾أى لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[٨٦]﴾من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم، وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولا لتجاب دعوته.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ﴾ أى اتخذا مباءة ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾يسكنون فيها أو يرجعون إليها للعبادة ﴿وَاجْعَلُوا﴾ أنتما وقومكما ﴿بُيُوتَكُمْ﴾ تلك البيوت﴿قِبْلَةً﴾ مصلى، وقيل: مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة، وكان موسى

---

قوله: كما يقال ربيعة ومضر: والمراد أل ربيعة ومضر.

قوله: وهو بدل منه: أي من فرعون.

قوله: فإنه لا يوجد مع التخليط: بأن لا يجعلوا نفوسهم خالصة لله بل يكون للشيطان حظ فيها أيضاً.

قوله: أي اتخذ مباءة: أي مرجعاً ومنزلًا تسكنون فيها وترجعون إليها أو مرجعاً ترجعون إليها للعبادة واجعلوا تلك البيوت مصلىً وأقيموا الصلوة فيها، وذلك أن بني إسرائيل كانوا لايصلون إلا في مساجد هم وكنا ئسهم فلما أرسل موسىٰ أمر فرعون بتخريب مساجد بني إسرائيل ومنعهم من الصلوة فأمروا بذلك، أواجعلوا تلك البيوت التي ترجعون اليها للعبادة مساجد متوجهة نحو الكعبة لان الكفرة كانوا يعرفون أن التوجه الىٰ بيت المقدس لعبادة الله ويوذونهم لذلك وماكانوا يعرفون أن التوجه إلي الكعبة عبادة الله.

صلى الله عليه وسلم يصلي إليها ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾ فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ[٨٧]﴾ بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى، وإنما ثني الضمير أولًا؛ لأن التبوأ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور، ثم جمع؛لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد، ثم وحّد؛ لأن البشارة فى الأصل وظيفة صاحب الشريعة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما ﴿ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ وأنواعا من المال ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك: لعن الله إبليس، وقيل: اللام للعاقبة وهى متعلقة بـ أتيت، ويحتمل أن تكون للعلة ؛لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال، ولأنهم لما جعلوها سببًا للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون 'ربنا' تكريرًا للأول تأكيدًا وتنبيهًا على أن المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم تقدمة لقوله ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ﴾ أي أهلكها، والطمس المحق، وقرىء اطمس بالضم ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أى وأقسها عليها حتى لا تنشرح للإيمان ﴿ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ[٨٨]﴾ جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على 'ليضلوا' وما بينهما دعاء معترض.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن ﴿فَاسْتَقِيمَا ﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا؛ فإن ما طلبتما كائن ولكن

---

قوله:دعاء عليهم: يعني لماعلم من ممار سة أحوالهم أنه لايكون غير الاضلال دعا عليهم يا ربنا ليضلوا عن سبيلك وليكن أمرهم الاضلال عن سبيله، وإنما حمله على الدعاء وغيره من الوجوه لانه لايلائم تهيئة أسباب الاضلال إلى الله تعالىٰ ، وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى: إذا علم الله تعالىٰ منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله أتاهم ماأتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله:﴿ إنما نملي لهم ليزداد وا إثماً﴾ فيكون الأية حجة على المعتزلة القائلين بوجوب الأصلح على الله تعالىٰ، والوجه الأول مذكور في الكشاف وهو بناء علىٰ مذهبه عندهم .

قوله:لأنه كان يؤمّن: يعني كان موسىٰ يدعو وهٰرون يؤمّن ويجوز أن يكونا جميعاً يدعوان.

فى وقته، روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ[٨٩]﴾ طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى، وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان' ولا تتبعان' بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ،ولا تتبعان من تبع ، ولا تتبعان أيضًا.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ أي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرىء 'جوزنا' وهو من فعل المرادف لـ فاعل' كضعف وضاعف ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ فأدركهم، يقال: تبعته حتى اتبعته ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ باغين وعادين، أو للبغي والعدو، وقرىء' وعدوا' ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ لحقه ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ﴾ أي بأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ[٩٠]﴾ وقرأ حمزة والكسائي: إنه بالكسر على إضمار القوم أو الاستئناف بدلًا وتفسيرًا لـ' امنت' فنكب عن الإيمان، أو أن القبول وبالغ فيه حين لا يقبل.

﴿آلْآنَ﴾ أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ قبل ذلك مدة عمرك ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ[٩١]﴾الضالين المضلين عن الإيمان.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيًا، أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل، وقرأ يعقوب' ننجيك' من أنجى، وقرىء 'ننحيك' بالحاء: أى نلقيك بناحية من الساحل ﴿بِبَدَنِكَ﴾ في موضع الحال: أي ببدنك عاريًا عن الروح، أو كاملا سويًا، أو عريانًا من غير لباس، أو بدرعك، وكانت له درع من ذهب يعرف بها، وقرىء 'بأبدانك' أي بأجزاء البدن كلها كقولهم: هوى بإجرامه، أو بدرعك كأنه كان مظاهرًا بينها ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾لمن وراءك علامة، وهم بنو

---

قوله:على إضمار القول :التقدير قال: آمنت قائلا أنه لا إله إلا الذي الخ أوالاستيناف بدلًا أي من آمنت،أي قال: إنه لاإله، وهذا بناء على أنه حكايةمن كلام فرعون وفي كلامه لامحل له من الإعراب وإلا فهو مقول القول له محل من الإعراب .

قوله:نجوة: النجوة المكان المرتفع .

قوله:أو بدُ رعك: قال الجوهرى :البدن الدرع القصير .

قوله: كأنه كان مظاهراً بينها :أي أوقع المظاهرة أي المعاونة بينها بأن عاون بعضها بعضاوذلك بالمطابقة بينها .

إسرائيل؛ إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطرحًا على ممرهم من الساحل، أو لمن يأتي بعدك من القرون إذاسمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرةً ونكالًا عن الطغيان، أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية، وقرىء لمن خلقك أى لخالقك آية: أى كسائر الآيات؛ فإن إفراده إياك بالالقاء إلى الساحل دليل على أنه تعمد منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة فى أمرك، وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وإرادته، وهذا الوجه أيضًا محتمل على المشهور ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ[٩٢]﴾لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَآئِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلًا صالحًا مرضيًا، وهو الشأم ومصر ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ﴾ من اللذائذ ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ فما اختلفوا فى أمر دينهم إلا من بعدما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها، أو فى أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[٩٣]﴾فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾من القصص على سبيل الفرض والتقدير ﴿فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما ألقينا إليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة، وأن القرآن مصدق

---

قوله:وقريء لمن خلقك :بالقاف.

قوله:وهذا الوجه أيضا محتمل على المشهور: أي على القراءة المشهورة بتأويل المقرو أي لتكون آية لله الذي وراءك محيط بك من وراءك .

قوله:وعلموا أحكامها: أي بعد ما لزمهم الثبات على دين الحق واتحاد اختلفوا بأن أولوها

قوله:والمراد تحقيق ذلك: يعني ليس المراد إمكان وقوع الشك بل المراد تحقيق ماألقينا إليك والاستشهاد عليه بالكتب المتقدمة والمعنى إن فرض ذلك شك كما يفرض المحالات وسبيل من خالجته شبهة أن يسارع الىٰ حلها بالرجوع إلىٰ قوانين الدين وأدلته أو مباحثة العلماء فاسأل علماء الكتاب فإنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومباحثة فضلا عن غيرك فهم محل إزالة الشبة، فإما أن يكون المراد تحقيق ذلك منهم و الا ستشهاد عليه لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه الصلاة

لـمـافيهـا، أو وصف أهـل الـكتـاب الرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إليه أو تهييج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزيـادة تثبيته لا إمكان وقوع الشك له؛ ولذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا أشك ولا أسأل، وقيل: الخطاب للنبى ـ صـلى الله عليه وسلم ـ والمراد أمته أو لكل من يسمع: أى إن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا إليك، وفيه تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم ﴿لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ واضـحًـا لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ[٩٤]﴾ بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ[٩٥]﴾ أيضًا من باب التهييج والتثبيت وقطع الإطماع عنه كقوله : فلا تكونن ظهيرًا للكافرين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾ ثبتت عليهم ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ[٩٦]﴾ إذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه

---

والسـلام بـإحيـاء الـموتـىٰ أو وصـفهـم بـأنهـم را سخـون في العلم بذلك أو تهيج الـرسول ﷺ والتـحـريـض على ما عليهم من اليقين والبعث على طلب المزيد وهذا كما تقول لمن يجتهد في مزاولة أمروانت تريد بعثه عليه أراك توليت عن هذا لاأمر وقعدت عنه تهيجه وتحريضه .

قـولـه:والـمراد أمتة: وذلك أن كفار قريش قالوا: إن هذا الوحي يلقي إليه الشيطان فأنزل الله تعالىٰ:﴿ فان كنت في شك﴾ والمراد غيره .

قـولـه: ﴿إن الـذيـن حـقـت﴾ ثبتـت عـليهـم ﴿كلمة ربك﴾ :أي قضاء ه وإخباره لـلـمـلائكة بأنهم لايومنون يدل عليه قوله: إذ لايكذب كلامه ولاينتقض قضاء ه، وفيه رد عـلـى صـاحـب الـكشـاف حيث قال بناء على مذهب الاعتزال وتلك كتابة معلوم لاكتابة مقدر ومراد، تعالىٰ الله عن ذلك، لكن قوم يونس فالاستثناء منقطع لانه تم الكلام الأول ،﴿ وإلاقـوم يـونس لما أمنوا﴾ابتداء كلام بيان لحال قوم يونس لايتعلق بما قبلة فيكون الاستثناء مـنـقـطـعا والمعنى هلا اٰمنت قرية من القرى المهلكة إيماناً نا فعاً لكن شان قوم يونس أنهم لـمـا أمـنـوا كشـفـنا عنهم عذاب الخزي، وأيضاً لوكان الاستثناء متصلاً يفسد المعنى لانه يـكون تخصيصاً لأهل القرى على الإيمان النافع وهو الإيمان وقت الاختيار إلاقوم يونس، لان المعنى حينئذ هلا أمنت قرية إيماناً نافعاً مستثنى منه قوم يونس ، فإن إيمانهم غير نافع، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً بناءً على معنى تضمن حرف التحضيض معنى النفي كما ذكره .

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله تعالى به مفقود ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ[٩٧]﴾ وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب، ولم تؤخر إليها كما أخر فرعون ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَآ﴾ بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ لكن قوم يونس عليه السلام ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخره إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا؛ لأن المراد من القرى أهاليها كأنه قال: ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس، ويؤيده قراء ة الرفع على البدل ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ[٩٨]﴾ إلى آجالهم، روي أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث. وقيل: إلى ثلاثين، وقيل: إلى أربعين، فلما دنا الموعد أغامت السماء غيما أسود ذا دخان شديد، فهبط حتى غشى مدينتهم، فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه، فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها، فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج، وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ بحيث لا يشذ منهم أحد ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه، وهو دليل على القدرية في أنه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين، وأن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة، والتقييد بمشيئةالالجاء خلاف

---

قوله:ولم يؤخروه: عطف على ﴿كانت﴾ أي وهلاّلم يؤخروا.

قوله:لأن المراد من القرى أهاليها: فيكون قوم يونس داخلا فيه .

قوله:ويؤيده قراء ة الرفع على البدل: إذ البدل في الاستثناء المنقطع لايكون في فصيح الكلام .

قوله:وهو دليل علي القدرية في أنه تعالىٰ لم يشاء إيمانهم أجمعين: وأن من يشاء إيمانه يقع حيث ذهبوا إلى أن اللّٰه تعالىٰ شاء إيمانهم جميعا ولكن لم يومنوا باختيارهم ، وذلك أن مدلول الآية أن ما يدخل في مشية اللّٰه تعالىٰ يقع فمن شاء إيمانه اٰمن وحمل الأية على التقييد بمشية الإلجاء كما حمله القدرية عليه، فالمنفى مشية الالجاء لا مشية الاختيار فا للّٰه تعالىٰ يشاء إيمانهم جميعاً اختيارا لكن يومنوا باختيار هم خلاف الظاهر .

الظاهر ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ بما لم يشأ الله منهم ﴿حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ[٩٩]﴾ وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء، وإيلاؤها حرف الاستفهام للانكار، وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل، فلا يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض علهيم؛ إذ روي أنه كان حريصًا على إيمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾ بالله﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللّهِ﴾ إلا بإرادته وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها، فإنه إلى الله ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الخذلان فإنه سببه، وقرىء: بالزاى وقرأ أبو بكر: ونجعل بالنون ﴿عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ[١٠٠]﴾ لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات، أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع، ويؤيد الأول قوله: ﴿قُلِ انظُرُواْ﴾ أي تفكروا ﴿مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ﴾ من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته، و'ماذا' إن جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل ﴿وَمَا تُغْنِي الآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ[١٠١]﴾ في علم الله وحكمه، و'ما' نافية أو استفهامية في موضع النصب.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مثل وقائعهم، ونزول بأس الله بهم؛ إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها ﴿قُلْ فَانتَظِرُوآ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ[١٠٢]﴾لذلك، أو فانتظروا هلاكي، إني معكم من المنتظرين هلاككم.

---

قوله:وترتيب الإكراه على المشية: أي ترتيب الإكراه على الإيمان على مشية اللّٰه تعالىٰ عدمه أي أنكر الإكراه على الإيمان المرتب على عدم مشيته مختصاًبه دون اللّٰه تعالىٰ فدل على أنه مستحيل ،إذلوا مكن لما أنكره ولا كرهه أيضاً .

قوله:إلا بإرادته تعالىٰ وألطافه وتوفيقه: أي لايتحقق إيمان نفس من النفوس ولا يصح إلا بإطلاقه بأن لا يكون محجوراً لم يؤمر بخلافه وتوفيقه وتيسره له ويتعلق إرادته تعالىٰ به .

قوله: فإنه سببه: أي الرجس وهو القدر سبب للعذاب أو الخذلان والرجز أيضاً القدر .

قوله:وما ذا إن جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل: وهذا يحتمل وجهين ،أحدهما أن يركب 'ذا'مع 'ما'و جعل اسماً واحداً بمعنى أي شيء والثاني أن يكون 'ما' استفهام و'ذا' موصولا ،وأما إذا جعل 'ما'اسماً موصولًا و'ذا' زايدة فلا تعلق، قال الرضي: وقد جاء زائدة بعد 'ما' الموصولة قال: دعي ما ذا علمت سأتقيه ولكن بالمعيب نبئيني.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على محذوف دل عليه "إلا مثل أيام الذين خلوا" كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ[١٠٣]﴾ كذلك الانجاء، أو انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين و حقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر، وقيل: بدل من كذلك، وقرأ حفص والكسائي: ننجي مخففًا.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب لأهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ وصحته ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ فهذا خلاصة ديني اعتقادًا وعملاً، فاعرضوها على العقل الصرف، وانظروا فيها بعين الأنصاف لتعلموا صحتها، وهو أني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم، وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[١٠٤]﴾ بما دل عليه العقل ونطق به الوحي، وحذف الجار من أن يجوز أن يكون من المطرد مع أنّ وأن يكون من غيره كقوله: "أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ـ فقد تركتك ذا مال وذا نسب"

---

قوله: كذلك الإنجاء: أي مثل ذلك الإنجاء فهو إما حال أو مفعول مطلق بتقدير موصوف.

قوله: ونصبه بفعله المقدر: أي حق ذلك الإنجاء حقاً.

قوله: وهذا خلاصة ديني اعتقاداً وعملاً فأعرضوها على العقل الصرف: إشارة إلى أن قوله فلا أعبد الذين ألخ لا يستقيم أن يكون جواباً ومسبباً عن قوله: فإن كنت في شك إلا باعتبار الإعلام والإخبار بذلك والأمر بالعرض على العقل الصرف كما في قوله: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾.

قوله: وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد: أي بأن يتقى ويعبد دون لا يقدر على شيء.

قوله: وأن يكون من غيره: أي من غير المطرد بأن حذف من متعلق 'أمرت' كما في قوله: أمرتك الخير.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ عطف على أن أكون غير أنّ صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا فرق بينهما في الأرض؛ لأن المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه، وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى، وأمرت بالاستقامة في الدين، والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح، أو في الصلاة باستقبال القبلة ﴿حَنِيفاً﴾حال من الدين، أو الوجه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١٠٥]﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ بنفسه إن دعوته أو خذلته ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فإن دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ[١٠٦]﴾جزاء للشرك، وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ﴾ وإن يصبك به ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ يدفعه ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إلا الله ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾ فلا دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾الذى أرادك به، ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات، وأن الضر

---

قوله: غير أن صلة أن محكية الخ: إشارة إلى جواب إشكال أورد على العطف على الصلة وهو أنّ 'أنْ' حرف موصول وحق الصلة أن تكون جملة خبرية فينبغي أن يقال: وأن أقيم وتقرير الجواب أنه وقع صلة باعتبار الغرض وذلك أن المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر وهو الفعل ليدل على الموصول مع الفعل على المصدر والخبر والإنشاء سواء في هذا التضمن ، قال سبيويه: توصل 'أن' بالأمر والنهي لأن الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصادر دلالة غيرهما من الأفعال ومعنى' أقم وجهك' استقم إليه ولا تلتفت يميناً وشمالاً.

قوله: مع تلازم الأمرين: يعني أن كل واحدمن الإرادة والمس لاينفك أحدهماعن الأخرفصرح الإرادة بالخيردون الضرب للتنبيه علىٰ أن الخيرمرادبالذات وبالقصدالأول بخلاف الضر فإنه مرادبواسطة وقوع الذنب .

إنـما مسهم لا بالقصد الأول، ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يرد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن؛ لأن مراد الله لا يمكن رده ﴿ يُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ[١٠٧]﴾ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ، ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ رسوله أو القرآن، ولم يبق لكم عذر﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ بالأيمان والمتابعة ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ﴾؛لأن نفعه لها﴿ وَمَن ضَلَّ﴾ بالكفر بهما ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا ﴾؛لأن وبال الضلال عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ[١٠٨]﴾ بحفيظ موكول إلى أمركم، وانما أنا بشير ونذير.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ بالامتثال والتبليغ ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على دعوتهم وتحمل أذيتهم﴿ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ بالنصرة، أو بالأمر بالقتال ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ[١٠٩]﴾ إذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر، عن النبى ـصلى الله عليه وسلمـ من قرأ سورة يونس أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بـ يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون.

---

قوله:لم يستثن: يعني لم يقل' ولارادبفضله إلاهو'لأن ماأراده اللهواقع البتة لايرده أحدلاهوولاغيره بخلاف ماأصابك فإنه يدفعه .

# سورة هود عليه السلام

مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓرٰ كِتٰبٌ ﴾مبتدأ، أوخبر، أو كتاب خبر مبتدأ محذوف ﴿أُحْكِمَتْ اٰيٰتُهٗ﴾نظمت نظمًا محكمًا لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ، فإن المراد آيات السورة، وليس فيها منسوخ ،أو أحكمت بالحجج والدلائل، أو جعلت حكمية منقول من حكم بالضم إذا صار حكيمًا؛ لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية، ثم فصلت بالفوائد من العقائد والأحكام والمواعظ والأخبار، أو بجعلها سورًا، أو بالإنزال نجمًا نجمًا، أو فصل فيها، ولخص ما يحتاج إليه، وقرىء فصلت:أى فرقت بين الحق والباطل وأحكمت آياته ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ على البناء للمتكلم و 'ثم' للتفاوت فى الحكم، أو للتراخى في الأخبار ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ[١]﴾صفة أخرى لـ 'كتاب' أو خبر بعد خبر أو صلة لـ' أحكمت أو فصلت' وهو تقرير لأحكامها وتفصيلها على

---

قوله:أوكتاب خبرمبتدأمحذوف: أي هذا كتاب، فعلىٰ هذا يكون معنى الٓرٰ كما قال ابن عباس "أنا اللّٰه أرى" ويقال: الألف الاٰء ه واللام لطفه والراء ربوبيته .

قوله:أومنعت من الفساد:من احكمت الدابة إذاوضعت عليهاالحكمة لتمنعهامن الجماع وحكمته اللجام مأحاط بالحنك والا ول من أحكمت الأمر فاستحكم صار محكما وكذا الثالث

قوله:وثم للتفاوت في الحكم :يعني أن حكم الجملة الثانية أعلىٰ رتبة من حكم الأولىٰ لأن فيها بيان الفوائد والأحكام والمواعظ والأخبار بخلاف الأولىٰ الثانية فإن فيها أحكام الألفاظ والمعاني أو أن إخبار الثاني متأخر عن الأول ومتراخي عنه، فإن قلت ﴿ثم فصلت﴾ متصل بقوله ﴿أحكمت اٰياته﴾ فكيف يكون متراخياً عنه؟ قلت باعتبار المتعلق والمقصود وهو أن لا تعبد وا الخ .

أكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر أمره وما خفي.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ﴾ لأن لا تعبدوا، وقيل أن مفسرة؛ لأن في تفصيل الآيات معنى القول، ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد أو الأمر بالتبري من عبادة الغير، كأنه قيل: ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أو اتركوها تركا ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾ من الله﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ[٢]﴾بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عطف على 'ألا تعبدوا' ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ﴾ ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة؛ فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع، وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا إلى الله بالطاعة، ويجوز أن يكون 'ثم' لتفاوت ما بين الأمرين ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً﴾ يعشكم في أمن ودعة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو آخر أعماركم المقدرة ،أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وإن كانت متعلقة بالاعمار لكنها مسماة بالاضافة إلى كل أحد فلا تتغير﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾

---

قوله:باعتبار ما ظهرأمره وما خفي :الأول باعتبار فصاحة الكلام والثاني باعتبارما تضمنه الكتاب من دقائق الحكمة والاعتقادات والمسائل .

قوله: وقيل أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول: كما في أمرت أي قال أن لا تعبدوا إلاالله ،وعلي الأول يكون أن مصدرية و﴿أن لا تعبدوا﴾ مفعول له بتقديم اللام .

قوله: بمعنى الزموه أواتركوه تركاً: فعلى الاول يكون مفعولًا به ومتعلقا بالإغراء وعلى الثاني مفعولاً مطلقاً متعلق بالأمر بالتبري .

قوله:ثم توسلوا الخ: إشارة إلي جواب سوال، وهو أنه ما معنى' ثم 'في قوله:﴿ثم توبوا﴾ مع أن الا ستغفار توبة؟ فأجاب بأن المراد بقوله:' ثم توبوا' التوصل إلى المطلوب الذي هو التوحيد با لتوبة لا مطلق التوبة أو المراد الاستغفارعن الشرك والتوبة إليه بالطاعة وبأن ثم للتفاوت في المرتبة فإن التوصل إلي المطلوب أعلي مرتبة من الاستغفار .

قوله:والأ رزاق والآ جال: يعني أن الأرزاق والآ جال وإن كانت معلقة بالأعمال حيث علقت بالاستغفار والتوبة فيلزم تغير الأرزاق والآ جال السابقة لكنها مسماه معينة المقدار بالنسبة إلى كل واحد لان المعلق عليه واقع قطعاً .

وإن تتولوا ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ[٣]﴾يوم القيامة وقيل: يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف، وقرىء: وإن تولوا من وُلي.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ[٤]﴾فيقدر على تعذيبكم أشد عذاب، وكأنه تقرير لكبر اليوم.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾يثنونها عن الحق وينحرفون أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو يولون ظهورهم وقرىء:يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء مبالغة و تثنون وأصله تثنونن من الثنّ، وهو الكلأ الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثنى وتثنئنّ من اثنأنّ كابيأض بالهمزة وتثنوي﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ﴾ من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه، قيل: إنها نزلت في طائفة من المشركين، قالوا: إذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم؟ وقيل: نزلت في المنافقين، وفيه نظر؛ إذ الآيةمكية والنفاق حدث بالمدينة ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ ألا حين يأوون إلى فراشهم ويتغطون بثيابهم ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾في

---

قوله:يوم القيامة: وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل .

قوله:وهو شاذ عن القياس: لان الميمي يجئى من يفعل بكسر العين على مفعَل بفتح العين .

قوله:يثنونها عن الحق وينحرفون عنه :يرد أن يثني الصدر كناية عن الإعراض والإنحراف عن الحق وذلك أن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن أزور عنه وانحرف ثني عنه صدره وطوي كشحه وكذلك يولون ظهورهم كناية لان تحريف الصدر عن الشيء يستلزم تولي الظهر إياه وأما الوجه الثاني فهو معناه اللغوي، قال الجوهري ثنيت الشيء ثنياً عطفته .

قوله:من أثنوني :أفعوعل من الثني وبناء أفعوعل يجيء للمبالغة في الفعل لتكرير العين كقولك أعشب البلد فإذا كثر قلت أعشوشب .

قوله:وتثنون أي وقرىء تثنون وأصله تثنونن على وزن تفعوعل من الثن .

قوله:أراده به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدروهم للثني :أي يضعف إيمانهم ويمرض قلوبهم أو يطاوع صدروهم للثني كما يثني الكلاء الضعيف .

قوله:وتثنئن أي وقرئ تثنئن من اثنأن على وزن أفعال ثم همزة كأ بياض.

قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم، فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[٥]﴾بالأسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ غذاؤها ومعاشها لتكلفه إياه تفضلاً ورحمةً، وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقًا لوصوله وحملاً على التوكل فيه ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أماكنها في الحياة والممات، أو الأصلاب والأرحام، أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ﴿كُلٌّ﴾ كل واحد من الدواب وأحوالها ﴿فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ[٦]﴾مذكور في اللوح المحفوظ، وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالمًا بالمعلومات كلها، وبما بعدها بيان كونه قادرًا على الممكنات بأسرها تقريرًا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد.

﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الأعراف، أوما في جهتي العلو والسفل، وجمع السموات دون الأرض لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ﴾قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما؛ لأنه كان موضوعًا على متن الماء، واستدل به على إمكان الخلاء وأن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم، وقيل: كان الماء على متن الريح، والله أعلم بذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ متعلق بـ 'خلق' أي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم كيف تعملون، فإن جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج إليه أعمالكم ودلائل وأمارات تستدلون بها، وتستنبطون منها، وإنما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث إنه طريق إليه كالنظر والاستماع

---

قوله: تقريرًا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد: يعني قوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله .إلى قوله: الله مرجعكم﴾وذلك أن كمال العلم وكمال القدرة يوجبان أن لايعبد غير الله ماليس له ذلك وكذلك يوجبان وفاء الوعد والوعيد .

قوله: لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات: فإن مواد كل من الأفلاك وهيولاتها مختلفة وكذا ذواتها لترتيب الآثار والأحكام على كل منها مالا يترتب على الآخر دون هيولات العناصر فإن هيولاتها واحد وهو هيولى ما وإنما يختلف صورها النوعية.

قوله: لما فيه من معنى العلم :فهو في حكم العلم .

وانـمـا ذكر صيغة التفضيل والاختبـار الشـامـل لـفـرق الـمكلفين باعتبار الحسن والقبح لـلتـحريض على أحاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائمًا في مراتب العلم والعمل، فـإن الـمـراد بالعجل ما يعم عمل القلب والجوارح، ولذلك قال النبي:ـصلى الله عليه وسلم ـأيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله، والمعنى أيكم أكمل علمًا وعملاً ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ[٧]﴾أي ما البعث أو القول به، أو القرآن المتضمن لذكره إلا كالسحر في الخديعة أو البـطلان، وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر على أن الاشارة إلى القائل، وقرىء:أنكم بالفتح عـلـى تـضـمـيـن قـلـت مـعنى ذكرت، أو أن يكون 'أن' بمعنى على، أي: ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل مالاحقيقة له مبالغة فيإنكاره.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾الـموعود ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾إلـى جـماعة من الأوقات قليلة﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاءً ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ما يمنعه من الوقوع﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ كيوم بدر﴿لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾ليس الـعذاب مدفوعًا عنهم، و'يوم' منصوب بخبر'ليس' مقدم عـليه وهـو دليـل عـلـى جـواز تـقديم خبرها عليها ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ وأحـاط بهم، وضع الـمـاضـي مـوضع المستقبل تحقيقًا ومبالغةً في التهديد﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِئُونَ[٨]﴾ أي الـعذاب الذي كانوا به يستعجلون، فوضع' يستهزؤون' موضع 'يستعجلون' لأن استعجالهم كان استهزاءً.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ ولـئـن أعـطـيناه نعمة بحيث يجد لذتها ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ ثـم سلبنا تلك النعمة منه ﴿إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾ قـطـوع رجاء ه من فضل الله تعالىٰ

---

قـولـه:وإنـمـا ذكـر صيـغة التـفضيل :أي إنما ذكر صيغة التفضيل مع أن الاختيار شـامـل لـفـرق الـمـكلفين المؤمن والكافر باعتبار الحسن والقبح لا باعتبار الحسن وزيادة الحسن للتحريض والترغيب في الأحاسن من الأعمال .

قـولـه:وهـو دليـل عـلـى جواز تقديم خبرهاعليها: وذلك أنه إذا جاز تقديم خبرها عـليها يستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه جاز تقديم معمول خبرها عليها كان جواز تقديمها عليها أولى إذ المعمول تابع للعامل .

قـولـه:لأن استـعـجـالهـم :أي بـقـولـه مـايـحسبه أي ما يمنعه من الوقوع والنزول استعجالا علي وجه التكذيب والا ستهزاء .

لقلة صبره وعدم ثقته به ﴿كَفُورٌ[٩]﴾ مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم، وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّاتُ عَنِّيٓ﴾ أي المصائب التي سائتنى ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ بطر بالنعم مغتر بها ﴿فَخُورٌ[١٠]﴾ على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء ؛لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبدأ الوصول.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضراء إيمانًا بالله تعالى واستسلاما لقضائه ﴿وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ﴾ شكرًا لآلائه سابقها ولاحقها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ[١١]﴾ أقله الجنة، والاستثناء من الإنسان؛ لأن المراد به الجنس ،فإذا كان محلى باللام أفاد الاستغراق، ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعًا.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به، ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه، وهو عصمة الرسل من الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ها هنا ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ وعارض لك أحيانا ضيق صدرك بأن تتلوه

---

قوله:لقلة صبره :إذ لو لم يصبرلم يقطع رجائه فإن الصبر مفتاح العزج ولا نه لم يثق به تعالىٰ إرجاع تلك النعمة .

قوله:وغنى بعد عدم: قال الجوهري :العدم أيضاً الفقر وكذلك العدم إذا ضممت أوله خففت وإن فتحت ثقلت.

قوله:وفي اختلاف الفعلين نكتة لا يخفى: يعني اسند الفعل الأول إلى اللّٰه والثاني إلي الضر لنكتة وهي أن إيصال النعمة مقصود وإيصال الضر تبع لكسب الشر.

قوله:وفي لفظ الا ذاقة والمس تنبيه علي أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالا نموذج لما يجده في الآخرة :يعني أن وصول النعم فيالدنيا با لنسبة إلي الآخرة بمنزلة الإ ذاقة وكذلك وصول الضر فيالدنيا بالنسبة إلى الآخرة بمنزلة المس .

قوله:وعارض لك أحيانا ضيق صدرك :إشاره بذلك إلى وجه العدول عن ضيق الي ضائق وذلك أن ضائق يدل على أن ضيقه عارض غير ثابت لانه عليه الصلاة والسلام

عليهم مخافة ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ ينفقه في الاستباع كالملوك ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدقه، وقيل: الضمير في 'به' مبهم يفسره 'أن يقولوا' ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ ليس عليك إلا الانذار بما أوحى إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ[١٢]﴾ فتوكّل عليه ؛ فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أم منقطعة والهاء لما يوحى ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في البيان وحسن النظم تحداهم أولاً بعشر سور، ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مختلفات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عند نفسي، فإنكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم لتعلمكم القصص والأشعار وتعودكم القريض والنظم ﴿وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[١٣]﴾ إنه مفترى.

---

كان أفسح الناس صدراً بخلاف ضيق فإنه يدل على ثباته.

قوله:ولا عليك :أي لا باس عليك سواء ردوا أواقترحوا .

قوله:في البيان وحسن النظم: وإلا فما يأتون مفترون وهذا غير مفترى .

قوله:تحد اهم أولا بعشر سورثم لما عجزوا عنها سهل الأ مر عليهم وتحدا هم بسورة: قال الامام: التحدي بالسورة الواحدة ورد في البقرة والدليل الذي ذكره يقتضي أن يكون هو مقدمة في النزول علي يونس والبقرة ،وقال محي السنة :أنكرالمبرد هذا وقال: بل نزلت سورة يونس أولاً وقال معنى قوله في سورة يونس 'فأتوا بسورة مثله في الخبر عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في هود:إن عجز تم عن الإتيان بمثله في الأخبار والاحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير وعد ولا وعيد وإنما هو مجرد بلاغة.

قوله:وتوحيد المثل باعتبار كل واحد: يعني وضع المثل موضع الأمثال ليدل على اعتبار أفراد المعد ود واحداً واحداً ولو جمع لدل على أن مجموع عشر سور مثل القرآن لا واحداً واحداً .

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ بإتيان ما دعوتم إليه، وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو لأن المؤمنين كانوا أيضًا يتحد ونهم، وكان أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ متناولاً لهم من حيث إنه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل، وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه، ولذلك رتب عليه قوله: ﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أُنزِلِ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ ملتبسًا بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ واعلموا أن لا إله إلا الله؛ لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره، ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه، وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ[١٤]﴾ ثابتون على الإسلام راسخون فيه مخلصون إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقًا، ويجوز أن يكون الكل خطابا للمشركين، والضمير في ’لم يستجيبوا‘ لمن استطعتم، أي فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم، وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعاوضة فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة، وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانه وبره ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد،

---

قوله: جمع الضمير: يعني جمع ضمير ’لكم‘ بعد إفراده في ’قل‘ إما لتعظيم الرسول أولأ ن المومنين كانوا يتحدثونهم وكان أمر رسول الله ﷺ متنا ولًا لهم وكأنه قال: قولوا: فأتوا بعشر سور.

قوله: وللتنبيه: عطف على من حيث .

قوله: وللتنصيص: أي ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بإعجازه عليه أي التوحيد من غير أن يتوقف صدقه على التوحيد حتى لا يصح إثبات التوحيد فقوله: عليه‘ متعلقا بالتنصيص .

قوله: مطلقاً: أي قبل التحدي وبعده ويمكن أن يكون المراد با لنسبة إلى عشر سور وبا لنسبة إلى سورة بعد التحدي أو بالنسبة إلى أمور الغيب والقصص وبالنسبة إلى البلاغة والفصاحة.

وقرىء:'يوف'بالياء أي يوف الله ، وتوف على البناء للمفعول ، ونوف بالتخفيف والرفع؛ لأن الشرط ماض كقوله:" وإن أتاه كريم يوم مسغبة ـ يقول لا غائب مالى ولا حرم

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ[١٥]﴾ لا ينقصون شيئًا من أجورهم، والآية في أهل الرياء، وقيل: في المنافقين ، وقيل: في الكفرة وبرهم.

﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ مطلقًا في مقابلة ما عملوا؛ لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة ،وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ لأنه لم يبق لهم ثواب في الآخرة أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله، والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص، ويجوز تعليق الظرف بـ 'صنعوا 'على أن الضمير لـ 'الدنيا' ﴿وَبَاطِلٌ﴾ في نفسه ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١٦]﴾ لأنه لم يعمل على ما ينبغي، وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها، وقرىء باطلاً على أنه مفعول يعملون، و'ما' ابهامية أو في معنى المصدر كقوله: ولا خارجا من فيّ زور كلام وبطل على الفعل

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره، والهمزة لانكاره أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم، وأفكارهم على الدنيا ، وأن يقارب بينهم في المنزلة وهو الذى أغنى عن ذكر الخبر، وتقديره: أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي

---

قوله:والآية في أهل الرياء: يقال للقراء منهم أردت أن يقال: فلان قاريء ، فقد قيل ذلك. ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال:فلان سخي، فقيل. ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال: فلان جري، فقد قيل .

قوله:وقيل في المنافقين :أي الذين جاهدوا فأسهم لهم في الغنائم .

قوله:مطلقا في مقابلة ماعملوا: يعني ليس لهم في مقابلة ماعملوا إلاالنار لايكون معه غيره من الجزاء الحسن .

قوله:أولم يكن لهم: ثواب في الآخرة . قوله:وما إبها مية: أي زائدة للتوكيد

قوله:أوفي معنى المصدر: أي بطل بطلا ناً كقوله ولا خارجاً أي لاخرج خروجاً .

قوله:وهو الذي أغنى عن ذكر الخير- يعني لعقيب هذا بالفاء العاطفة على الجملة السابقة يدل على أن الخبر المحذوف مثله وقرينة عليه قوله:على أن الضمير له: أي الضمير في يتلوه للقران .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل: مؤمنوا أهل الكتاب ﴿ وَيَتۡلُوهُ ﴾ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل ﴿شَاهِدٌ مِّنۡهُ﴾ شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ ﴾ ومن قبل القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ يعني التوراة، فإنها أيضًا تتلوه في التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل، أو لسان الرسول ـصلى الله عليه وسلم ـ على أن الضمير له ،أو من التلو والشاهد ملك يحفظه ،والضمير في 'يتلوه' إما لـ 'من' أو للبينة باعتبار المعنى، ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة، وقرىء: 'كتاب' بالنصب عطفًا على الضمير في يتلوه: أى يتلوالقرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على أنه حق كقوله: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾[الأحقاف: ١٠] ويقرأ من قبل القرآن التوراة ﴿إِمَامٗا﴾ كتابا مؤتمًا به في الدين ﴿ وَرَحۡمَةً ﴾ على المنزل عليهم؛ لأنه الوصلة إلى الفوز بخير الدارين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى من كان على بينة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾بالقرآن ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ ﴾ يردها لا محالة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ ﴾من الموعد أو القرآن ، وقرىء: مرية بالضم وهما الشك ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ[١٧]﴾ لقلة نظرهم واختلال فكرهم.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ كان أسند إليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما أنزله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي الكاذبون ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف جمع شريف ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ[١٨]﴾تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن دينه ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ﴾ يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب، أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ

---

قوله:باعتبار المعنى: وهو القرآن .

قوله:ومن تحزب معهم: قال الجوهري: تحزبوا تجمعوا ،والا حزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء .

قوله:فالنار موعده :أي مصيره ومو رده يردها لا محالة .

﴿كَفِرُونَ[١٩]﴾والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به.

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ﴾ أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعّف بالتشديد﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لتصامهم عن الحق بيعضهم له ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ[٢٠]﴾ لتعاميهم عن آيات الله، وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل: هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله ﴿ يضاعف لهم العذاب﴾ اعتراض.

﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ[٢١]﴾ من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوافلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْأٓخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ[٢٢]﴾لا أحد أبين وأكثر خسرانًا منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ اطمأنوا إليه وخشعوا له

---

قوله:وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به: أي لتاكيد كفرهم بالآخرة تاكيد واختصاصهم بالكفر بالآخرة الحاصل من تقديم الآخرة على عامله كان غيرهم لما كانوادونهم في الكفر وإنهم في الغاية من الكفر الذي لاغاية بعده ولا أمد ينتهى إليه حيث جمعوا بين الكفروا لصد ر عن الإيمان وإضلال الناس جعلوا مختصين به .

قوله:ليكون أشد وأدوم: لان عذاب الآخرة أشد وأبقى .

قوله:أو خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا :من عبادة الألِهة فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامةإذلم يبق لهم الاصل ولا الريح ففي هذا الوجه الخسران لضياع ما حصلوا بخلاف الوجه الأول فإنه اعتبر الخسران بنفس ما حصلوا .

قوله:لا جرم :في لاجرم أقوال. أحدها: أن لا رد لكلام سابقه أي ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر،و﴿أنهم في الآخرة ﴾في محل النصب،والتقدير كسب قولهم خسرانهم في الآخرة .وثانيها: 'لا جرم' كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا و'أن' في موضع رفع بأنه فاعل لحق، أي حق خسرانهم .وثالثها: معناه لا محالة .

قوله:لا أحد أ بين وأكثر خسرانا منهم: أي هم الكاملون في الخسران كان

من الخبت وهو الأرض المطمئنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ[٢٣]﴾ دائمون ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ الكافر والمؤمن ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه، وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير؛ لأن أمره بالضد، فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين ، أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما، والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله " الصابح فالغانمفالآيب، وهذا من باب اللف والطباق ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ﴾ هل يستوي الفريقان ﴿مَثَلًاۚ﴾ أي تمثيلاً أو صفةً أو حالًا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ[٢٤]﴾ بضرب الأمثال والتأمل فيها.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ﴾ بأني لكم، قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة: بالكسر على إرادة القول ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٌ[٢٥]﴾ أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص. ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ بدل من 'أني لكم' أو مفعول 'مبين' ويجوز أن تكون مفسرة متعلقة بـ'أرسلنا' أو بـ'نذير' ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ[٢٦]﴾ مؤلم

---

خسران غير هم في جنب خسرانهم ليس بخسرانه والحصر مستفادمن ضمير الفصل .

قوله:يجوز أن يراد تشبيه الكافر الخ: يعني يحتمل أن يكون هذا تشبيهين شبه الكافر بشخصين أحدهما أعمى والآ خر أصم. وكذا المومن بشخصين أحدهما السميع والآ خر البصير. ويحتمل أن يكون تشبيهاً واحداً شبه الكافر بالشخص الواحد الجامع بين العمي والبصر وكذا المومن بالشخص الواحد الجامع بين ضدهما ....قوله:هذامن باب اللف والطباق :أما اللف فهو ذكر الفريقين لان المراد بالفريقين الكافروالمومن والنشر هو كالا عمى والاصم والبصير والسميع وأما الطباق فإنه قوبل البصير بالا عمى والسميع بالاصم .. قوله:أي تمثيلاً أو صفةً أوحالاً:يعني يحتمل أن يكون مثلاً بمعنى التمثيل والتشبيه: وأن يكون بمعنى الصفة وأن يكون بمعنى الحال.....قوله:بأني لكم :أي أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله:﴿ إني لكم نذير مبين﴾ فلما اتصل به الجار فتح والمعنى على الكسر لأن قوله :﴿ إني لكم نذير مبين﴾مقول والكسر لازم بعد القول .

قوله:علي إرادة القول :أي حال كون النوح قائلاً:﴿ إني لكم نذير مبين﴾.

قوله:ويجوز أن يكون مفسرة متعلقة بـ"أر سلنا" أو بـ"نذير": فسر ما أرسل به وأنذربه مقول والكسر لازم بعد القول.

وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جدّ جدّه ونهاره صائم للمبالغة.

﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا﴾ لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ اخساؤنا ،جمع أرذل فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر، أو أرذل جمع رذل ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو، أو أول الرأى من البدء، والباء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها، وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك ، وانما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم، فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ﴾ لك ولمتبعيك ﴿عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ[٢٧]﴾ إياي في دعوى النبوة، واياهم في دعوى العلم بصدقك، فغلب المخاطب على الغائبين.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ﴾ حجة شاهدة بصحة دعواي ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾بإيتاء البينة أو النبوة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾فخفيت عليكم فلم تهدكم ، وتوحيد الضمير لأن البينة فى نفسها هى الرحمة ،أو لأن خفاء ها يوجب

---

كما في قوله تعالىٰ: ﴿ماقلت لهم إلا ما أمر تني به أن اعبدوا اللّٰه ربي وربكم﴾ .

قوله:لكن يوصف به العذاب وزمانه: أما إذا وصف به الزمان فظاهر وأماإذا وصف العذاب فبناء على أن الجر جر جوار كذا في التفسير الشهابي .

قوله:فإنه با لغلبة صار مثل الاسم: يعني أن 'أرذل' صفة في الأصل إلاأنه صار با لغلبة اسما فجمع على 'أرذال' كا فعل الاسم يجمع على الأ فاعل مثل أكبر واكابر لا على 'رذل' كا فعل الصفة مثل أحمر علي حمر .

قوله:لذلك :أي للأتباع في بادي الراي .

قوله: بإيتاء البينة أوالنبوة: فإن البينة في نفسهارحمة أيضا كالنبوة فهما رحمة ولذلك وحد الضمير وإن كا ن الظاهر تثنية لسبق ذكر البينة والرحمة وذلك لأن كونه عليه الصلا ـةوالسلام على برهان من ربه لم يكن الابإيتاء اللّٰه له ما يشهد بصحة دعواه وهو الرحمة بعينه أولأن خفاء البينة يوجب خفاء النبوة فذكر خفاء النبوة في حكم ذكر خفاء هما

خفاء النبوة، أو على تقدير فعميت بعد البينة، وحذفها للاختصار، أو لأنه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص : فعميت أى أخفيت، وقرىء:فعماها،على أن الفعل لله ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أنكرهكم على الاهتداء بها﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَرِهُونَ[٢٨]﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها، وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل.

﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾على التبليغ وهو إن لم يذكر فمعلوم مما ذكر ﴿ مَالًا ﴾جعلا ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ فإنه المأمول منه﴿وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم ﴿إِنَّهُم مُّلَـٰقُو رَبِّهِمْ﴾ فيخاصمون طاردهم عنده ، أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ﴿ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ[٢٩]﴾ بلقاء ربكم ، أو بأقدارهم أو في التماس طردهم أو تتسفهون عليهم بأن تدعوهم أراذل.

﴿وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ اللَّهِ﴾ بدفع انتقامه ﴿ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ وهم بتلك الصفة والمثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ[٣٠]﴾لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس بصواب.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ ﴾خزائن رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي

---

قوله:أنلزمكموها: والهمزة للإنكار إذلا إكراه في الدين .

قوله:فمعلوم مما ذكر: أي من قوله:﴿ أني لكم نذيرمبين﴾ .

قوله:حين سألوا طردهم :ليومنوا به أنفة من المجالسة معهم بلقاء ربكم أي تجهلون بلقاء ربكم فلا تعقلون أنهم يخاصمون طا ردهم عنده أو تجهلون بأقدارهم ومنازلهم عند ه ولا تعلمون أنهم يفوزون بقربه فيقولون بطردهم أو تجهلون في التماس طردهم حيث لم تعلموا أن الأنبياء إنما بعثوا لرفض الدنيا جاهها وما لها لا لتحصيلها حتى يطردوا الفقراء لا جل الأغنياء .

قوله:أو بأ قدارهم :جمع قدر وهو المنزلة هذا على المعنى الثاني والا ول على المعنى الاول .

قوله:أو تتسفهون عليهم :من تسفهت عليه إذاأسمعته أي تسمعونهم وتدعونهم أراذل

قوله:ولا أقول لكم عندي خزائن الله :تفسير هذه الآية إعلام بأنها تضمنت أجوبة عن شبه أوردها القوم في طعن نبوة نوح عليه السلام في آلاية المتقدمة وهي﴿ فقال الملاء الذين كفروامن قومه الخ ﴾والمعنى أنالاأدعي خزائن رزقه أو فضله من المال والجاه حتى تجحد وافضلي بقوله: وما نري لكم علينا من فضل. بل جئت لرفض الدنيا جا هها

﴿وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ عطف على 'عندى خزائن الله': أى ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادًا، أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأى من غير بصيرة وعقد قلب، وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ حتى تقولوا: ما أنت إلا بشر مثلنا ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ فإن ما أعده الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ[٣١]﴾ إن قلت شيئًا من ذلك والازدراء به افتعال من زري عليه إذا عابه، قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء فى الجهر وإسناده إلى الاعين للمبالغة والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم.

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ فأتيته أو أتى بأنواعه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ[٣٢]﴾ في الدعوى والوعيد فإن مناظرتك لا تؤثر فينا.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَآءَ﴾ عاجلا أو آجلا ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ[٣٣]﴾ بدفع العذاب أو الهرب منه.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ شرط ودليل وجواب والجملة دليل جواب قوله ﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وتقدير الكلام: إن كان الله يريد أن

---

وما لها لأنهما سببا الطغيان ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب استبعاداً أو حتى أعلم أن هولآء اتبعونى بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب فتكذبوني بأنك تدعي الغيب مع أنك لم تعلم ما في سرائرهم بل شان الأنبياء عليهم أفضل صلوات الله تعالىٰ وتسليماً به أن يجرون الاحكام على الظواهر والله متولي السرائر ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم على من استرذلتم من المومنين لفقرهم ،إن الله لن يوتيهم خيراً فيالدنيا والآخرة لهوائهم عليهم كما تقولوا مساعدة لكم ونزولاً على هواكم حتى يكون منا فياً لدعوي النبوة وذلك أن ليس الشرف بالجاه والمال بل الشرف بإيتاء الله خيرالدارين بسبب الايمان والاخلاص كقوله تعالىٰ: ﴿يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه﴾ .

قوله:ودليل جواب: يعني أن جوابه محذوف ولا ينفعكم نصحي دالاً عليه، لأن الجواب لا يتقدم على الشرط .

يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي؛ ولذلك تقول: لو قال الرجل: أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيداً ا، فدخلت ثم كلمت لم تطلق، وهو جواب لما أوهموا من أن جداله كلام بلا طائل، وهو دليل على أن إرادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء، وأن خلاف مراده محال ، وقيل: أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل، غوى إذا بشم فهلك ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[٣٤]﴾فيجازيكم على أعمالكم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ وباله، وقرىء: إجرامي على الجمع ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ[٣٥]﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء اليَّ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ولا تتأسف ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ[٣٦]﴾ أقنطه الله تعالى من إيمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء.

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ملتبسا بأعيننا، عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ﴿وَوَحْيِنَا﴾ إليك كيف تصنعها ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ[٣٧]﴾محكوم عليهم بالاغراق، فلا سبيل إلى كفه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾استهزؤوا به لعمله السفينة، فإنه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء، أوأن عزّته وكانوا

---

قوله:أم يقولون افتراه: قال الامام أكثر المفسرين علي أنه من كلام نوه عليه السلم وقال مقاتل هذه الاية وقعت في قصة محمد صلوات الله عليه في الثناء قصة نوح عليه السلم وقال الامام هذا بعيد جدا.

قوله:لن يومن من قومك الامن قد أمن: أي الذي أمن يومن في حادث الوقت وفيه دليل علي أن الايمان يزيل وينقض .

قوله: فلا تبتئس :من البوس وهو الشدة والمراد هنا الغنم.

قوله:علي طريفة التمثيل: شبه حالة المبالغة فيالحفظ والرعاية في صنع لذلك بحال من يصنع بالاعين والرقباء تحفظ عن أن تزيغ في عن الصواب .

يضحكون منه ويقولون له: صرت نجارًا بعدما كنت نبيًا ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ[٣٨]﴾ إذا أخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة، وقيل: المراد بالسخرية الاستجهال.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يعني به إياهم وبالعذاب الغرق ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ وينزل عليه أو يحل حلول الدين الذي لا انفكاك عنه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ[٣٩]﴾ دائم وهو عذاب النار.

﴿حَتَّى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله: 'ويصنع الفلك' وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور، التنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة ، وكان في الكوفة في موضع مسجدها، أو في الهند، أو بعين وردة من أرض الجزيرة، وقيل: التنور وجه الأرض، أو أشرف موضع فيها ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ﴾ من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، هذا على قراء ة حفص، والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل صنف ذكر وصنف أنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطف على زوجين، أو اثنين، والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بأنه من المغرقين، يريد ابنه كنعان وأمه واعلة، فإنهما كانا كافرين ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ والمؤمنين من غيرهم ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ[٤٠]﴾

---

قوله: وقيل المراد بالسخرية الاستجهال: أي أن تستجهلونا فيما تصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعريض لسخط الله فأنتم أولى بالا ستهجال لأنكم لا تستجهلون الاعن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو حال الجهلة في البعد عن الحقائق .

قوله: وينزل عليه أو يحل عليه حلول الدين: فالاول بناء على المعنى اللغوي والثاني بناء علي أنه استعارة تبعية شبه حكم الله تعالىٰ بأنهم معذبون بالنار وبلزوم الدين .قال الجوهري :حل العذاب.

قيل: كانوا تسعة وسبعين، زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة: سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم. روي أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج، وكان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين، وسمكها ثلاثين، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في أسفلها الدواب والوحش، وفي أوسطها الإنس، وفي أعلاها الطير.

﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا﴾ أى صيروا فيها، وجعل ذلك ركوبا؛ لأنها في الماء كالمركوب في الأرض ﴿بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ متصل بـ' اركبوا' حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين باسم الله وقت إجرائها وإرسائها، أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف، كقولهم: آتيك خفوق النجم، وانتصابهما بما قدرناه حالا، ويجوز رفعهما بـ' بسم الله' على أن المراد بهما المصدر، أو جملة من مبتدأ وخبر: أي إجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر، أو صلة والخبر محذوف، وهي إما جملة مقتضية لا تعلق لها بما قبلها، أو حال مقدرة من الواو أو الهاء. وروي أنه كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست. ويجوز أن يكون الاسم مقحما كقوله "ثم اسم السلام عليكما "وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى، وقرء مرساها أيضًا من رساء، وكلاهما يحتمل الثلاثة، ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ الرَّحِيمٌ[٤١]﴾ أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لما نجاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ متصل بمحذوف دل عليه'اركبوا' فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجه منها كجبل في تراكمها وارتفاعها. وما قيل: من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض ، وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت، والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعًا، وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان وقرىء:ابنهاو ابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه، وقيل: كان لغير

---

قوله:أي اركبوافيها مسمين الله:يعني اركبوا فيها ملتبسا بسم الله إجراها وإرساها.

قوله:أو جملة من مبتدأ وخبر:عطف على متصل باركبوا وتلك الجملة مقتضية مرتجلة منقطعة لاتعلق له بما قبله أو حال مقدرةلأ ن الإجراء والإرساء ليسا في زمن المركوب ـ

رشدة لقوله تعالى: ﴿فخانتاهما﴾وهو خطأ؛ إذ الأنبياء عصمت من ذلك، والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين، وقرئ: 'ابناها'على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف ﴿وَكَانَ فِيْ مَعْزِلٍ﴾ عزل فيه نفسه عن أبيه، أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه إذا أبعده ﴿يٰبُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ في السفينة، والجمهور كسروا الياء؛ ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير، فإنه وقف عليها في لقمان في الموضع الأول باتفاق الرواة، وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم، فإنه فتح هٰهنا اقتصارًا على الفتح من الألف المبدلة من ياء الاضافة ، واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع ، وقد أدغم الباء في المميم أبو عمرو الكسائي وحفص لتقاربهما ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ الْكٰفِرِيْنَ[٤٢]﴾في الدين والانعزال.

﴿قَالَ سَاٰوِىْ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِىْ مِنَ الْمَآءِ﴾أن يغرقني ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ إلا الراحم وهو الله تعالى، أوإلامكان من رحمهم الله وهم المؤمنون، رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به إلا معتصم المؤمنين، وهو السفينة ، وقيل: لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله ﴿فى عشية راضية﴾ وقيل: الإستثناء منقطع: أي لكن من رحمه الله يعصمه ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِيْنَ[٤٣]﴾فصار من المهلكين بالماء.

﴿وَقِيْلَ يٰاَرْضُ ابْلَعِيْ مَاءكِ وَيٰسَمَآء أَقْلِعِيْ﴾ نوديا بما ينادى به أولوا العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلاً لكمال قدرته، وانقيادهما لما يشاء تكونيه فيهما بالأمر المطاع، الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره، مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه،

---

قوله: مفعل للمكا ن :أي كا ن في مكا ن عزل وأبعد فيه نفسه عن أبيه ـ

قوله: أن يغرقني: بدل من الماء :أي يعصمني من الغرق ـ

قوله:أوإلا مكا ن من رحمهم الله تعالىٰ:وهو السفينة، وذلك أنه تعالى ركبهم في السفينة ـ

قوله: وقيل لا عا صم بمعنى لاذاعصمة :أي بمعنى النسبة، يقال: رجل كا س أي ذوكسو ه فهو بمعنى المعصو م أي لا معصوم إلا من رحمه الله كما في 'عيشة را ضية' لأن العيشة مرضية لا را ضية ـ

قوله: وقيل الا ستثنا ء منقطع :لا ن 'من رحم' ليس بدا خل في العا صم ـ

قوله :وقيل: يا أرض! ابلعى ماء ك: أي بعد تنا هي أمر الطو فا ن ـ

والبلع: النشف ، والاقلاع: الامساك ﴿وَغِيضَ الْمَآء﴾ نقص ﴿وَقُضِىَ الْأَمْرُ﴾ وانجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ واستقرت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِىِّ﴾ جبل بالموصل، وقيل: بالشام، وقيل: بآمل. روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم، فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة ﴿وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ[٤٤]﴾ هلاكًا لهم، يقال بعد بعدًا، وبعد إذا ابعد بعدًا بعيدًا بحيث لا يرجى عوده، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها، وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال ، وفي إيراد الأخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره؛ إذ لا يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ وأراد نداء ه بدليل عطف قوله ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابنِى مِنْ أَهْلِى﴾ فإنه النداء ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف ، وقد وعدت أن تنجي أهلى فما حاله أو فما له لم ينج، ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه ﴿وَأَنتَ

---

قوله :والبلع النشف: استعارلغورا لماء في الأ رض البلع الذي هو اعمال الجا ذبة في المطعوم من إدخا له في الحلق.

قوله:جبل با لمو صل :وهو بلد.

قوله:والآية في غا ية الفصا حة لفخا مة لفظها: أما الفخا مة فلمتا نة الأ لفاظ مع عذ وبتها وسلا ستها، كل منها كا لماء في السلا سة وكا لعسل في الحلا وة. وأما حسن النظم فلما فيه من تقديم "أبلعي ما ء ك" لزيا دة الا هتما م؛لأ ن المقصود دفع المهلك، وما ء السما ء انما يهلك غا لبا إذا اجتمع في الأ رض .وأما الد لا لة على كنه الحا ل فللا ستعا رة التمثيلية التي يخرج المعقول في صو رة المحسوس. وأما الا ختصار فلأ نه لم يقل :ياأيتها الأ رض، ويا أيها السماء. ولم يقل :أقلعي عن المطر.وكذا لم يقل:ياأرض أبلعي ماء ك فبلعت ويا سماء أقلعي فاقلعت .وقال: غيض وقال :الماء ولم يقل: ما ء الطوفا ن. وقال: الا مر ،ولم يقل: أمر نوح وقومه، وقال: واستوت، ولم يقل: واستويت أي اقرت، ولأ جل أ ن هذه الآ ية في غا ية الفصا حة أطبق المعا ند ون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية .

قوله:فانه النداء يعني أن نداء نو ح هوهذاالنداء وهوقوله:'يارب' مع ما بعده .

أَحْكَمُ الْحَٰكِمِينَ[٤٥]﴾ لأنك أعلمهم وأعدلهم، أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر، وأشار إليه بقوله ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾فإنه تعليل لنفي كونه من أهله، وأصله إنه ذو عمل فاسد، فجعل ذاته ذات العمل لمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة:

ترتع ما رتعت حتى إذا ذكرت فإنما هي إقبال وإدبار

ثم يدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفها وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه، وقرأ الكسائي ويعقوب ﴿إنه عمل غير﴾أي عمل عملا غير صالح ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك، وإنما سمي نداء ه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجازه فى شأن ولده ،أو استفساره المانع للانجازفي حقه، وإنما سماه جهلا وزجر عنه بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَٰهِلِينَ[٤٦]﴾ لأن استثناء من سبق عليه القول من أهله قد دله على الحال، وأغناه عن السؤال لكن أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الأمر، وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة، وكذلك نافع وابن عامر غير أنهما كسرا النون على أن أصله تسألننى، فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة، وعن نافع برواية رويس إثباتها في الوصل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ ﴾ فيما يستقبل ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ما لا علم لى بصحته ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى ﴾ وإن لم تغفر لي ما فرط مني في السؤال﴿وَتَرْحَمْنِىٓ ﴾ بالتوبة والتفضل على ﴿أَكُن مِّنَ الْخَٰسِرِينَ[٤٧]﴾ أعمالاً.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾انز ل من السفينة مسلمًا من المكاره من جهتنا، أو مسلما عليك ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ ﴾ ومباركا عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدمًا

---

قوله:لأ نك أعلمهم وأعدلهم :أي أعلم الحكا م وأعدلهم، إذلا فضل لحا كم على غيره إلا بالعلم والعدل، فعلى هذا يكو ن أحكم من الحكم مصدرحكم بينهم،حكم أي قضى .

قوله:تصريحا با لمنا قضة بين وصفيهما: أي وصفي نو ح وابنه وهما الصلا ح ونفي الصلا ح.

قوله: أو مسلماً عليك:تحية من التسليم بمعنى السلا م، والأ ول من سلمه الله من الآفا ت.

ثانيًا، وقرء اهبط بالضم بركة على التوحيد وهو الخير النامي ﴿أوَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ وعلى أمم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم ، أو لتشعب الأمم منهم ، أو وعلى أمم ناشئة ممن معك، والمراد بهم المؤمنون لقوله﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أي وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ[٤٨]﴾ في الآخرة، والمراد بهم الكفار من ذرية من معه، وقيل: هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب، والعذاب ما نزل بهم.

﴿تِلْكَ﴾إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أي بعضها ﴿نُوحِيهَاإِلَيْكَ﴾ خبر ثان والضمير لها، أي موحاة إليك، أو حال من الإنباء ، أوهو الخبر ،و من أنباء متعلق به، أو حال من الهاء في نوحيها﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا﴾ خبرآخر أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك، أو حال من الهاء في نوحيها، أو الكاف في إليك، أي جاهلا أنت وقومك بها، وفي ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمها؛ إذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم ﴿فَاصْبِرْ﴾ على مشاق الرسالة وأذية القوم كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز﴿لِلْمُتَّقِينَ[٤٩]﴾ عن الشرك والمعاصى.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ عطف على قوله: نوحا إلى قومه، و'هودا' عطف بيان ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾ وقرىء بالجر حملا على المجرور وحده ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ[٥٠]﴾على الله باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء.

﴿يَـٰقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ خاطب كل رسول به قومه إزاحة للتهمة وتمحيضًا للنصيحة؛ فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ[٥١]﴾أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ.

﴿وَيَـٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ طلبوا مغفرة الله بالأيمان ثم توسلوا إليها بالتوبة، وأيضا التبري من الغير إنما يكون بعد الإيمان بالله والرغبة فيما عنده ﴿يُرْسِلِ

---

قوله:عطف على قوله :﴿نوحاً إلى قو مه﴾ أيوأرسلنا هوداً إلى عا د .

قوله: وقرئ بالجر حملاً على المجرور وحده :وأما قرأة الرفع فحملا على مجموع الجا ر والمجرور.

قوله: اطلبوا مغفرة الله با لا يما ن ثم توسلوا إليها با لتو بة :أشا ر بذلك إلي وجوب تأ خر' تو بوا'عن 'استغفر وا'وذلك أن طلب المغفرة من الله بالا يما ن به سا بقا على

السَّمَآء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ كثير الدر ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ ويضاعف قوتكم، وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات، وقيل: حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة، فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه ﴿مُجْرِمِينَ[٥٢]﴾مصرين على إجرامكم.

﴿قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ بحجة تدل على صحة دعواك، وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاء هم من المعجزات ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾ بتاركي عبادتهم ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ[٥٣]﴾ إقناط له من الإجابة والتصديق.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ ما نقول إلا قولنا:'اعتراك':أى أصابك من عراه يعروه إذا أصابه ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ بجنون لسبك إياها، وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول وإلا لغو؛ لأن الاستثناء مفرغ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ اللَّهِ وَاشْهَدُوٓا أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ[٥٤]﴾

﴿مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ[٥٥]﴾ أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بأن أشهد الله تعالى على براء ته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدًا لذلكو تثبيتا له،

---

التوسل إلى نفس المغفرة با لتو بة، لأ ن التو بة وسيلة لتر تيب المطلو ب على الطلب وأيضاً التبري فالا نقطا ع عما سوى الله إنما يكون بعد الإيمان بالله، والرغبة في ما عنده، والتو بة عند الصو فية الرجو ع عما سو ى الله با لا ختيا ر.

قوله:لأ نهم كا نوا أصحا ب زروع وعما را ت: فكا نوا أحوج شيء إلى الما ء والقوة.

قوله:صا درين عن قو لك :الصدر نقيض الورد وهوالا تيان ـ

قوله: ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات :أى من أجل الجنو ن تهذي في منطقه وتتكلم با لخرافات .

قوله: وإلا لغو:أي لا عمل له في المستثنىٰ كما عمل في غير المفرغ عند عبد القاهرفما قيل :إن "إلا" لغو بمعنى أنه لا محل له من الاعراب كما في 'إلا' الذي بمعنى 'غير' ليس كما ينبغي .

قوله: تا كيداً لذلك : أي للبراء ة لما في الا شها د من التأ كيد .

وأمرهم بأن يشهدوا عليهم استهانة بهم، وأن يجتمعوا على الكيد في إهلاكه من غير انظار حتى إذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الأقوياء الأشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من إضراره انتقاما منه، وهذا من جملة معجزاته، فإن مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش إلى إراقة دمه بهذا الكلام ليس إلا لثقته بالله، وتثبطهم عن إضراره ليس إلا بعصمته إياه؛ ولذلك عقبه بقوله ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾ تقريرًا له، والمعنى أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لن تضروني فإني متوكل على الله وأثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره، ثم برهن عليهم بقوله ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها، والآخذ بالنواصي تمثيل لذلك ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ[٥٦]﴾ أي أنه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فإن تتولوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فقد أديت ما على من الإبلاغ وإلزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم، أو عطف على الجواب بالفاء، ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل: وإن تتولوا يعذرني ربي ويستخلف ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ﴾ لتوليكم ﴿شَيْئاً﴾ من الضرر، ومن جزم 'يستخلف' أسقط النون منه ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ[٥٧]﴾ رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شيء.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا أو أمرنا العذاب ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ وكانوا أربعة آلاف ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ[٥٨]﴾ تكرير لبيان ما نجاهم منه، وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم، و المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضًا والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ.

---

قوله: فلا تفريط منّي ولا عذر لكم: قد تقدم بقوله :فقدادّيت ما عليّ من الا بلا غ والزام الحجة، بيا ناً لقوله تعالى: ﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ أنث اسم الاشارة باعتبار القبيلة، أو لأن الاشارة إلى قبورهم وآثارهم ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كفروا بها ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لأنهم عصوا رسولهم، ومن عصى رسولاً فكأنما عصى الكل؛ لأنهم أمروا بطاعة كل رسول ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ[٥٩]﴾ يعنى كبراء هم الطاغين و'عنيد' من عند عندًا وعنودًا إذا طغى، والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار ﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ﴾ دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم، وإنما كرر 'ألا' وأعاد ذكرهم تفظيعًا لأمرهم وحثًا على الاعتبار بحالهم ﴿قَوْمِ هُودٍ[٦٠]﴾ عطف بيان لعاد، وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد إرم، والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ هو كونكم منها لا غيره، فإنه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ عمركم فيها واستبقاكم من العمر، أو أقدركم على

---

قوله: أولأن الا شارة إلى قبو رهم وآثا رهم :كأنه قا ل: سيحوا في الأ رض فا نظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف وصف أحوالهم فقال:﴿ وجحدوا بآيا ت ربهم ﴾

قوله: جحدوا وكفروا نعمة أو كفروا به :قا ل الجو هري: الكفر ضد الا يما ن، وقد كفر با لله كفراً، والكفر أيضاً جحو د النعمة وهو ضد الشكر، وقد كفره كفراً وكفراناً .

قوله: والمراد به الدلالة: يعني أن المراد با لدعا ء با لهلا ك الدلا لة علي أنهم كا نوا مستوجبين ومستحقين لما نزلت بهم بسبب ما حكي عنهم من أنهم ﴿جحدوا بآيا ت ربهم وعصوا رسله وا تبعواأمر كل جبا ر عنيد﴾ وإلا فلا معنى للدعا ء عليهم با لهلا ك بعد هلا كهم .

قوله: عن عاد الثا نية :عا د بن ارم بن سا م بن نو ح .

قوله: عمركم فيها واستبقا ئكم من العمر: ـقا ل الجو هري :عمره الله تعميراً أي طول عمره .

عـمارتها وأمركم بها، وقيل: هو من العمرى بـمعنى أعمركم فيها ديـاركم، ويرثها منكم بـعـد انـصرام أعـمـاركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ قريب الرحمة﴿ مُّجِيبٌ[٦١]﴾ لداعيه.

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَٰذَا﴾ لـمـا نرى فيك من مخايل الرشد والسـداد أن تـكـون لـنا سيدًا ومستشارًا في الأمور، أو أن توافقنا في الدين، فلما سمعنا هذا الـقـول مـنك انقطع رجاؤنا عنك ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾عـلـى حكاية الحال الـمـاضية ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ مـن التـوحيـد والتبـري عن الأوثـان ﴿مُرِيبٍ[٦٢]﴾ مـوقـع في الريبة من أرابه أو ذي ريبة على الإسناد المجازى من أراب فى الأمر.﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ فمن يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ فـي تبـليغ رسالته والمنع عن الاشراك به ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ إذن باستتباعكم إياى ﴿ غَيْرَ تَخْسِيرٍ[٦٣]﴾ غير أن تخسرونى بإبطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه، أو فما تزيدونني بما تقولون لي غير أن أنسبكم إلى الخسران.

---

قـولـه: بـمعنى أعمركم فيها: يعني إذا كا ن استعمركم من العمري ففيه وجها ن. أحدهما:أنّ 'استعمر'في معنى 'أعمر' كقولك: 'استهلكه' في معنى 'أهلكه' ومعنا ه أعمركم فيهـا ديـا ركـم ويـرثهـا منكم بعد انصرام أعما ركم ـ قا ل الجو هري: أعمرته داراً وأرضا وابلاً إذا أعـطيتـه إيـا هـا وقلت: هي لك عمري أو عمرك، فإ ذا مت رجعت إليّ، والا سم الـعـمـر ي. والثـا نـي أن 'استـعـمـر كـم' بمعنى 'جعلكم معمرين ديا رهم بأ ن تسكنوا مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم ،لأ ن الرجل إذا ورث دا ره من بعده فكا ن أعمره إيا هاـ قا ل الجو هري: واستعمركم فيها جعلكم عمارها .

قوله: على حكا ية الحا ل الما ضية: يعني أن 'يعبد' عليحكا ية الحا ل الما ضية.

قـوله:مريب صفة شك:أي شك مو قع في الر يبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانية مـن يـقـيـن مـن 'أرا بـه' إذا أوقعه في الريبة، أو شك ذي ريبة أيشك من' أراب الرجل' إذا كان ذاريبة، فا لا سنا د مجا زي، أيشك شك صا حبه كما في جد جده .

قـوله: وحرف الشك با عتبا رالمخاطبين: يعني أتي بكلمة 'إنْ' التي للشك مع أنه علي يقين أنه علي بينة با عتبا ر شك المخا طبين .

﴿وَيَقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ انتصب 'آية' على الحال وعاملها معنى الاشارة، ولكم حال منها، تقدمت عليها لتنكيرها﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ اللَّهِ ﴾ترع نباتها وتشرب ماء ها﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ[٦٤]﴾ عاجل لا يتراخى عن مسكهم لها بالسوء إلا يسيرًا وهو ثلاثة أيام.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ﴾ عيشوا في منازلكم ،أو في داركم الدنيا ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ الأربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ﴿ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ[٦٥]﴾ أي غير مكذوب فيه، فاتسع فيه بإجرائه مجرى المفعول به كقوله:

ويوم شهدناه سُليمًا وعامرا

أو غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له: أفي بك فإن وفى به صدقه وإلا كذبه ،أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالمجلود والمعقول.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ﴾ أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة، أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة، وعن نافع 'يومئذ' بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه هٰهنا، وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ[٦٦]﴾القادر على كل شيء والغالب عليه.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَارِهِمْ جَٰثِمِينَ[٦٧]﴾ قد سبق تفسير ذلك في سورة الأعراف.﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلَآ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ﴾ نوّنه أبو بكر هٰهنا، وفي النجم، والكسائي في جميع القرآن، وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في قوله ﴿أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ[٦٨]﴾ ذهابًا إلى الحي أو الأب الأكبر.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ ﴾ يعني الملائكة، قيل: كانوا تسعة وقيل: ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل ﴿بِالْبُشْرَىٰ ﴾ ببشارة الولد، وقيل: بهلاك قوم لوط ﴿قَالُواْ سَلَٰماً﴾

---

قوله:ولكم حال منها: أي من آية. قيل: هذا قول لم يقل به أحد، لما يلزم منه أن يكون الحال ذا الحال ،والأولى 'لكم' حال عمل فيه معنى الاشارة و'آية' حال من الضمير المستتر فيه، فيكونان حالين متداخلين .

قوله: أي غير مكذوب فيه :لأن الوعد ليس بمكذوب وإنما المكذوب الموعود له،قال في القاموس: كذب الرجل أخبر بالكذب ،ثم اتسع في الظرف فجعل مفعولاً به، أو غير مكذوب على المجاز بأن جعل الوعد مكذوباً.

سلمنا عليك سلامًا، ويجوز نصبه بـ' قالوا' على معنى ذكروا سلاما ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي أمركم أو جوابي سلام، أو وعليكم سلام رفعه إجابة بأحسن من تحيتهم، وقرأ حمزة والكسائي: سلم، وذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام، وقيل: المراد به الصلح ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ[٦٩]﴾ فما أبطأ مجيئه به، أو فما ابطأ في المجيء به أو فما تأخر عنه، والجار في 'أن' مقدر أو محذوف، والحنيذ المشوي بالرضف، وقيل: الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس إذا عرقته بالجلال لقوله: ﴿بعجل سمين﴾[الذاريات:٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لا يمدون إليه أيديهم ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروهًا ونكر وأنكر واستنكر بمعنى، والايجاس الادراك، وقيل: الاضمار ﴿قَالُواْ﴾ له لما أحسوا منه أثر الخوف ﴿لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ[٧٠]﴾ إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب، وإنما لم نمد إليه أيدينا لأنا لا نأكل.

﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ﴾ وراء الستر تسمع محاورتهم ،أو على رؤوسهم للخدمة ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سرورًا بزوال الخيفة ،أو بهلاك أهل الفساد، أو بإصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم اضمم إليك لوطًا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل: فضحكت فحاضت قال الشاعر "وعهدى بسلمى ضاحكا في لبابة ـ ولم تعد حقا ثديها أن تحلما " ومنه ضحكت السمرة إذا سال صمغها، وقرىء بفتح الحاء ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ[٧١]﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام

---

قوله:وهما لغتا ن: يعني أن السلم والسلا م معنى واحد كا لحرم با لكسرة والحرام بمعنى ضد الحلا ل، وقيل: بمعنى الصلح.

قوله:من حنذت الفرس إذا عرقته با لجلال: جلا ل الدوا ب جمع جل ـقا ل الجوهري: حنذت الفرس احنذه حنذاً وهو أن تحضره شو طاً أوشو طين ثم تظا هر عليه الجلا ل في الشمس لتعرق، فهو محنو ذ وحنيذ.

قوله:وقيل فضحكت فحا ضت :قيل يبعده ﴿أألِدُ وَأَنَا عَجُو ز﴾ ولوكا ن الحيض قبل البشا رة لم يكن عجباً ولا دة من تحيض وهو معيا ر الحمل.

قوله:وعهدي: مبتدأ خبره "بسلمى" و"ضا حكا" حا ل و'في لبا بة' بفتح اللا م: أي في زما ن صيرورتها ذات عقل و 'ثديها' تشبيه لثد يها بحقتين و'أن تحلما' بفتح اللا م مفعول 'لم تعد' والمعنى لم تجا وز ثديا ها عن مر تبة الحقتين إلى مر تبة عن تحلما .

وتقديره: ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب، وقيل: إنه معطوف على موضع بإسحاق ،أو على لفظ إسحاق وفتحته للجر فإنه غير مصروف، وردّ للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف، وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ وخبره الظرف، أي ويعقوب مولود من بعده، وقيل: الوراء ولد الولد، ولعله سمي به لأنه بعد الولد، وعلى هذا تكونإضافته إلى إسحاق ليس من حيث إن يعقوب عليه الصلاة والسلام وراء ه بل من حيثإنه وراء إبراهيم من جهته، وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة ، كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به، وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها لا من هاجر، ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ ياعجبا، وأصله فى الشر، فأطلق على كل أمر فظيع، وقرىء بالياء على الأصل ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين﴿وَهَٰذَا بَعْلِى﴾ زوجي وأصله القائم بالأمر ﴿شَيْخًا﴾ ابن مائة أو مائة وعشرين، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى اسم الاشارة، وقرىء بالرفع على أنه خبر محذوف: أي هو شيخ، أو خبر بعد خبر، أو هو الخبر و'بعلي' بدل ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ[٧٢]﴾يعني الولد من هرمين، وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة؛ ولذلك﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ

---

قوله:للفصل بينه وبين ما عطف عليه: وهويعقوب: أيللفصل بين اسحٰق الذي هو المجرور وبين ما عطف عليه وهو مجرور، فيلزم الفصل بين الجا ر والمجرور،وقد نص سيبويه على قبح نحو مررت بزيد أول من أمس وأمس عمرو،قا ل أبوالحسن :لو قلت مررت بزيد اليو م وأمس عمر ولم يحسن، وأيضا الجا ر لا يفصل بينه وبين المجرور ولا بينه وبين الواوالعا طفة، ولا يجوز مررت بزيد في الدار والبيت عمر و،ولو كا ن قو له 'ما عطف' بصيغة المعروف ويكو ن العائد المفعول محذوفاً لنا سب التو جيه الأ خير .

قوله:وفيه نظر: لعل وجه النظر أن هذا الوجه يا با ه ظا هر العبا رة ـقا ل الا ما م الرازي:أن هذا الوجه تعسف واللفظ كأنه ينبؤ عنه .

قوله:والإ سما ن يحتمل وقوعهما في البشارة :يعني يحتمل أن الله تعالىٰ بشر هما بهٰذين الإسمين كيحيٰ بشر به با سمه حيث قا ل ﴿يا ز كريا إنا نبشرك بغلا م اسمه يحييٰ﴾ ويحتمل أن بشرهما بهٰذين الذا تين ثم ولدا فسميا بهما فحكى ذلك .

قوله:وقرئ با ليا ء على الأ صل: والأ ولى با لا لف بدلاً عن الياء.

عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منكرين عليها، فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع، ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلاً عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات، وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾فاعل ما يستوجب به الحمد﴿مَّجِيدٌ[٧٣]﴾كثير الخير والاحسان.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أى ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم ﴿وَجَاءتْهُ الْبُشْرٰى﴾ بدل الروع ﴿يُجَادِلُنَا فِيْ قَوْمِ لُوطٍ[٧٤]﴾ يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته إياهم قوله: إن فيها لوطا وهوإماجواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال، أو لأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب 'لو'، أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا، أو شرع في جدالنا، أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجادلنا.

﴿إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول على الانتقام من المسيء إليه ﴿أَوَّاهٌ﴾كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس ﴿مُّنِيبٌ[٧٥]﴾راجع إلى الله، والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه.

﴿ يٰإِبْرَاهِيمُ﴾ على إرادة القول أي قالت الملائكة:ياإبراهيم ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾الجدال ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ﴾ قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهوأعلم بحالهم ﴿وَإِنَّهُمْ اٰتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ[٧٦]﴾ مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك.

﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيْءَ بِهِمْ﴾ ساءه مجيئهم ؛لأنهم جاؤوه في صورة

---

قوله: ومجا دلته إيا هم قوله:'إن فيها لو طا': وذلك أنهم قا لوا:إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقا ل ابرا هيم :أرأيتم لو كا ن فيها خمسو ن رجلا من المو منين أتهلكونها؟ قالوا:لا، قا ل: فأربعون؟ قا لوا: لا، قا ل: فثلا ثون؟ قا لوا: لا- حتى بلغ العشرة قا لوا: لا، قا ل :أرأيتم إن كا ن فيها رجل وا حد مسلم أ تهلكو نها قا لوا: لا، فعند ذ لك قا ل: إن فيها لوطاً، قا لوا: نحن أعلم بمن فيها لَنُنَجِيَنَّه وأهله .

قوله: جيء به مضا رعاً :يعني أن 'لما' للشر ط في الما ضي، فمجيء المضا رع في جوا به إما على سبيل حكا ية الحا ل أولأ ن 'لما' يرد المضا رع إلى معنى الما ضي كما'لو' في ﴿لويطيعكم في كثير من الأ مر لعنتم﴾ أولكونه دليل الجوا ب والجواب محذوف مثل اجتراء، أو لكو نه معمو لاً والجواب أقيم مقامه.

غلمان فظن أنهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾ وضاق بمكانهم صدره، وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه ﴿وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ[٧٧]﴾ شديد من عصبه إذا شده.

﴿وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعًا لطلب الفاحشة من أضيافه ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ أي ومن قبل ذلك الوقت ﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين ﴿قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فدى بهن أضيافه كرمًا وحميةً، والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاء تهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فإنه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه أو اظهارًا لشدة امتعاضه من

---

قوله:وضا ق بمكا نهم صدره الخ: في الأ ساس ضا ق بهم ذرعا. أي لم يطقهم وما لك علىّ ذراع أي طا قة، وذلك أن اليد كما تجعل مجا زاً عن القوة فكذلك الذراع التي من طرف المر فق الىٰ طرف اليد مجا ز عن القوه 'فضا ق بهم ذرعا' بمعنى ضا ق صدره ،وهو كنا ية عن شدة الانقبا ص، وذلك أنه إذا لم يطقهم ولم يكن له قدرة على دفعهم ضاق صدره واشتد الا نقباض

قوله:يهرعون إليه :من الإ هراع ، قا ل الجو هري: الإ هراع الإسراعِ وقوله تعالى: ﴿وجاء قومه يهرعون إليه﴾

قوله:فا نه شرع طا رئ: كا ن تزويج المسلما ت من الكفا ر جا ئزاً في ذ لك الوقت كما جا ز في الا بتداء في هذه الا مة، فقد زو ج رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العا ص وهما كافران .

قوله:أو مبا لغة في تنا هي خبث ما يرومو نه: يعني فدى بهن كرماً، لا ن فداء الأ ضيا ف با لبنات غا ية الكرم ،أو مبا لغة في أن خبث ما يرومو نه بلغ نها ية حتى أن فداءا لبنا ت أهون من ذ لك، فا لغرض الدفع عن الأ ضيا ف ببيا ن غا ية خبث ما يرومونه، أوإ ظهارالشق عليه لاتحريض على البنا ت با لزنا، وقد أجيب عن تحريض الزنا بأ ن ذ لك عرض سا بري لأن، غرضه الدفع عن الأ ضيا ف لا التحريض على البنا ت، وأمثال هذاالغرض شائع إذا ايقنوا أن لا رغبة البتة ،والسا بري ضرب من الثيا ب دقيق، قا ل الجو هري:معضت من الأ مرامتعضت منه إذا غضب وشق عليه، أوإظهارالشدة غضبه من ما يرومونه، وشقه عليه ليرقوا عليه.

ذلك كي يرقوا له، وقيل: المراد بالبنات نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية ، وفي حرف ابن مسعود: وأزواجه أمهاتهم وهوأب لهم ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أنظف فعلًا وأقل فحشًا كقولك: الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه، وقرىء أطهر بالنصب على الحال على أن 'هن' خبر بناتي كقولك هذا أخي هو الأفضل فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ بترك الفواحش أو بايثارهن عليهم ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ ولا تفضحوني من الخزي، أو ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء ﴿فِي ضَيْفِي﴾ في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ[٧٨]﴾ يهتدي إلى الحق ويرعوعن القبيح.

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ من حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ[٧٩]﴾ وهو اتيان الذكران.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ آوِيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ[٨٠]﴾إلى قوي أبلغ به عنكم، شبهه بركن الجبل في شدته، وعن النبي-صلى الله عليه وسلم-رحم الله أخي لوطًا كان يأوي إلى ركن شديد، وقرىء :أوآوى بالنصب بإضمار أن، كأنه قال لو أن لي بكم قوة أو أويا، وجواب لو محذوف، تقديره لدفعتكم. روي أنه أغلق

---

قوله:وأقل فحشاً: في كون أطهر مجازاً،فإن كون الشيء أكثر بالنسبة إلى الآخر يستلزم كون نقيض ذلك الشيء أقل بالنسبة إلى الآخر، وإنما أول بذلك لئلا يلزم كون الغلمان نظفاء.

قوله:وقرىء أطهربالنصب على الحال على أن' هن ' خبر' بناتي': يعنى أن هذه القراءة تخرج على أن يكون" بناتي" مبتدأ ،خبره" هن" والجملة خبر"هؤلاء" ولا تخرج على أن "أطهر"حال قد عمل فيه ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله :هذا بعلى شيخا، وبناتي، خبر هؤلاء، أو ينصب بفعل مضمر،أي و'بناتي' بدل و'هن' فصل، لأن الفصل مختص بالوقوع من جزئى الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال .

قوله: الفواحش : قال الجوهري: الفحشاء كل سوء جاوز حده فهو فاحش، وقد فحش الأمر فحشاً وتفاحش، ويسمى الزنا فاحشة .

قوله: شبيه بركن الجبل ، قال الجوهري : ركن الشيء جانبه الأقوى، وجبل ركين، له أركان عالية .

بـابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب .

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ لـن يـصـلوا إلى إضرارك بإضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فـطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون: النجاء النجاء فـإن في بيت لوط سحرة ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ بـالـقـطـع مـن الاسـراء، وقـرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى ﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ بـطائفة منه﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ ولا يتخلف، أو لا ينظر إلى ورائه ، والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ استثناء من قوله﴿فأسر بـأهـلك﴾ ويدل عليه أنه قرء فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك، وهذا إنما يصح على تـأويل الالتفات بالتخلف ، فإنه إن فسر بالنظر إلى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراء ة ابن كثير وأبـي عـمرو بالرفع على البدل من أحد، ولا يجوز حمل القراء تين على الروايتين في أنه خـلـفهـا مع قومها أو أخرجها، فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت: يا قوماه، فأدركها حـجر فقتلها؛ لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة، والأولى جعل الاستثناء في القراء تين من قوله﴿ولا يلتفت﴾مثله فى قوله﴿ما فعلوه إلا قليل﴾ ولا يبعد أن يكون أكثر القراء

---

قـولـه:النجاء النجاء: أي أنجوا بأ نفسكم، وهو مصدر منصو ب بفعل مضمر، كرر للتا كيد وهو ممدود ومقصور .

قـولـه: نـا قـض ذلك: لأ ن الالتفات ليس إلا بعدالاسراء، فيكو ن لوط عليه السلام مامو راً با لاسراء وبعدم الا سراء، ودفع صا حب الكشا ف التنا قض بأ ن اختلا ف القراء تين لأ جـل اختـلا ف الـروا يتيـن، وإحـدى الروايتين يجو ز أن يكو ن غير مطابق لما في نفس الأمـر، فـلا يلزم التنا قض ، فقراء ة النصب محمول على روا ية أنه أمرأ ن يخلفها مع قومها، فـعلى هذه الرواية يكو ن لو ط عليه السلام ما موراً بأ ن لا يسري بها، وقراء ة الرفع محمول عـلـى روا ية أنـه أخـرجهـا وأمـرأن لا يـلتفت أحدإلا هي ، وردّعليه المصنف بأن كلا من القرائتين متواترة قطعية لا يجو ز حملها على الروا يتين المتنا قضتين والمعنيين المتنا قضين، لأ نـه حيـنئذ يتحقق المتنا قضا ن في الوا قع، روي أنه أخرجها معهم وأمرأن لا يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت هدة الـعذاب التفتت وقا لت: يا قوما ه ! فأدركها حجر فقتلتها، وروي أنه أمرأن يخلفها مع قو مها، فا ن هوا ها إليهم فلم يسر بها .

على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا لذلك، علل طريقة الاستئناف بقوله ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منطقعا على قراءة الرفع ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ كأنه علة الأمر بالاسراء ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ[٨١]﴾ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾فإنه جواب لما، وكان حقه جعلوا عاليها سافلها أي الملائكة المأمورون به، فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيمًا للامر، فإنه روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾على المدن ، أو على شذاذها ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين متحجر لقوله ﴿حجارة من طين﴾ وأصله سنك كل فعرب، وقيل: إنه من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته ، والمعنى من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الادرار أو من السجل أي مما كتب الله أن يعذبهم به، وقيل: أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت نونه لامًا ﴿مَّنضُودٍ[٨٢]﴾نضد معدًا لعذابهم، أو نضد في الارسال بتتابع بعضهم بعضا كقطار الامطار، أو نضد بعضه على بعض والصق به.

---

قوله: ولا يلزم من ذلك أمر ها با لا لتفا ت: جواب سوال. تقرير السوال أنه على تقدير جعل الا ستثنا ء من لا يلتفت منكم أحد يكو ن امرأة لو ط ما مو رة با لا لتفا ت، لأ ن الا ستثنـاء من النفي إثبا ت، فيكو ن من النهي امراً، وتقرير الجواب أنه لا يلزم ذلك، وإنما يلزم عدم النهي الذي للاستصلا ح، ولا يلزم منه الأ مر الذي هو طلب الفسا د، ولذلك علله بقولها أنه مصيبها ماأصا بهم، ولو كا نت ما مو رة لم يصبها ماأصابهم .

قوله:ولا يحسن جعل الاستثنـاء منقطعا على قرأ ة الرفع: يعني لا يجو زد فع التناقض بأن يجعل الا ستثنا ء منقطعاً، لأ نه حينئذ لا يلزم أن يكو ن لو ط عليه السلام ما موراً بعدم الإ سراء كما في قراء ة النصب على تقدير كو ن الا ستثنا ء متصلاً، ذلك لأن الرفع في الا ستثنا ء المنقطع لم يقع في فصيح الكلا م .

قوله :ويؤيده الأ صل: أي كو نه بمعنا ه الحقيقى اللغوي سبباً للتعذيب فلا يكو ن عين التعذيب .

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة للعذاب، وقيل: معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه ﴿وَمَا هِىَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ[٨٣]﴾ فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم، وفيه وعيد لكل ظالم وعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه سأل جبريل عليه السلام فقال: يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة، وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ أراد أولاد مدين بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أمرهم بالتوحيد أولاً فإنه ملاك الأمر، ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض ﴿إِنِّىٓ أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ بسعة تغنيكم عن البخس، أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكرًا عليها، لا أن تنقصوا حقوقهم، أو بسعة فلا تزيلوها مما أنتم عليه، وهو فى الجملة علة للنهى ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ[٨٤]﴾لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله﴿وأحيط بثمره﴾ والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ صرح بالأمر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيهًا على أنه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى بدونها ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان فإن الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورًا.

---

قوله: إلاوهو معرض حجر:من قو لهم: فلا ن عر ضه الأ مر!أيمعرض له.

قوله: لا يشذ منه أحد منكم: أيمن ذ لك اليو م فلا يخلص من عذابه .

قوله:وقيل عذاب مهلك من قو له: وأحيط بثمره :وأصله من إحا طة العدووهو الإغا رة في الصبح بغتة .

قوله:لاشتما له عليه :أيلا شتما ل اليو م على العذاب.

قوله:صرح الأ مر با لا يفاء بعد النهي عن ضده: أيعن النقصا ن مع أن النهي عن النقصا ن أمر بالإ يفاء لا حا جة إلى الأ مر به .

﴿وَلَا تَبۡخَسُوا۟ النَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ تعميم بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره وكذا قوله ﴿وَلَا تَعۡثَوۡا۟ فِى الۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ[٨٥]﴾ فإن العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد، وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات ، والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة، وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه الصلاة والسلام، وقيل: معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين في أمر دينكم ومصالح آخرتكم.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ ماأبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم ﴿خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ مما تجمعون بالتطفيف ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بشرط أن تؤمنوا؛ فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالأيمان أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل: البقية الطاعة كقوله:والباقيات الصالحات، وقرىء: تقية الله بالتاء، وهي تقواه التي تكف عن المعاصي ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٍ[٨٦]﴾ أحفظكم عن القبائح أو أي حفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها، وإنما أنا ناصح مبلغ، وقد أعذرت حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم.

---

قوله:فإ ن الاذياد إيفا ء :يعنى قيد الإ يفا ء با لعدل، لأ ن الاذيادإيفا ء لكنه مندوب غيرمامور به، وهو الذي لا يحصل ا لإيفا ء بد و نه، أوالذي لا يبلغ الربوا، لقوله عليه الصلا ة والسلا م: زن وارجح، وقد يكو ن محذوراً، وهو الذي يبلغ الربوا في كو ن التقييد لبيا ن الأمرالوا جب .

قوله: فا نه أعم من أن يكو ن في المقدار أوفي غيره: بخلا ف ما سبق فإ نه مختص با لمقدار والحقوق .

قوله:﴿ولا تعثوا في الأ رض مفسدين﴾: أمر دينكم ومصا لح آخرتكم. أي غير متوسلين إلى صلا ح الدين ومصا لح الآخرة كما في قتا ل البغا ة للا مام الحق وقطا ع الطريق بخلا ف الجها د في سبيل الله .

قوله:المراد با لبخس المكس: مكس في البيع يمكس با لكسر إذا جنى ما لًا كذا في القا موس .

قوله: أوإ ن كنتم مصدقين لي في قو لي لكم: أي فيما أقول لكم وأنصح به إيا كم لأنه حينئذينفعكم .

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَاتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الاصنام، أجابوا به آمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلاته والاشعار بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي، إنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه، وكان شعيب كثير الصلاة؛ فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر، وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الإفراد والمعنى: أصلاتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَالِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ عطف على ما أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا، وقرىء: بالتاء فيهما على أن العطف على ﴿أن نترك﴾ وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالايفاء، وقيل: كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ[٨٧]﴾ تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك، أو عللوا إنكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف، تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه، وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء، والضمير في 'منه' لله، أي من عنده وبإعانته بلا كد مني في تحصيله ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ أي وما أريد أن آتى ما أنهاكم

---

قوله:لأن الرجل لا يؤ مر بفعل غيره: تعليل لحذف المضا ف، أيلا بد من هذا الحذف ، لأ ن الترك فعل الكفا ر والما مو ر بقو له:﴿أصلوتك تأ مرك﴾ شعيب عليه السلام ولا يؤمر الشخص بفعل غيره.

قوله:عطف على 'ما': لا على' أن نترك' لفسا د المعنى.

قوله:قرىء با لتا ء فيهما: أيفي تفعل وتشا ء .

قوله:عن تقطيع الدراهم والدنا نير: أيقطع طرفها وحذفها، في الأساس: حذف ذنب فر سه إذا قطع طر فه .

قوله:تهكموا به وقصد وصفه بضد: ذلك بمعنى أن المقصود من هذا الكلا م التهكم والوصف بضد الحلم والرشد ،يعني أنك لست بحليم ورشيد كما هو المشهو ر في قو مك .

عنه لأستبد به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلاً عن أن أنهى عنه، يقال: خالفت زيدًا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه، وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ ما أريد إلا أن اصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح ، فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه. ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن، وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعى في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها حق الله تعالى، وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه و'ما'مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل :خبرية بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته أو إصلاح ما استطعته فحذف المضاف ﴿وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللّهِ﴾ وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار، وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ[٨٨]﴾ إشارة إلى معرفة المعاد ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قوله:لا ستبدبه :أي لا ستقل به ولا يكو ن لكم .

قوله:وخا لفته عنه إذا كا ن الأ مر با لعكس: أي إذا ولى عنه وأنت قاصده والمراد هنا الأ ول .

قوله: وكل ذلك يقتضي أن أمر كم بما أمر تكم وأنها كم عما نهيتكم عنه :أما الأول فلأ ن إيتاء البينة إنما يكو ن لغرض الأ مر والنهي، وأما الثا ني فلأ ن الغرض من الرزق الحسن للنفس وتربيته صر فه في طا عة الرب وإجراء أوامره ونوا هيه، وأماالثا لث فظا هر أن الا صلا ح يقتضيالأ مر والنهي .

قوله:وما مصدرية وا قعة مو قع الظرف: أي الأ صل مدة ما استطعت، فحذف الظرف وأقيم مقامه .

قوله: أي المقدار الذي استطعتة :من الا صلا ح .

قوله:أوإصلا ح ما استطعته فحذف المضا ف :قيل هذا ليس بقوي أي بجهة المعنى.

قوله:وفيه إشا رة إلى محض التو حيد: وذلك أن محض التوحيد أن لا وجو د لغير الله، وأن الغير معدو م سا قط عن درجة الاعتبار، وإنما الوجود هوالوجو د الحق، وأن الغير موجود بوجود الحق.

وهـو أيـضًـا يـفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل، وفى هذه الكلمات طلب التوفيقلإصابة الـحـق فيـما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره وحسـم إطـمـاع الـكـفـار، وإظهـار الـفـراغ عـنـهـم، وعدم المبالاة بمعاداتهم ، وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ لا يكسبنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾ معاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾ من الريح ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٍ﴾ من الرجفة و'أن' بـصلتها ثاني مفعولي جزم فـإنه يعدى إلى واحد و إلـى اثنين كـ 'كسب' . وعن ابن كثير يجر منكم با لضم وهـو منقول من المتعدي إلى مفعول واحد، والأول أفصح فإن أجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء، وقرىء:مثل بالفتح لاضافته إلى المبني كقوله"

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامةفي تغصون ذات أوقال

﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ[٨٩]﴾ زمـانًـا أو مكانًا فـإن لـم تعتبروا بمن قبلهم فـاعتبـروا بهـم أو ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم، وإفراد البعيد لأن الـمـراد: ومـا إهـلاكهـم أو وما هم بشيء بعيد، ولا يبعد أن يسوي في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق.

---

قوله: لا يكسبنكم : قا ل الجو هري: جرم يجرم أي كسب .

قوله: فإ نـه يـعدى إلى وا حد وإلي اثنين ككسب: تقول جرم ديناً وكسبه وجر مته ديناً وكسبته .

قوله:بالضم :أي بضم اليا ء أجرم دينا .

قـوله:لم يمنع الشرب: الضمير في 'منها' و'نطقت' عائد إلى النا قة ، و'الأ وقا ل' جمع الوقل وهوشجر المقل .

قوله:زما ناً ومكا ناً: فهم أقرب الهالكين منكم ومنا ز لهم قريبة منكم .

قـولـه:وأفراد البعيد: جوا ب سوا ل. وهو أن يقا ل: لم يرد لفظ بعيد على مايقتضيه لفظ قو م، لأ نه يقتضي بعيدة لكو نه مؤ نثاً، قا ل الله تعالىٰ: ﴿كذبت قبلهم قوم نو ح﴾ أوما يقتضيه معناه وهو بعداء: لأ نه اسم جمع، فأ جا ب بأ نه على حذف المضاف أوالمو صوف فهووارد على ما يقتضيه ذلك المضا ف،أو ذلك المو صو ف .

﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ عما أنتم عليه ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ﴾ عظيم الرحمة للتائبين ﴿وَدُودٌ[٩٠]﴾فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ ما نفهم ﴿كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾ كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما، وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم، وقيل: قالوا: ذلك استهانة بكلامه، أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءًا، أو مهينًا لا عز لك، وقيل: أعمى بلغة حمير، وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف، ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمى قياسًا على القضاء والشهادة والفرق بين ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾ لقتلناك برمي الأحجار أو بأصعب وجه ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ[٩١]﴾ فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد ،وفى إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة، وأن المانع لهم عن إيذائه عزة قومه ولذلك﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾. ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيّاً﴾ وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون علىّ لله وتبقون عليّ لرهطي، وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب و﴿ظهريا﴾ منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ[٩٢]﴾ فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها.

---

قوله:يرده التقييد با لظرف :لأ ن الأ عمى أعمى فيهم وفي غيرهم .

قوله: والفرق بيّن: الا ستنبا ء لا ينا في العمى، لأ نه بتبليغ بخلا ف القضا ء والشهادة، فإنه حكو مة بين المعينين .

قوله:لا لخو ف من شو كتهم، فا ن الرهط من الثلثة إلى العشرة: أي لأ نهم قليلون.

قوله:تنبيه على أن الكلا م فيه لا في ثبو ت العزة :يعني أن العزة ثا بتة وليست ثا بتة لك بل لقو مك، ولذلك قا ل في جوا بهم :﴿أرهطي أعز عليكم من الله﴾ .

﴿وَيَقَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ سبق مثله في سورة الأنعام والفاء في "فسوف تعلمون" ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك ، وحذفها هٰهنا؛ لأنه جواب سائل قال: فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ عطف على من يأتيه، لا لأنه قسيم له كقولك: ستعلم الكاذب والصادق، بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال: سوف تعلمون من المعذب ، والكاذب مني ومنكم، وقيل: كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثانى إليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال: ومن هو كاذب على زعمهم ﴿وَارْتَقِبُوآ﴾ وانتظروا ما أقول لكم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ[٩٣]﴾ منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد؛ إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط، فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله:﴿ وعد غير مكذوب﴾ وقوله: ﴿إن موعدهم الصبح ﴾ فلذلك جاء بفاء السببية ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ﴾ قيل: صاح بهم جبريل عليهم السلام فهلكوا ﴿ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جٰثِمِينَ[٩٤]﴾ ميتين، وأصل الجثوم اللزوم في المكان.

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾﴿أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها ﴿أَلَا بُعْدَا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُود[٩٥]﴾ شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضًا بالصيحة غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم.

---

قوله:﴿اعملوا على مكا نتكم﴾: أي على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها، يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حا له على مكا نتك يا فلا ن، أي أثبت على ماأنت عليه ولا تنحرف .

قوله:والفا ء في ﴿فسوف تعملو ن﴾: جواب سوا ل. وهو أن يقال: ما الفرق بين إدخا ل الفاء ثمة ونزعها هنا؟ أجا ب بأ ن إد خا ل الفا ء للتصريح با لسببية ونزعها للاستيناف وكو نه جوا ب سوا ل مقدر فلكلٍ وجه، إلا أن الا ستينا ف أبلغ في التهويل والوعيد،لأ ن فيه الموا جهة با لجواب في مقابلة السوال، وأيضاً فيه نكت أُخروهي تنبيه السا مع على مو قعه. وإغنا ء السا ئل عن السوال .وأ ن لا يمنع منه بشيء، وأن لا ينقطع كلا مك لكلا مه. والقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ .

وقرىء: بعدت بالضم على الأصل، فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما، والبعد مصدر المكسور

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ بالتوراة أو المعجزات ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ[٩٦]﴾ وهو المعجزات القاهرة أو العصا، وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها، ويجوز أن يراد بهما واحد أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانًا له على نبوته واضحًا في نفسه أو موضحا إياها، فإن' أبان' جاء لازمًا ومتعديًا والفرق بينهما أن الآية تعم الامارة والدليل القاطع، والسلطان يخص بالقاطع، والمبين يخص بما فيه جلاء.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ فاتبعوا أمره بالكفر بموسى، أو فما ا تبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة، واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ[٩٧]﴾ مرشد أو ذى رشد وإنما هو غي محض وضلال صريح.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال، يقال: قدم بمعنى تقدم ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم

---

قوله:قرىء بعُدت بالضم على الأ صل: يعني أن الأ صل بعُد با لضم إلا أنهم لما اراد واالفرق بين البعد الذي هو سبب الهلاك وغيره غيروا البنا ء.

قوله: والفرق بينهما: أي بحسب المفهو م وإن كا ن المراد بهما واحد،فهى آية من حيث إنها علا مة إلى المطلو ب ووصلة إليه، وسلطا ن مبين من حيث إنها برها ن ودليل قا طع فيه جلا ء .

قوله: إلى ما لا يخفيٰ فساده على من له أدنىٰ مسكة من العقل: وذلك أنه أدعى الالٰهية مع أنه بشروجا هر بالفسق والظلم والشر الذي لا يأ تي إلا من شيطا ن ما رِد، ومثله بمعزل عن الالٰهية ذاتاً وأفعا لاً.

قوله: مرشد أوذي رشد: الرشيد الأ مر الذي فيه الرشد، فهوإما فعيل بمعنى مفعول. أي فيه رشد للخلق وإرشا د له، أو بمعنى ذي ر شد: أي ليس فيه رشد حتى يكو ن راشداً،وإنما هو غي .

منزلة الماء فسمى إتيانها موردا، ثم قال: ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ[٩٨]﴾ أي بئس المورد الذي وروده ، فإنه يراد لتبريد الأكباد، وتسكين العطش، والنار بالضد، والآية كالدليل على قوله ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾فإن من كان هذه عاقبته لم يكن في أمره رشد، أو تفسير له على أن المراد بالرشد ما يكون مأمون العاقبة حميدها.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِ﴾ الدنيا﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ أي يلعنون في الدنيا والاخرة﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ[٩٩]﴾ بئس العون المعان، أو العطاء المعطى، وأصل الرفد ما يضاف إلى غير ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في الدارين.

﴿ ذَٰلِكَ﴾أي ذلك النبأ﴿ مِنْ أَنبَآءِ الْقُرَىٰ﴾المهلكة ﴿ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾مقصوص عليك ﴿ مِنْهَا قَآئِمٌ﴾من تلك القرى باق كالزرع القائم﴿وَحَصِيدٌ[١٠٠]﴾ ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود، والجملة مستأنفة ، وقيل: حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح؛ إذ لا واو ولا ضمير

---

قوله:فسمى إ تيا نها مو رداً:والورد والمو رد مختص با لما ء، لأ نه خلا ف الصدر، والوارد الذين يردو ن على الما ء .

قوله: لم يكن في أمره رشيد:أي شا نه، فعلى هذا يكو ن الرشيد حقيقة ،لأ نه في مقا بل الغي، وعلى الوجه الآ خر يكو ن مجا زاً عن محمو د العا قبة .

قوله: بئس العون المعا ن أ و العطا ء المعطي:الضمير في المعان والمعطي راجع إلى العون والعطاء، سميت اللعنة عوناً، لأ نها إذا تبعتهم تبعتهم لتبعدهم عن رحمة الله، وتبعتهم على ما هم عليه من الضلا ل ،وأما كو نها معا ناً لأ نها أرقدت في الآ خرة بلعنة أخرى لتكو ناها د يتين إلى صرا ط الجحيم، وإسنا د الا وقا د إلى المعو ن مجا ز، نحو جدّ جدّه، وكا ن القيا من أن يسند المرفو د إليهم، لأ ن اللعنة تبعتهم في الدنيا وكذا في الآ خرة، والا ستعا رة تهكمية ـقا ل الجو هري: الرفد العطا ء والصلة با لفتح المصدر، يقا ل : رفدته أرفده إذا أعطيته وكذا إذاعنته انتهى .

قوله: وأصل الرفد ما يضا ف إلى غيره ليعمده :من عمدت الشيء فا نعمد أي أقمته بعماد يعتمد عليه .

قوله: والجملة مستا نفة :لأ نه لما قص في هذه السو رة أنبا ء الرسل ووخا مة عاقبة المكذبين اتجه لسا ئل أن يقول: فهذه القرى المقصوصة ما حا لها لها؟ أباقيةآثا رهاأم لا ؟ فأجيب بأن بعضها ليس ببا قي الأ ثروبعضها قا ئم .

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم بل ضرتهم ﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ حين جاء هم عذابه ونقمته ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ[١٠١]﴾ هلاك أو تخسير.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ومثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾ وقرىء: أخذ ربك بالفعل، وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر ﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي أهلها، وقرىء: إذ، لأن المعنى على المضي ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ حال من القرى، وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها، وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ[١٠٢]﴾ وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة في التهديد والتحذير.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله تعالى من قصصهم ﴿لَءَايَةً﴾لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾يعتبر به عظمته لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة، أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار، وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها ﴿ذَٰلِكَ﴾إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه من شأنه لا محالة وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ[١٠٣]﴾أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين، فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله "فى محفل من نواصى الناس مشهود "أى كثير شاهدوه، ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض

---

قوله:وقيل حا ل :القا ئل أبوا البقا ء .

قوله:في محفل :أوّله: ومشهد قد كفيت الغا ئبين به، المشهد محضر القو م ، ونواصي الناس أشرفهم والمقدمو ن منهم ،يقول: رب مشهد عظيم الشا ن تكلمت فيه، وكفيت الغا ئبين بالنطق عنهم، واليو م يوم مشهودفيه رؤساء النا س، يعني كشفت الغمة بقلب ثا بت .

من تعظيم اليوم وتمييزه، فإن سائر الأيام كذلك.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ أي اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ[١٠٤]﴾ إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف، وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ أي الجزاء أو اليوم كقوله: ﴿أو تأتيهم الساعة﴾ على أن يوم بمعنى حين أو الله عز وجل لقوله تعالى:﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل﴾[البقرة:٢١٠] ونحوه، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: يأت بحذف الياء اجتراء عنها بالكسر﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه بإضمار 'اذكر' أو بالانتهاء المحذوف﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إلا بإذن الله كقوله :﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ﴾[النباء:٣٨] وهذا في موقف وقوله ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾[المرسلات:٣٥] في موقف آخر، أو المأذون فيه، هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ ﴾وجبت له النار بمقتضى الوعيد ﴿وَسَعِيدٌ[١٠٥]﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد، والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر؛ لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس، أو للناس.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ[١٠٦]﴾ الزفير إخراج النفس،والشهيق رده واستعمالها في أول النهيق وآخره، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم

---

قوله:من تعظيم اليوم وتمييزه: أي من سائر الأيام بأنه اليوم الذي يشهد فيه الخلائق من كل ناحية لأمر له شأن، كأيام العيد وأيام عرفة .

قوله: إلا لانتهاء مدة معدودة:أي ما نؤخره ذلك اليوم إلا لينتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا .

قوله: وهذا في موقف الخ: جواب سؤال. وهو أن يقال: وجه التوفيق بين هذا وبين قوله ﴿يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ وقوله﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ فأجاب بأنه ذلك اليوم طويل له مواقف ومواطن، ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم، وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم، وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون .

قوله:واستعمالها في أول النهيق وآخره ـقال الجوهري:شهيق الحمار آخر صوته وزفيره أوله، ويقال: والشهيق رد النفس والزفير إخراجه، ونهاق الحمار صوته، وقد نهق ينهق نهيقاً ونهاقاً .

وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات لاحمير، وقرىء "وشقوا" بالضم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ﴾ ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها، فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل، ولو كان لارتباط لم يلزم أيضًا من زوال السموات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما إلا من قبيل المفهوم؛ لأن دوامهما كالملزوم لدوامه، وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق، وقيل: المراد سموات الآخرة وأرضها، ويدل عليه قوله تعالى:﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾[ابراهيم:٤٨] وإن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل، وفيه نظر؛ لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه، ومن عرفه، فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ استثناء من الخلود في النار؛ لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها، وذلك كاف في صحة الاستثناء؛ لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض ، وهو المراد بالاستثناء الثاني، فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم، فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء ، وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعد وا بإيمانهم ولا يقال: فعلى هذا لم يكن قوله ﴿ فمنهم شقي وسعيد﴾[هود:١٠٥] تقسيمًا صحيحًا؛ لأن من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لأن ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع ،وهٰهنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين، وأن حالهم لا يخلو عن

---

قوله: وانحصر فيه روحه: أي الرو ح الحيواني .

قوله:على سبيل التمثيل :متعلق با لتعبير لابيعرون، فإ ن العرب يعبرون على سبيل جري العا دة لا على سبيل التمثيل .

قوله: لا يقاوم المنطوق :أي منطوق النصوص الدالة على الدوام .

قوله:وهؤلاء وإن شقوا بعصيا نهم فقد سعد وا بإ يما نهم: فلذلك يدخلون في الذين سعدوا كما يد خلو ن في الذين شقوا .

قوله: لا نفصا ل حقيقي أومانع من الجمع :أي التنا في في الصدق والكذب، أو التنا في في الكذب ،أما إذا كا ن التقسيم لمنع الخلو فحينئذ يجو ز الجمع وهناك كذلك.

السعادة والشقاوة، وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين، أو لأن أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا، وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه، أو من أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب ؛لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار حين يأتي اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم، وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت، وقيل: هو من قوله ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ وقيل: إلا هٰهنا بمعنى سوى كقولك: عليّ ألف إلا الألفان القديمان، والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ[١٠٧]﴾ من غير اعتراض.

﴿وَأَمَّا الَّذِيْنَ سُعِدُوافَفِي الْجَنَّةِ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ[١٠٨]﴾ غير مقطوع، وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع، وتنبيه على أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع، ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأييد، وقرأ حمزة والكسائي وحفص: سعدوا ،على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده، وعطاء، نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا عطاء، أو الحال من الجنة.

﴿فَلَا تَكُ فِيْ مِرْيَةٍ﴾ شك بعد ما أنزل عليك من مآل أمر الناس ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلاء﴾ من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ اٰبَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ استئناف معناه تعليل عن النهي عن المرية أي هم

---

قوله: أومدة لبثهم في الدنيا والبرزخ :أي البرزخ بين الموت والحشروهو عطف على زمان توقفهم.

قوله:غير مقيد باليوم: أي يوم الآخرة .

قوله: على مدة بقاء السموات والأرض: أي سموات الدنيا والأرض .

قوله:ولأجله فرق بين الثواب والعقاب: فإن الثواب بعد الوجود لا ينقطع بل يكون مديداً بخلاف العقاب، فإنه ينقطع كما في فساق الموحدين .

قوله:من عبادة هؤلاء :وقوله:أو من حال ما يعبدونه : أراد أن كلمة 'ما' يحتمل أن يكون مصدرية، وأن يكون موصولة .

وآباؤهم سواء في الشرك: أي ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم، أو ما يعبدون شيئًا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان، وقد بلغك ما لحق آباء هم من ذلك فسيلحقهم مثله؛ لأن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات، ومعنى 'كما يعبد' كما كان يعبد، فحذف للدلالة من قبل عليه ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب كآبائهم، أو من الرزق فيكون عذرًا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ[١٠٩]﴾ حال من النصيب لتقييد التوفية فإنك تقول: وفيته حقه، وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ يعنى كلمة الإنظار إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزال ما يستحقه لامبطل ليتميز به عن المحق ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وإن كفار قومك ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ[١١٠]﴾ موقع في الريبة.

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين، والتنوين بدل من المضاف إليه، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارًا للأصل ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس، وما مزيدة بينهما للفصل، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على أن أصله لمن ما، فقلبت النون ميمًا للادغام، فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن، والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم، وقرئ: لمًا بالتنوين أي جميعا كقوله :﴿أكلا لما﴾الفجر:١٩] وإن كل لما على

---

قوله:﴿لقضي بينهم﴾:أي لقضي بعذاب الا ستيصال بين قو م مو سى، أو قو مك كذا في الكشا ف .

قوله: ﴿مريب﴾ مو قع للريبة ـقا ل الجو هري : رابنى فلا ن إذا ربت منه مايريبك وتكرهه، وهذ يل تقول: أرا بني فلا ن وأراب الرجل صا ر ذا ريبة، فا لمصنف رحمه الله تعالىٰ بنى على لغة هذيل ،ولو بنى على لغة غيره يكو ن على الإسنا د المجا زي أي أنهم لفي شك منه ذي ريبة صا حبه .

قوله:اعتباراً للأ صل: أي الأ صل ا لذي هو التثقيل .

قوله:و'ما' مز يدة بينهما للفصل: يعني أن بين اللامين لئلا يجتمع اللا ما ن، الموطئة ولا م جواب القسم، ولو لا كلمة 'ما' لقيل: لليوفّينّهم .

أن 'إن' نـافية، و'لما'بمعنى إلا وقد قرىء به ﴿إِنَّـهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[١١١]﴾ فلا يفوت عنه شيء منه وإن خفي.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ لـمّـا بيـن أمـر المختلفين فى التوحيد والنبوة وأطنب في شـرح الوعد والوعيد أمر رسوله ـ صـلى الله عليه وسلمـ بـالاستقامة مثل ما أمر بها، وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الـطرفين ،والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها، وهي في غاية العسر، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: شيبتني سورة هود ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ أي تاب من الشرك والكفر

---

قوله: كا لتوسط بين التشبيه والتعطيل :أما التشبيه فهو مذهب المشبهة، وهم الذين شبهـوا الـلـه با لمخلو قا ت فا ختلفوا، فمنهم قا لوا با لتجسيم والحر كة والا نتقا ل والحلو ل فـي الأ جسـا م إلـى غير ذلك .ومنهم قا لوا هو جسم كا لأ جسام من لحم ودم لا كا للحوم والـدمـا ء، ولـه الأعـضـا ء والـجـوارح، ويـجـو ز عـليـه الـملابسة والمصا فحة والمعا نقة لـلمخلصين الذين يزورونه في الدنيا .والتعطيل القول بما قا له المعطلة، وهو أنه محال على الـلـه تعالىٰ أن يكو ن محتا جاً إلى أن يحصى عليه أفعال العباد، وأراد وا به أن الله غني عن أن يـحـا سـب الـعبـا د في أعما لهم لا يحا سبو ن، فكفروا با لآيا ت الدالة على خلا ف ما أراده، قيل: المنا سب بمقا بلة المشبهةأن يراد به نفي الصا نع ـ

قـولـه:وهـي فـي غـا ية الـعسـر :قـال الإ مـا م: لا شك أن البقا ء على الا ستقا مة الحقيقية مشكل جداً ، وأناأضرب لك مثا لًا تعرف صعو بة هذا المعنى: الخط الذي يفصل بين الظل والضوء وا حد لا يقبل القسمة في العرض: فا ذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبـه فـي الـحس ولـم يقف الحس على إدراك ذلك الخط، فا لاستقا مة في جميع أنوا ع الـعبـو دية كـذلك، أولهـا مـعـرفة الـلـه تعالىٰ، وتحصيل هذه المعرفة على وجه يبقى العقل مـصـوناً في طرف الا ثبا ت عن التشبيه، وفي طر في النفي عن التعطيل في غا ية الصعو بة، وا عتبـر سـا ئـر مـقـا مـا ت الـمـعرفة وسا ئرالأخلا ق على هذا، فا لقوة الغضبية والشهوانية حـصـل لـكـل مـنهما طرف إفراط وتفريط وهما مذموما ن، والفا صل هو المتو سط بينهما بحيث لا يميل إلى أحد الجا نبين، والوقوف عليه صعب، ثم العمل أصعب، وقس على هذا الشجا عة والسخا وة والعفة .

وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وإن لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾ ولا تخرجوا عما حد لكم ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ[١١٢]﴾ فهو مجازيكم عليه ،وهو في معنى التعليل للأمر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان.

﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ولا تميلوا إليهم أدنى ميل، فإن الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ بركونكم إليهم، وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلمًا كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين: أي الموسومين بالظلم، ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه، ولعل الآيةأبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه، وخطاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل، فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط وتفريط فإنه ظلم على نفسه، أو غيره بل ظلم في نفسه وقرىء :تركنوا، فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنواعلى البناء للمفعول من أركنه

---

قوله:وآمن معك: قيل: أي كائنا معك فليس معك طرف تاب ولا طرف آمن، وإلا لزم مقارنة إحداث التوبة والايمان لإحداث النبيصلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم أحدهما، ويمكن أن يقال: إن المصاحبة لا تقتضي أن يكون حدوث كل من المتصاحبين في زمن الآخرحتى يلزم مقارنة إحداث الإيمان لإحداث النبيصلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم أحدهما، والمعنى: وليستقم من تاب من الشرك والكفر وآمن إيماناً مصاحباً لإيمانك في دوامه لا في حدوثه .

قوله: وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان: يعني أن الآية تدل على أنه إذا وجد نص يخالفه القياس أوالاستحسان يجب أن يعمل بالنص لا بالقياس أوالاستحسان، إذ من شرط القياس أن لا يخالف النص ويجب أن لا يتصرف في النص ولا يحرفه بأن يأوله .

قوله:بل ظلم في نفسه: لأنه غيرخلاف العدل .

قوله:على لغة تميم: يعني كسره التاء في كليهما على لغة تميم، وذلك أن لغتهم كسرحرف المضارعة إلا الياء في كل ما كان ماضيه مكسور العين .

قوله:من أركنه :أي أماله .

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ[١١٣]﴾ أي ثم لا ينصركم الله إذا سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره إياهم، وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم، ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد، فإنه لما بين أن الله معذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلًا.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ غدوة وعشية، وانتصابه على الظرف لأ نه مضاف إليه ﴿وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وساعات منه قريبة من النهار، فإنه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح، لأنها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشى صلاة العصر، وقيل: الظهر والعصر؛ لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف المغرب والعشاء، وقرىء 'زلفًا' بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة ، و' زلفى' بمعنى زلفة، كقربى وقربة ﴿إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ يكفرنها، وفى الحديث :إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر، وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: إني قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فنزلت ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله فاستقم وما بعده، وقيل إلى القرآن ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ[١١٤]﴾ عظة للمتعظين.

﴿وَاصْبِرْ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[١١٥]﴾ عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر إحسان وإيماء بأنه لا يعتد بهما دون الإخلاص،

---

قوله: وقد قرىء به: أي بإلا .

قوله:ولا يبقى عليكم ـقا ل الجو هري: أ بقيت على فلا ن إذا ارعيته ورحمته ـ

قوله: لأ نه مضا ف : يعني أن طرفي مضا ف إلى الظرف الذي هو النها ر فيكو ن ظرفاً أيضاً، لأ ن طرف الشيء يكو ن من جنس ذلك الشيء، كقولك: أقمت عنده جميع النها ر وأ تيته نصف النها ر وأوله وآ خره .

قوله:في بسرة: أي في جمع بسرة .

قوله:﴿وَاصْبِرْ﴾ على الطا عا ت وعن المعا صي: الصبر الحبس: أي احبس نفسك على الطا عا ت وعن المعا صي.

قوله:وإيما ء بأ نه لا يعتد بهما دو ن الإ خلا ص: لأ ن إحسا ن العمل هو جعله خالصاً

﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾فهلا كان ﴿مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ من الرأى والعقل أو أولو فضل، وإنما سمي 'بقية'؛ لأن الرجل يستبقى أفضل ما يخرجه، ومنه يقال: فلان من بقية القوم أي من خيارهم ، ويجوز أن يكون مصدرًا كالتقية أي ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من العذاب ، ويؤيده أنه قرىء 'بقية'وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه ، ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ لكن قليلا منهم أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله إلا إذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ما أنعموا فيه من الشهوات، واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ[١١٦]﴾ كافرين ،كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة، وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر ، وقوله: واتبع' معطوف على مضمر دل عليه الكلام؛ إذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد، واتبع الذين ظلموا، وكانوا مجرمين' عطف على "اتبع" أو اعتراض، وقرىء وأتبع أي وأتبعوا جزاء ما أترفوا، فتكون الواو للحال، ويجوز أن تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء

---

لله تعالىٰ من غيررياء وعجب،قال الطيبي :لمّح به إلى قوله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم :أن تعبدالله كأ نك تراه، فإ ن لم تكن تراه فإ نه يرا ك .

قوله:من مصدربقا ه يبقيه إذا را قبه: والمعنى: فلو لا كا ن منهم أولوا مرا قبة وخشية من انتقا م الله كأ نهم ينتظرون إيقا عه بهم لإ شفا قهم والمراقبة والخشية من انتقام الله يو جب نهيهم عن الفسا د .

قوله:لكن قليلاً منهم أنجينا هم، لأ نهم كا نوا كذلك :أي ينهو ن عن الفسا د في الأ رض، وعلى هذا التفسير يكو ن" من" للبيا ن، لأ ن النجا ة إنما تكو ن للنا هين وحدهم وكذا على التفسير الثا ني .

قوله: ولا يصح اتصا له إلا إذا جعل استثنا ء من النفي اللازم للتحضيض: والمعنى ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً، ولو جعل الاستثنا ء متصلا على ما عليه ظا هرالكلا م كا ن المعنى فاسداً ،لأ نه يكو ن تحضيضاً لأ ولي بقية على النهي عن الفساد إلا القليل من النا جين منهم، كما تقول هلّا قرأه قو مك القرآ ن إلا الصلحاء منهم تريد استثنا ء الصلحا ء من المحضضين على قراء ة القرآ ن .

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ[١١٧]﴾ فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فسادًا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ، ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم حقوق العباد، وقيل :الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مسلمين كلهم ، وهو دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الإيمان من كل أحد وأن ما أراده يجب وقوعه ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ[١١٨]﴾ بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلا ناسًا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هوأصول دين الحق والعمدة فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ إن كان الضمير للناس فالإشارة إلى الاختلاف واللام للعاقبة أو إليه وإلى الحرمة وإن كان لمن فإلى الرحمة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وعيد أو قوله للملائكة ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي من عصاتهما ﴿أَجْمَعِينَ[١١٩]﴾ أو منهما أ جمعين لا من أحدهما.

﴿وَكُلًّا﴾ ولك وكل نبأ ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ﴾ نخبرك به ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بيان لكلاً أو بدل منه، وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار، أو مفعول وكلاً منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السورة أو الأنباء المقتصة عليك ﴿الْحَقُّ﴾ ما هو حق ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ[١٢٠]﴾ إشارة إلى سائر فوائده العامة.

---

قوله:واللا م للعا قبة :لا للتعليل؛لأ نهم إنما خلقت للعبا دة لا للاختلا ف؛ لأ ن العبا دة هو المقصود منهم كما قا ل الله تعالىٰ:﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ .

قوله:أوإليه وإلى الرحمة :أي إليهما معاً واللام للعا قبة أيضاً :أي عا قبة أمرهم الاختلا ف والرحمة على المتفقين .

قوله:أي من عصا تهما: على حذف المضا ف؛ لأن ملا ء جهنم لا يكو ن من المطيعين، أوبدونه على معنى لأ ملأن جهنم من هذين النو عين جميعاً لامن أحدهما، ولا يلزم أن يكو ن الحكم يتعلق بكل وا حد من أفراد هما .

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ[١٢١]﴾ على حالنا.

﴿وَانتَظِرُوا﴾ بنا الدوائر ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ[١٢٢]﴾ أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فيرجع لا محالة أمرهم وأمرك إليه ، وقرأ نافع وحفص ويرجع على البناء للمفعول ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنه كافيك وفي تقديم الأمر بالعباد على التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع العابد ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[١٢٣]﴾ أنت وهم فيجازي كلا ما يستحقه ، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء هنا، وفى آخر 'النمل' عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قرأ سورة هود أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى.

---

قوله:فيرجع لا محالة أمرهم وأمرك إليه :فينتقم لك منهم ـ

قوله: وقرأ نافع وحفص 'يرجع' :بضم الياء وفتح الجيم والقراءة الأولى بفتح الياء وكسر الجيم .

# سورة يوسف عليه السلام

مكية وآياتهامائة و إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ[١]﴾ تـلـك إشارة إلى آيات السورة، وهي المراد بالكتاب أي تلك الآيات آيات السورة الظاهرة أمرها في الإعجاز، أو الواضحة معانيها، أو المبينة لمن تدبرها أنها من عند الله، أو لليهود ما سألوا؛إذ روي أن علماء هم قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمدًا لم أنتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي الكتاب ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ سمى البعض 'قرآنا'؛لأنه في الأصل اسم جنس يقع على الكل والبعض، وصارعلما لكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه

---

قوله:وهي المراد ة با لكتاب :أي السو رة المرادة با لكتا ب .

قوله:الظا هر أمر هـا الـخ: قا ل الجو هري : بأن الشيء بيا ناً ا تضح وأبان الشيء فهو مبين، وأبنته أنا: أي أوضحته يتعدى ولا يتعدى، فا لمبين يحتمل أن يكو ن من اللازم ومن المتعدي ،فإن كان من اللازم يحتمل وجهين ،أحدهما: أن يكون وضوحها بحسب الأ لفا ظ من كو نها معجزة ظا هرة الإ عجا ز لا يخفى على أربا ب البلا غة ،وثانيهما: أن يكو ن بحسب المعا ني بحيث لا تشتبه، وإن كا ن من المتعدي يحتمل أيضاً وجهين. أحدهما: أنها من الظهو روالبيا ن منزلة المبين والمفسر حيث يحمل المتدبر على المتدبر لقوله تعالىٰ:﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كا ن من عند غير الله لو جدوافيه اختلا فاًكثيراً﴾ وثا نيهما: مبين من جهة أن الله تعالىٰ أبا ن وأوضح فيها المقصو د، فعلى هذين الوجهين يكو ن من الإ سنا د المجازي .

إمـا توطئي للحال التـي هي عربيًاأو حال لأنـه مصدر بمعنى مفعول، و عربيًاصفة له ،أو حـال من الضمير فيه، أو حال بعد حال، وفي كل ذلك خلاف ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ[٢]﴾ علة لإنزاله بهذه الصفة ،أي أنزلناه مجموعا أو مقروء أ بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه، أو تستعـمـلوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور إلا بالإيحاء.

﴿نَـحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾أحسن الاقتصاص لأنه اقتص على أبدع الأساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات، والعبر فعل بمعنى مـفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص أثره إذا تبعه ﴿بِمَا أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي بإيحائنا ﴿هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾يعـنـي السورة ، ويجو ز أن يجعل هذا مفعول نقص على أن أحسن نصب على المصدر. ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ[٣]﴾عـن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ﴾ بدل من 'أحسن القصص' إن جعل مفعولاً بدل الأشتمال، أو مـنـصـوب بـإضمار 'اذكر' و يوسف عبري ولـو كـان عربيًا لصرف، وقـرىء بفتح السين

---

قوله:إما تو طئة: معنى التوطئة أنها تنبيء أن مابعد ها حا ل ومقصود با لذكر لا أنها في نفسها حال ؛لأ نها تدل على الهيئة .

قـوله:لأ نه مصدر بمعنى مفعو ل :أي مقروّ فيكو ن مدلو له غير مدلو ل ضمير﴿إنا أنزلنا ه﴾.

قـوله:لأ نه اقتص على أبدع الأ سا ليب: ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأ ولين وفـي كتـب التـواريـخ ، ولا تـرى اقتصا صه في كتا ب منها مقارناً لا قتصا صه في القرآن.

قوله:لا شتما له على العجائب الخ: كقصص الرويا ومكر النسا ء والصبرعلى أذى الأ عدا ء والتجا وز عنهم بعد الا قتداروسير الملو ك والمماليك .

قـولـه:ولو كا ن عربياً لصرف :يعني لوكا نا يو سف عربياً كما قيل: إنه عر بي من أسف يـأ سف. وقيـل: مـن أسف يـوسف ؛لأ نـه حـزن واحـزن لـصرف؛ لخلوه عن سبب آخرسوى التعريف.

وكسرها على التلعب به لا على أنه مضارع بني للمفعول، أو الفاعل من آسف ؛ لأن المشهورة شهدت بعجمته ﴿لِأَبِيهِ﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وعنه عليه الصلاة السلام: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿ يٰأَبتِ﴾ أصله 'يا أبي' فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة، ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وكسرها ؛ لأنها عوض حرف يناسبها، وفتحها ابن عامر في كل القرآن ؛ لأنها حركة أصلها، أو لأنه كان 'يا أبتا' فحذف الألف وبقي الفتحة ، وإنما جاز 'يا أبتا' ولم يجز 'ياأبتى' ؛ لأنه جمع بين العوض والمعوض، وقرىء بالضم إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض، وإنما لم تسكن كأصلها؛ لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب ﴿إِنِّى رَأَيْتُ﴾ من الرؤيا لا من الرؤية لقوله ﴿ لا تقصص رؤياك﴾ ولقوله: هذا تأويل رؤياي من قبل ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ روي عن جابر رضى الله تعالى عنه أن يهوديا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: أخبرنى يا محمد! عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال: إذا أخبرتك فهل تسلم، قال: نعم، قال: جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له، فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سٰجِدِينَ[٤]﴾ استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير.

---

قوله:لأن المشهورة شهدت بعجمته: أي القراءة المشهورة شهدت بعجمته؛ لأنه غير منصرف فيها .

قوله: لتناسبهما في الزيادة :في آخر الاسم: أي لكون كل واحدةمنها زيادة في آخر الاسم، ولأجل أنها تاء التانيث قلبها هاءً في الوقف ابن كثير. ولو كانت أصلية لبقيت خالصة كما في البنت .

قوله:لأنها حركة أصلها: لأن الأصل في الياء الفتح عند البعض .

قوله:إجراء لها مجرى الأسماء المونثة: كثبة .

قوله:استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها: يعني أن هذا كلام مستانف وقع جواباً لسوال .كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله:﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾ كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال:﴿ رأيتهم لى ساجدين﴾ وبين حالها

وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير 'ابن' صغره للشفقة، أو الصغر السن؛ لأنه كان ابن اثنتى عشرة سنة، وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالوا لإهلاكك حيلة، فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على إخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون في النوم، فرق بينهما بحر في التأنيث كالقربة والقربى، وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك، والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك، ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة، ثم إن كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه وإنما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه.

---

فلايلزم التكرير. وإنما يلزم التكرير لو كان 'لى ساجدين' متعلقاً بإني رأيت 'وأيضاً الأولى يتعلق بالذات والثانية تتعلق بالحال.

قوله:وإنما أجريت مجرى العقلاء: يعني وصفها بصفات العقلاء وهو السجود أجريت مجرى العقلاء في عود ضمير العقلاء عليها المختص بهم.

قوله:وقرأ حفص هنا و في 'الصفّات' بفتح الياء: لأنه اجتمع فيه ياءان ففتح، أحدها؛ لأن الفتحة أخف الحركات .فأمّا من كسرفهوقراءة العام؛ لأنه اجتمع فيه ياءان فكسر أحدهما، لأن الساكن إذا حرك حرك بالكسر.

قوله:والرؤيا كالرؤية :يعني أن الرؤيا بمعنى الرؤية إلاأنها مختصة بالروية في المنام.

قوله:لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن: لأن عند الفراغ يحصل لها نوع تجرد.

قوله:فتصوربما فيها: أي النفس تصير متصورة في الملكوت مما يليق بالنفس ويناسب مقصودها من المعاني الحاصلة في الملكوت ثم القوة المتخلية تحاكي تلك المعاني وتجعلهامصورة بصورة تناسبها كالكواكب تصور الآخرة بصورتها فترسمها إلى الحس وتأدى إليه فتصير مرئية فيه كما كانت المحسوسات مرئية فيه.

لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا، ولذلك أكد بالمصدر وعلله بقوله ﴿إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ[٥]﴾ظاهر العداوة كما فعل بآدم عليه السلام وحواء، فلا يألو جهدًا في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ للنبوة والملك أو لأمور عظام، والاجتباء من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل: وهو يعلمك﴿مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ من تعبير الرؤيا؛ لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة، وأحاديث النفس أو الشيطان إن كانت كاذبة، أو من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ يريد به سائر بنيه، ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أو نسله ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ﴾ بالرسالة، وقيل :على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار، وعلى إسحاق بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم﴿مِن قَبْلُ﴾أي من قبلك أو من قبل هذا الوقت ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ عطف بيان لأبويك﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾بمن يستحق الاجتباء﴿حَكِيمٌ[٦]﴾يفعل الأشياء على ما ينبغي.

---

قوله:لتضمنه معنى فعل يتعدى به تا كيداً: أي با للام وهو يحتال والمعنى يكيدونك المحتا لين لك .

قوله:أومن تأ ويل غوامض كتب الله تعالىٰ :أي يعلمك من تأ ويل المعا ني الغامضة لكتب الله وسنن الأ نبياء عليهم السلا م وكذا لِكلما ت الحكماء فيفسرها ويشرحها ويدلّهم على مودّعا ت حكمها .

قوله:وهو اسم جمع للحديث: وليس بجمع أحدوثة كذافي الكشاف .وقال الجوهري: الحديث خلا ف القديم ويجمع على أحا ديث على غيرقيا س، وقا ل الفراء: نرى أن وا حد الأ حا ديث احدوثة ثم جعلو ه جمعاً للحديث .

قوله:با لنبوة أوبأ ن يصل :الأ ول متعلق بأمورعظا م أي يتم نعمته بالأ مو ر العظا م بالنبوة؛ إذ لا نعمة في الدنيا أعظم من النبوة ،والثا ني متعلق با لنبوة أي يصل نعمة الدنيا بنعمة الآ خرة بأن جعل أنبياء في الدنيا وملو كاً ونقلهم إلى الدرجا ت في الجنة.

قوله:أ ونسله: عطف على سا ئر بنيه ـ يعني أوالمراد بآل يعقوب نسله أعم من بنيه وأبناء بنيه.

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴾ أي في قصتهم ﴿ءَايَٰتٌ﴾ دلائل قدرة الله تعالى وحكمته أو علامات نبوتك، وقرأ ابن كثير آية ﴿لِّلسَّآئِلِينَ[٧]﴾ لمن سأل عن قصتهم، والمراد بإخوته بنو علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون وشجر ودينة من بنت خالته 'ليا' تزوجها يعقوب أولا، فلما توفيت تزوج أختها راحيل، فولدت له بنيامين ويوسف، وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ، وأربعة آخرون دان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة.

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾بنيامين ، وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾ وحده ؛ لأن 'أفعل' من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه، والمذكر وما يقابله بخلاف أخويه، فإن الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيها، والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ[٨]﴾ لتفضيله المفضول ، أو لترك التعديل في المحبة. روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل ، وكان إخوته يحسدونه، فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له.

﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾من جملة المحكي بعد قوله: إذ قالوا، كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إلا من قال:لا تقتلوا يوسف،وقيل: إنما قاله شمعون أو دان ورضي به الآخرون ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً ﴾ منكورة بعيدة من العمران، وهو معنى تنكيرها وإبهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾جواب الأمر، والمعنى يصف لكم وجه أبيكم

---

قوله:آوعلامات نبوتك:للسائلين لمن سأل عن قصتهم من اليهودفأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب.

قوله: علاته العشرة :هذا على ما ذكره صاحب المعالم. وأما على ما ذكره صاحب الكشاف فهم إحدى عشرة ،فالاختلاف في تعيين العدد والتعداد بناء على اختلاف صاحبي التفسير.

قوله: إنّا جماعة أقوياء: كفاه نقوم بمرافقة .

قوله:ولذلك نصبت :وإلا فهي من الظروف المحدودة ولابدفيها من 'في' والمبهمة هي الجهات الست .

فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد ﴿وَتَكُونُوا﴾ جزم بالعطف على يخل، أو نصب بإضمار أن ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد يوسف، أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه ﴿قَوْماً صَٰلِحِينَ[٩]﴾ تائبين إلى الله تعالى عما جنيتم،أو صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا، وقيل: روبيل ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ فإن القتل عظيم ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ في قعره، سمي به لغيبوبته عن أعين الناظرين، وقرأ نافع في 'غيابات' في الموضعين على الجمع، كأنه لتلك الجب غيابات ، وقرىء: غيبة وغيّابات بالتشديد ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ بعض الذين يسيرون في الأرض ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ[١٠]﴾ بمشورتي أو إن كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه.

﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ لم تخافنا عليه ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ[١١]﴾ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام، وعن نافع بترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام لأنهما من كلمتين وتئمنا بكسر التاء.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَعْ﴾ نتسع في أكل الفواكه ونحوها من

---

قوله: فيقبل بكليته عليكم الخ: فكأن ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم؛ لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويكون كناية عن المحبة، مثل كثير الرماد، كناية عن الجود، ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالىٰ: ﴿ويبقى وجه ربك﴾.

قوله: أو نصب بإضمار 'أن' والواو بمعنى 'مع' والمعنى أطرحوه أرضاً ليجتمع لكم إقبال أبيكم عليكم وصلاح الأمر دنياكم ودينكم .

قوله: والمشهورة "تأمنا" بالإدغام بإشمام ـ وعن نافع بترك الإشمام: قرء القراء بإخفاء حركة النون الأولى، وحقيقته أن يضعف الصوت بالحركة ويفصل بين النونين، لأن النون يسكن رأسا فيكون ذلك إدغاما لا إخفاء، فقرء بعض بالإدغام مع الإشمام، وحقيقة الإدغام الصريح مع الإشمام للدلالة على حركة المدغم .

قوله: وهى الخصب: أي السعة .

الرتعة وهي الخصب ﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالاستباق والانتضال، وقرأ ابن كثير: نرتع بكسر العين على أنه من ارتعى يرتعي، ونافع بالكسر والياء فيه، وفي يلعب، وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على إسناد الفعل إلى يوسف، وقرئ:يرتع من أرتع ماشيته و يرتع بكسر العين و ويلعب بالرفع على الابتداء ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[١٢]﴾من أن يناله مكروه.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾ لشدة مفارقته عليّ وقلة صبري عنه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾لأن الأرض كانت مذابة، وقيل: رأى في المنام أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه، وقد همزها على الأصل ابن كثير ونافع في رواية قالون، وأبو عمرو وقفًا وعاصم وابن عامر وحمزة درجًا، واشتقاقه من تذاء بت الريح إذا هبت من كل جهة ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ[١٣]﴾لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه.

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ اللام موطئه للقسم وجوابه ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ[١٤]﴾ ضعفاء مغبونون أو مستحقون ؛ لأن يدعي عليهم بالخسار، والواو في 'ونحن عصبة' للحال.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ وعزموا على إلقائه فيها، والبئر بئر المقدس، أو بئر بأرض الأردن، أو بين مصر و مدين، أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب، وجواب لما محذوف، مثل فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد روي أنهم لما بروزا به إلى

---

قوله:با لا ستبا ق والا نتضال: يعني أن المراد با للعب اللعب با لا ستبا ق والانتصال مما يجو ز في الشريعة، فلا يشكل بأ ن يعقوب عليه الصلاة والسلام كيف استجا زلهم اللعب .

قوله:لشدة مفا رقته عليّ وقلة صبرى عنه: لأ نه كا ن لا يصبر عنه سا عة .

قوله:مذأبة: قا ل الجو هري :أرض مذأبة ذات ذيا ب وشد عليه في الحرب يشد شداً أي حمل عليه.

قوله:اللام مو طئة للقسم: أي لجواب قسم محذوف .

قوله:﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾:قا ل الجو هري: خسرت الشيء وأخسرته نقصه والخساروالخسا رة والخسرى الهلاك، فيكو ن الخسران إما مجازاً عن الضعف والمغبونية، أوعن الا ستحقاق با لدعا ء با لهلا ك ؛لأ نه لاغنا ء عندهم ولا جدي في حيا تهم.

الصحراء أخذ وا يؤذ ونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث، فقال يهوذا: أما عاهدتموني أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها، فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم، ويحتالوا به إلى أبيهم فقال: يا إخوتاه رد وا على قميصي أتواري به، فقالوا: ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك ، فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاء ه جبريل بالوحي كما قال﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة، وقيل: كان مراهقًا أوحي إليه في صغره كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وفي القصص أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي فى النار جرد عن ثيابه، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل عليه السلام وألبسه إياه﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾ لتحدثنهم بما فعلوا بك ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ[١٥]﴾ إنك يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلي والهيئات، وذلك إشارة إلى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم، وهم له منكرون بشره بما يؤول إليه أمره إيناسًا له وتطييبا لقلبه، وقيل:وهم لا يشعرون' متصل بـ' أوحينا' أي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ ﴾أي آخر النهار، وقرىء'عشيا'وهو تصغيرعشى، وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشوا من البكاء ﴿ يَبۡكُونَ[١٦]﴾ متباكين، روي أنه لما سمع بكاء هم فزع وقال: مالكم يا بني واين يوسف؟

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ ﴾ نتسابق في العدو أو في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ بمصدق لنا﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ[١٧]﴾ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف.

---

قوله:وذلك إشا رة إلى ما قا ل لهم بمصرحين دخلوا عليه ممتارين: فعرفهم وهم له منكرون: وهو أنه دعا با لصا ع فوضعه على يده ثم نقره .... فقال عليه الصلاة والسلام : إن هذا الجام ليخبرني أنه كا ن لكم أخ من أبيكم يقال له يو سف وأنكم ألقيتموه في غيابات الجب وقلتم لأ بيه: أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس .

قوله:أي عشواًمن البكا ء :قيل: فيه ضعف؛لأن قدرما يكون في ذلك اليو م لا يعشومنه الإنسان .

﴿وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه، ويجوز أن يكون وصفًا بالمصدر للمبالغة، وقرىء بالنصب على الحال من الواو أي جاؤوا كاذبين، و 'كدب' بالدال غير المعجمة أي كدرأو طري، وقيل: أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص، و'على قميصه' في موضع النصب على الظرف أي فوق قميصه، أو على الحال من الدم إن جوز تقديمها على المجرور، روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه وألقاه على و جهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال: ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي سهلت لكم أنفسكم وهونت في أعينكم أمرًا عظيمًا من السول وهو الاسترخاء ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل، وفي الحديث: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ[١٨]﴾ على احتمال ما تصفونه من إهلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم إن صح.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ رفقة يسيرون من مدين إلى مصر، فنزلوا قريبًا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من إلقائه فيه ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾ فأرسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال: تعال فهذا أوانك، وقيل: هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على إخراجه ، وقرأ غير الكوفيين يا بشراي

---

قوله: وقديشترك الا فتعا ل والتفا عل: أي يجيء الا فتعال للمشاركة كالتفاعل .

قوله: أي بدم ذى كذب بمعنى مكذوب فيه: جعل الكذب فيه؛ لأ نه لم يكن دم يوسف وإنما هودم شاةذبحوها وجعلوادمها على قميص يو سف، ويجو ز أن يكو ن وصفاً له بوصف صا حبه ككتاب الحكيم، ثم جعل نفس المصدر للمبا لغة .

قوله: و'على قميصه' في مو ضع النصب على الظرف :قيل في كو نه ظرفاً للمجيء وبقاء المعنى المقصو د جزازة .

قوله: إن جو ز تقديمها على المجرور: على ما هومذهب غير الأ صح، إذالأ صح أن لا يتقدم الحا ل على ذى الحا ل المجرور .

قوله: كأنه قال تعالىٰ: ﴿ فهذا أوانك﴾ : قا ل الزجا ج معنى النداء في هذه الأ شياء

بالإضافة، وأمال فتحة الراء حمزة والكسائى، وقرأ ورش بين اللفظين، وقرىء'يا بشري' بالإدغام وهو لغة'بشراى'بالسكون على قصد الوقف ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾أى الوارد وأصحابه من سائر الرفقة، وقيل: اخفوا أمره، وقالوا لهم : دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وقيل: الضمير لإخوة يوسف، وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر إخوته فأتوا الرفقة وقالوا: هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه،﴿ بِضَاعَةً ﴾نصب على الحال أي أخفوه متاعًا للتجارة ، واشتقاقه من البضع ، فإنه ما بضع من المال للتجارة ﴿وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ[١٩]﴾ لم يخف عليه إسرارهم أو صنيع إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ وباعوه، وفي مرجع الضمير الوجهان، أو اشتروه من إخوته ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ مبخوس لزيفه أو نقصانه ﴿دَرَاهِمَ﴾ بدل من الثمن ﴿ مَعْدُودَةٍ ﴾ قليلة فإنهم يزنون ما بلغ الأوقية ويعدون ما دونها، قيل كان عشرين درهما، وقيل:كان اثنين وعشرين درهما ﴿وَكَانُواْ فِيهِ﴾ في يوسف ﴿ مِنَ الزَّاهِدِينَ[٢٠]﴾ الراغبين عنه، والضمير في' وكانوا' إن كان للإخوة فظاهر، وإن كان للرفقة كانوا بائعين فزهدهم فيه، لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وإن كانوا مبتاعين فلأنهم اعتقدوا أنه ابق ، وفيه متعلق بالزاهدين إن جعل اللام للتعريف، وإن جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين؛ لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول.

---

التي لا تجيب ولا تعقل، إنما هو تنبيه المخا طبين وتو كيد القصة، فإذا قلت: يا عجباً فكأنك قلت: أعجبوا يأيها العجب هذا من حينك فكأ نه قا ل: يأيتها البشرى هذا من أوانك ـوقا ل أبو علي: إن هذا الوقت لو كنت ممن يخا طب لخوطبت الآ ن .

قوله: وقيل: أخفوا أمره: وهووجدانهم له في الجب .

قوله:وفي مر جع الضمير الوجهان: هما أنه لإخوته أو للوارد وأصحا بهـ أي با ع الإخوة يوسف من الوارد وأصحا به، أو با ع الوارد وأصحا به يو سف في مصر.

قوله:مبخوس:أي ناقص لزيفه ونقصان عياره، أو نقصانه عن قيمة يوسف نقصاناً ظاهراً.

قوله:وإن كانوا مبتاعين :أي وإن كا نوا مشترين؛ فلأ نهم اعتقدوا أنه آبق فيخطر بما لهم فيه .

﴿وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو إطفير، وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي، وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته، وقيل: كان فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالى:﴿ولقد جاء كم يوسف من قبل بالبينات﴾[غافر: ٣٤]والمشهور أنه من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء، روي أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، واختلف فيما اشتراه به من جعل شراء ه غير الأول، فقيل: عشرون دينارًا وزوجا نعل وثوبان أبيضان، وقيل: ملؤه فضة ، وقيل ذهبًا ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾ راعيل أو زليخا ﴿أَكْرِمِى مَثْوَاهُ﴾ اجعلي مقامه عندنا كريمًا أي حسنا والمعنى أحسني تعهده ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في ضياعنا وأموالناو نستظهر به في مصالحنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ نتبناه وكان عقيمًا لما تفرس فيه من الرشد، ولذلك قيل: أفرس الناس ثلاثة، عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت :يا أبت استأجره، وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ﴾ وكما مكنا محبته في قلب العزيز أو كما مكناه فى منزله أو كما أنجيناه، وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه أي كان القصد في إنجائه وتمكينه إلى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى وأحكامه فينفذها أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل بسنيه

---

قوله:العمليقي: نسبة إلى عمليق- قا ل الجو هري: العما ليق قو م من ولد عمليق بن لا وذبن ارم بن سا م بن نو ح .

قوله:عا ش أربعمائة سنة :حتي بلغ زما ن مو سىٰ عليه الصلاة والسلام.

قوله:والآ ية: يعني قو له:﴿ ولقد جا ء كم يو سف﴾ .

قوله:ملا ؤه :أي‌زنة يو سف وملا ء ه.

قوله:تعهده: التعهد التحفظ با لشيء.

قوله:لما تفرّس فيه من الرشد :قا ل الجوهري: الفراسة با لكسر الا سم من قولك: تفرس فيه خيرا وهو يتفرس: أي‌يتثبت وينظر .

قوله:لسنيه: أي‌سني يو سف وهي سنوالقحط التي دبّر يو سف فيها معا شر الخلق

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِ﴾ لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء أو على أمر يوسف أراد به إخوته شيئا وأراد الله غيره فلم يمكن إلا ما أراده ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[٢١]﴾ أن الأمر كله بيده أو لطائف صنعه وخفايا لطفه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والأربعين، وقيل: سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم ﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً﴾ حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس ﴿وَعِلْماً﴾ يعني علم تأويل الأحاديث ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ[٢٢]﴾ تنبيه على أنه تعالى آتاه ذلك جزاء على إحسانه في عمله واتقانه في عنفوان أمره.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ طلبت منه وتمحلت أن يواقعها من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ قيل: كانت سبعة، والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أى أقبل وبادر، أو تهيأت، والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين، واللام للتبيين كالتي فيي سقيًا لك، وقرأ ابن كثير بالضم وفتح الهاء تشبيهًا له بحيث، ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط،وهو لغة فيه، وقرأ هشام كذلك إلا أنه يهمز، وقد روي عنه ضم التاء وهو لغة فيه، وقرء'هيت'كجير'و'هئت'كجئت، من هاء يهيء إذا تهيأ، وقرىء هيئت، وعلى هذا فاللام من صلته ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله معاذا ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الشأن ﴿رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ سيدي قطفير أحسن تعهدي إذ قال لك في ﴿أكرمي مثواه﴾ فما جزاؤه أن أخونه في أهله، وقيل: الضمير لله تعالى أي إنه خالقي أحسن منزلتي بأن عطف عليّ قلبه فلا أعصيه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ[٢٣]﴾ المجازون الحسن بالسيء، وقيل: الزناة، فإن الزنا ظلم على الزاني والمزني بأهله.

---

قوله:وهو سن الوقوف: أيعن النشووالنماء، وهو ما بين الثلثين والا ربعين .

قوله:وهو العلم المؤ يد با لعمل:بحيث لا يجهل فيذلك العلم ، وذلك بأن يكو ن عا لماً بمقتضاه.

قوله: ومنه الرا ئد:وهوالذي يرسل في طلب الكلا ء.

قوله: واللام للتبيين :أيإرادتي بذلك فهو خبر مبتدأ محذوف، وقيل:إنّ اللام فيه متعلقة بنفس 'هيت' لتعلقها بنفس هلّم في قو لهم: هلّم لك .

قوله:والمزني: أيوظلم على الرجل الذي زنى بأ هله وامرأته .

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ وقصدت مخالطته وقصد مخالطتها، والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام، وهو الذي إذا هم بشيء أمضاه، والمراد بهمه عليه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم، أو مشارفة الهم كقولك: قتلته لو لم أخف الله ﴿لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِۦ﴾ في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المغالبة، ولا يجوز أن يجعل 'وهم بها' جواب 'لولا' فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه، وقيل: رأى جبريل عليه الصلاة والسلام، وقيل: تمثل له يعقوب عاضًا على أنامله، وقيل: قطفير، وقيل: نودى يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أوالأمر مثل ذلك ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ﴾ خيانة السيد ﴿وَالْفَحْشَآءَ﴾ الزنا﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ[٢٤]﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن إذا كان في أوله الألف واللام أي الذين أخلصوا دينهم لله.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ أي تسابقا إلى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الإبتدار، وذلك أن يوسف فر منها ليخرج وأسرعت وراء ه لتمنعه الخروج ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من ورائه فانقد قميصه، والقد الشق طولاً، والقط الشق عرضًا﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ وصادفا زوجها ﴿لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٢٥]﴾ إيهاما بأنها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف وإغراء ه به انتقامًا منه و'ما' نافيه أواستفهامية بمعنى أي شيء جزاء ه إلا السجن.

---

قوله:وسوء مغبته: قال في القاموس: الغِب بالكسر عاقبة الشيء كالمغبة بالفتح .

قوله: لشبق الغلمة: الشبق شدة الغلمة وقد شبق بالكسر، والغلمة بالضم شهوة الغراب .

قوله:فحذف الجار: أي تسابقا إلى الباب.إما على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله:﴿ واختار موسىٰ قومه﴾ أو تضمين الفعل معنى الابتداء فقوله: أوضمن' عطف على 'فحذف'.

﴿قَالَ هِىَ رَاوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ طالبتني بالمواتاة، وإنما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن أو العذاب الأليم ولو لم تكذب عليه لما قاله ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: ابن عم لها، وقيل: ابن خال لها صبيا في المهد، وعن النبي -صلى الله عليه وسلم- تكلم أربعة صغارا: ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى أبن مريم عليه الصلاة والسلام، وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَٰذِبِينَ[٢٦]﴾ لأنه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّٰدِقِينَ٢٧﴾ لأنه يدل على أنها تعبته فاجتذبت ثوبه فقدته، والشرطية محكية على إرادة القول، أو على أن فعل الشهادة من القول، وتسميتها شها دة لأنها أدت مؤداها والجمع بين إن وكان على تأويل أن يعلم أنه كان ونحوه، ونظيره قولك: إن أحسنت إليّ اليوم فقد أحسنت إليك من قبل، فإن معناه أن تمنن عليّ بإحسانك أمنن عليك بإحساني لك السابق، وقرىء 'من قبل' و'من دبر' بالضم؛ لأنهما قطعا عن الإضافة كقبل وبعد، وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين.

﴿فَلَمَّا رَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ إن قولك: 'ما جزاء من أراد بأهلك سوء' إن السوء أو إن هذا الأمر ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾ من حيلتكن والخطاب لها ولأمثالها أو لسائر

---

قوله: فتعثر بذيله: قا ل في القا مو س: تعثر كباً أي انكب على وجهه .

قوله: أوعلى أن فعل الشها دة من القول: أي من جنس القو ل يودى به فكأنه قا ل: وقال قا ئل من أهلها .

قوله: وتسميتها شهادة: يعني سمي شها دة مع أن الشها دة يشترط فيها لفظ الشهادة؛ لأ نه أدّى مود اها .

قوله: والجمع بين 'إن' و'كا نَ': جواب سوال- وهو أن 'إن' للشك و'كا ن' للوقوع والحصول؛ لكو نه للمضي، فأ جا ب بأ نه على تأويلإن تعلم أي إن تعلم في المستقبل ما كا ن حا صلاً واقعاً في الزما ن الما ضي، ونظيره في تأ ويل الما ضي با لمستقبل قو لك: إن أحسنت إليّ فقد أحسنت إليك من قبل .

قوله: أوإن هذا الأ مر: وهو الا حتيا ل لنيل الرجال .

النساء ﴿ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ[٢٨]﴾ فإن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس، أولأنهن يواجهن به الرحال، والشيطان يوسوس به مسارقة.

﴿يُوسُفُ ﴾حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾ أكتمه ولا تذكره﴿وَاسۡتَغۡفِرِيۡ لِذَنۢبِكِ ﴾يا راعيل﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الۡخَٰطِئِينَ[٢٩]﴾من القوم المذنبين من خطي إذا أذنب متعمدًا والتذكير للتغليب.

﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ ﴾ هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الإعتبار غيرحقيقي، ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها ﴿فِي الۡمَدِينَةِ ﴾ ظرف لقال أي أشعن الحكاية في مصرأو صفة نسوة وكن خمسا: زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب ﴿امۡرَأَتُ الۡعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَٰهَا عَن نَّفۡسِهِ﴾ تطلب مواقعة غلامها إياها، و'العزيز'بلسان العرب الملك، وأصل فتىً فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة ﴿ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل إلى فؤادهاحبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه، وقرىء: شعفها'من شعف البعير إذا هنأه بالقطران فأحرقه﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ[٣٠]﴾ في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ ﴾ باغتيابهن ،وإنما سماه مكرًا لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره، أو قلن ذلك لتريهن يوسف، أو لأنها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها ﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ تدعوهن، قيل: دعت أربعين امرأة ، فيهن الخمس المذكورات ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا ﴾ مايتكن عليه من الوسائد ﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا ﴾ حتى يتكئن والسكاكين بأيدهن ، فإذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على

---

قوله:حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث :يعني جاء حرف النداء لأمرين، إما أن يكون بعيداً فيطلب إقبا له، وإما أنه قريب منك بليد فينبه به، ويو سف لم يكن بهذه المثابة.

قوله:﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾: أي أعرض عن هذا الأ مر واكتمه ولا تذكر ولا تحدث به .

قوله:لصرف الفعل عنه: والأ صل قد شغف حبها فصرف وأزيل الفعل عن العمل فيه واعمل في الضمير .

قوله:با غتيا بهن :وهو قولهن لإمرأة العزيز: عشقت عبد ها الكنعا ني .

أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو يهاب يوسف مكرها إذا خرج وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر، وقيل: متكأ طعاما أو مجلس طعام، فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفأ ، ولذلك نهى عنه قال جميل:

"فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله "

وقيل: المتكأ طعام يحزّ حزًا كأن القاطع يتكيء عليه بالسكين، وقرىء: متكابحذف الهمزة ومتكاء بإشباع الفتحة كمنتزاح، و متكأ وهو الأترج، أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكأ من تكيء يتكأ إذا اتكأ ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ عظمنه وهبن حسنه الفائق، وعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر، وقيل: كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران ، وقيل: أكبرن بمعنى حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر، أو ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق

---

قوله:فيقع سكينهن على أيديهن:لأن المتكىء إذابهت لشيء وقعت يده على يده

قوله:فيبكتن: أي يلزمن الحجة ويبكتن من التبكيت وهو الإ سكا ن .

قوله:أويها ب يو سف: عطف على حتى 'يبتكن' والسكا كين بأيديهن .

قوله:متكأًطعا ماً: من قولك: ا تكا ء ناعند فلا ن طعمنا على سبيل الكنا ية ؛لأ ن من دعوته ليطعم عند ه ا تخذت له متكا ءً يتكيء عليه .

قوله: كأ ن القا طع يتكيء عليه: أي على الطعا م المقطو ع .

قوله:بإشباع الفتحة :أيفتحة الكا ف كمنتزاح بمعنى منتزج ونحوه' ينبا ع' بمعنى ينبع.

قوله:لأ نها تدخل فيالكبر با لحيض :أيتخرج عن حد الصغر وتدخل فيالكبر بسبب الحيض لعلا قة السببية ـ وفيه رد على من قا ل: إن الكبر بمعنى الحيض ليس بمعروف فياللغة .

قوله: والهاء ضمير للمصدر: لأ ن 'حضن' لا يتعدى إلى مفعول فكأ نه قا ل: أكبرن إكباراً كما في قو لهم: عبدالله أظنه منطلق أيأظن ظناًـ فا لها ء مفعول مطلقـ وقال صا حب الكشا ف: الها ء للسكتـ قيل: تحريك الها ء للسكت لحن، فكأ نه أجرى الوقف مجرى الوصل .

قوله:من شدةالشبق: فا ن المرأة إذا احتلمت واشتدت شهوتهاحا ضت .

كما قال المتنبى:

"خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت فى الخدور العواتق "

﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهًا له من صفات العجز وتعجبًا من قدرته على خلق مثله، وأصله 'حاشا' كما قرأ أبو عمرو فى الدرج فحذفت ألف الأخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك: سقيا لك، وقرئ 'حاشا الله' بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر، وقيل: حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحيةا لله مما يتوهم فيه ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا﴾ لأن الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في إعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال، وقرئ: بشر' بالرفع على لغة تميم، وبشرى أي بعبد مشترى لئيم ﴿ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ[٣١]﴾ فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة، أو لأن جماله فوق البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ، ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني، أو فهذا هوالذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار إليه ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ فامتنع طلبا للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على

---

قوله: خف الله: يقول خف من الله واسترجما لك ببرقع ترسله على وجهك، فإنك إذاأظهرت حا ضت الشواب في خدور هن عشقا لك.

قوله: وهو حرف يفيد معنى التنزيه في با ب الا ستثناء فوضع موضع التنزيه :يعني أن 'حا شا' حرف يفيد معنى التنزيه في باب الا ستثناء فو ضعه مو ضعه وتنزل منزلته فجاز الابتداء به. وفيه دفع لما قيل: إن 'حا شا' إذا كا ن حرف استثناء لا يبتدأ به الكلا م كما إذاكا ن حرف جرلا يبتدأ به الكلا م، ولا يضا ف إلى شيء .

قوله: واللا م للبيا ن :أي لبيا ن من يبرأ وينزه .

قوله: أي صا ر في نا حية الله تعالىٰ مما يتوهم فيه: أي يقترفه ولم يلا بسه وصا ر في عزلة عنه

قوله: فو ضع 'ذلك 'مو ضع 'هذا': يعني لم يقل 'فهذا' مع أنه حا ضر رفعاً لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به .

الانة عريكته ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ﴾ أى ما آمر به، فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري، فيكون الضمير ليوسف ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّٰغِرِينَ[٣٢]﴾ من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرًا وصغارًا والصغير من صغر بالضم صغرًا، وقرىء: ليكونن وهو يخالف خط المصحف، لأن النون كتبت فيه بالألف نسفعا على حكم الوقف، وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ﴾ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ أى أثر عندي من مؤاتاتها نظرًا إلى العاقبة وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه، وإسناد الدعوة إليهن جميعًا؛ لأنهن خوفنه من مخالفتها وزين لها مطاوعتها، أو دعونه إلى أنفسهن، وقيل: إنما ابتلي بالسجن لقوله: هذا، وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله -صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي﴾ وإن لم تصرف عني ﴿كَيْدَهُنَّ﴾ في تحبيب ذلك إليّ وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي، والصبوة الميل إلى الهوى، ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها وقرىء: أصب من الصبابة وهي الشوق ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ[٣٣]﴾ من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يملمون بما يعلمون فإنهم والجهال سواء

---

قوله: وقرىء 'ليكو نن' أي با لتشديد ـ وقد قرئ بالتخفيف أيضاً

قوله: أي آثر عندي: إشارة إلى دفع ما يقال: نزول السجن مشقة على النفس ومادعوته إليه لذة عظيمة، فكيف المشقة أحب إليه من اللذة .

قوله: ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر: روينا عن الترمذي عن معاذ سمع النبي ﷺ وهو يقول: اللهم إني أسئلك الصبر ـ قال: سا لت الله البلاء فاسأ له العافية .

قوله: لأن النفو س تستطيبها وتميل إليها: لطيب نسيمها ور واحها ـ والصبا ريح ومهبها المستوي أن تهب من مو ضع طلو ع الشمس إذا استوى الليل والنهار.

قوله: فا ن الحكيم لا يفعل القبيح: قا ل الجو هري: الحكيم العالم، وصا حب الحكمة الحكيم المتقن للأ مو ر .

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ فأجاب الله دعاء ه الذي تضمنه قوله: وإلا تصرف ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾لدعاء الملتجئين إليه ﴿الْعَلِيمُ[٣٤]﴾ بأحوالهم وما يصلحهم.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيٰتِ﴾ ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ[٣٥]﴾وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته على سجنه زما ناًحتى تبصر ما يكو ن منه ، أو يحسب النا س أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين، وقرء بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعني بلغة هذيل.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ أخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ يعنى الشرابي ﴿إِنِّىٓ أَرٰنِىٓ﴾ أي في المنام وهي حكاية حال ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْراً﴾ أي عنبا وسماه خمرًا باعتبارمايؤول إليه ﴿وَقَالَ الآخَرُ﴾ أي الخباز ﴿إِنِّىٓ أَرٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ تنهش منه ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ[٣٦]﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقٰنِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أى بتأويل ما قصصتما عليّ

---

قوله:فأجا ب الله دعا ء ه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف: لأ ن فيه معنى طلب الصرف والدعاء با للطف .

قوله:حتى تبصر ما يكو ن منه :وهو أن يذلّله السجن ويسخره لها .

قوله:أومن العا لمين: قا ل الجوهري: هو يحسن الشيء أي يعلمه .

قوله:أومن المحسنين إلى أهل السجن :رو ي أنه كا ن إذا مرض رجل منهم قا م عليه، وإذا ضا ق أوسع له، وإذا احتاج جمع له .

قوله:أي بتأ ويل ما قصصتما عليّ: فا لضمير ير جع إلى ما قصّا عليه، والضمير يجري مجرى اسم الإ شا رة في ذلك. فكأ نه قيل: نبئنا بتأويل ذلك، وذلك أن التأويل

أوبتأويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فإنه يشبه تفسير المشكل كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الطريق القويم قبل أن يسعف إلى ما سألاه منه كما هو طريقة الأنبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والإرشاد فقدم ما يكون معجزة له من الأخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا﴾ أي ذلك التأويل ﴿مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ بالإلهام والوحي وليس من قبيل التكهن أ والتنجيم ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ[٣٧]﴾ تعليل لما قبله أي علمني ذلك لأني تركت ملة أولئك

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة وإظهار أنه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ ما صح لنا معشر الأنبياء ﴿أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي شيء كان ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التوحيد ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ بالوحي ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ وعلى سائر الناس يبعثنا لإرشادهم وتثبيتهم عليه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ المبعوث إليهم ﴿لَا يَشْكُرُونَ[٣٨]﴾ هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وإنزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون إليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن

---

با لمذكو رإنما يكو ن في اسم الإ شا رة لا في الضمير، أو الضمير ير جع إلى الطعام ، ومعنى تأ ويل بيان ما هيته وكيفيته فيشبه بيا ن المجمل والمشكل الذي يحتا ج إلى تفصيله وكشفه. وذلك أن صا حبي السجن كا نا يعلمان على الإجما ل مايحمل إليهما من الطعام لكن ما هية ذلك وكيفيته لم تكن عند هم ذا بين فقد فسر المبهم .

قوله: كأ نه أراد أن يد عوهما إلى التوحيد: يعني أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويعرض عليهما الإ يما ن ويرشدهما الطريق القويم الذي هوالإ سلا م. قيل: ما سألا منه من التعبير والتأويل وهو قو له: يا صاحبي السجن الخ فقدم المعجزة التي هي الإ خبا ر بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة إلى التو حيد والتعبير عما سأ لا عنه .

قوله: أو كلا م مبتدأ: عطف على تعليل لما قبله، فا لتمهيد بقوله: إني تر كت، وقوله: واتبعت، إظهار أنه من بيت النبوة .

قوله: أي شي كا ن: صنماً أو غيره .

يكفر النعمة ولا يشكرها.

﴿يَٰصَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ أي يا ساكنيه أو يا صاحبي فيه فأضافهما إليه على الاتساع كقوله "يا سارق الليلة أهل الدار" ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ شتى متعددة متساوية الأقدام ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ المتوحد بالألوهية ﴿الْقَهَّارُ[٣٩]﴾الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾ خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر ﴿إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي إلا الأشياء باعتبار أسام أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها، فكأنكم لا تعبدون إلا ألاسماء المجردة ، والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية عقل ولا نقل آلهة، ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها﴿ إِنِ الْحُكْمُ﴾ ما الحكم في أمر العبادة ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾لأنه المستحق لها بالذات من حيث إنه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لأمره ﴿أَمَرَ﴾ على لسان أنبيائه ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾الذي دلت عليه الحجج ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الحق وأنتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية ، فإن استحقاق العبادة إما بالذات وإما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[٤٠]﴾ فيخبطون في جهالاتهم.

---

قوله:فأضافهما إليه على الاتساع كقوله: يا سارق الليلة أهل الدار: فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب. وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام .

قوله:على طريق الخطابة: وهو قوله:﴿ءأرباب متفرقون خيرأم الله الواحد القهار﴾وذلك كقولك أعليك حكام كثيرة متساوية خيرأم الحاكم الواحد الذي لا يماثله غيره

قوله:وكلا القسمين منتف عنها:أما الأول فظاهر. وأما الثاني فلأنهم يسمونها آلهة من غير مسمى .

قوله:لا يقتضي العقل غيره: لأنه يدل عليه الحجج بخلاف غيره .

﴿يٰصَاحِبَيِ السِّجۡنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ يعني الشرابي ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾ كما كان يسقيه قبل ويعود إلى ما كان عليه ﴿وَأَمَّا الۡاخَرُ﴾ يريد به الخباز ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ الطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾ فقالا كذبنا فقال ﴿قُضِيَ الۡأَمۡرُ الَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ[٤١]﴾ أي قطع الأمر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول إليه أمركما ولذلك وحده، فإنهما وإن استفتيا في أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ الظان يوسف إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين ﴿اذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ اذكر حالي عند الملك كي يخلصني ﴿فَأَنسَىٰهُ الشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ فأنسى الشرابي أن يذكره لربه فأضاف إليه المصدر لملابسته له أو على تقدير ذكر أخبار ربه أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: رحم الله أخي يوسف لو لم يقل: اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وإن كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ[٤٢]﴾البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع.

---

قوله:أيقطع الأ مر الذي تستفتيا ن فيه :وهوما يؤول إليه أمركما. المراد بأ مركما ما اتهما به من سم الملك وسجنا لأجله، وظنا أن مارأيا ه فيمعنى ما نزل بهما وبما يؤول إليه عا قبة ذلك الأ مر، فكأ نهما استفتيا فيالأ مرالذي نزل بهما، وهو سم الملك أعا قبته نجا ة أم هلا ك. فلذلك وحد الأ مر،لأ ن سم الملك أمر وا حد .

قوله:وإن ذكره عن وحي فهوالنا جي: أيفالظّانّ النا جي لا يو سف. لأ نه حينئذعلى يقين منه .

قوله:لملابسته له :فالإ ضا فة لأد نى ملا بسة. لأ ن الرب غير مذكور، وإنما الذكر'عنده' أو'له' .

قوله:أوعلى تقدير ذكرإخبا ر ربه:؟ لأ ن الإ خبا ر مذكو ر عند الرب، وإضا فة الإخبا ر من إضا فة المصدر إلى المفعول .

قوله:حتى استعان بغيره: وهو الشرا بى؛ لأ نه قا ل له: اذكر ني عند ربك .

قوله:سبعاً بعد الخمس :أكثرالأ قايل أنه لبث سبع سنين لا اثنا عشر. فيأول بأ ن المعنى سبعاً حاصلاً بعد خمس بأ ن كمل الخمس بإ ثنين فصا ر سبعاً.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ قد انعقد حبها ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ وسبعا آخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها، وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات وأجرى السمان على المميز دون المميز لأن التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجرداً عن الموصوف فإنه لبيان الجنس وقياسه عجف لأنه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لأنه نقيضه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ عبروها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ[٤٣]﴾ إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الإنتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرًا واللام للبيان أو لتقوية العامل، فإن الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل أو لتضمن 'تعبرون' معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا.

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أى هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وإنما جمعوا للمبالغة في

---

قوله:لمّادنا فرجه :أيفرج يوسف وخلاصه .

قوله:لأن التمييز بها: أيبالسماء- يعني أن المقصود إيقاع البقرات السمان تميزاً أيهذا النوع من البقرات، فلا بد من إيقاعه صفة ثم جعل المجموع تميزاً.

قوله:فإنه لبيان الجنس: يعني أن التمييز موضوع لبيان الجنس ولا يدل الصفة على الجنس- لأن الوصف لا يدل على الحقيقة، وإنما يدل على شيء ما متصف بشيء .

قوله:وقياسه عجف :لأنه جمع عجفاء -وفعلاء أفعل يجمع على 'فُعْلٌ' لا على 'فِعَالٌ' لكنه حمل على سمان؛ لأنه نقيضه، ومن دابهم حمل النظيرعلى النظير والنقيض على النقيض .

قوله: فاستعير للرؤيا الكاذبة: الجامع الاختلاط من غيرتمييز بين الجيد والرديء، ثم استعمل أضغاث فيموضع الأباطيل .

قوله:وإنما جمعوا:جواب سوال- وهو أن يقال: ما هوإلاحُلمٌ واحدٌ فلِم جمعوا وقالوا:أضغاث أحلام.

وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أو لتضمنه أشياء مختلفة ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ[٤٤]﴾ يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ من صاحبي السجن وهو الشرابي ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة :أي مدة طويلة، وقرىء إمة بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة، وأمه أي نسيان يقال: أمه يأمه أمهًا إذا نسي، والجملة اعتراض ومقول القول ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ[٤٥]﴾أي إلى من عنده علمه أو إلى السجن.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي فأرسل إلى يوسف ، فجاء وقال: يا يوسف، وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق؛ لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ أي في رؤيا ذلك ﴿لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أعود إلى الملك ومن عنده ، أو إلى أهل البلد؛ إذ قيل إن السجن لم يكن فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ[٤٦]﴾ تأويلها، أو فضلك ومكانك، وإنما لم يبت الكلام فيهما؛ لأنه لم يكن جازمًا بالرجوع ، فربما اخترم دونه ولا يعلمهم.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين، أو المصدر بإضمار فعله: أي تدأبون دأبا، وتكون الجملة حالاً، وقرأ حفص دأَبًا بفتح الهمزة، وكلاهما مصدر دأب في العمل، وقيل: تزرعون، أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾لئلا يأكله السوس وهو على الأول نصيحة خارجة عن العبارة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ[٤٧]﴾ في تلك السنين.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي يأكل أهلهن ما

---

قوله:فربما اخترم دونه: أي يموت بين يدي رجوعه إلى مثله- قال الجوهري: اخترمهم الدهر ونحرهم ،أي اقطعهم واستاصلهم .

قوله:مبالغة: أي للمبالغه في وجود المامور فيجعل كأنه موجود فأخبرعنه .

قوله:خارجة عن العبارة:أي عن عبارة الرويا وتعبيرها- وذلك أنه إذا كان الكلام الخبري تعبير الرويا، فالظاهر أن الإنشاء نصيحة بإيقاء ما تزرعون في سنبله لينتفعوا به في زمن القحط بخلاف ما إذا كان تزرعون أمراً ، فالظاهر أن جميع ذلك في تعبير الرويا .

ادّخـرتم لأجلهن، فأسند إليهن على المجاز تـطبيقا بين المعبر والمعبر به ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ[٤٨]﴾ تحرزون لبذور الزراعة.

﴿ثُـمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يمطرون من الغيث، أو يغاثون من القحط من الغوث ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ[٤٩]﴾ مـا يـعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار، وقيل: يـحـلبـون الـضـروع، وقـرأ حـمـزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي، وقرىء على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه، ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه: أي يغيثهم الله، ويغيث بـعـضهـم بعضا، أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض، أو بتـضمينه معنى المطر، وهـذه بشـارـة بشرهـم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مـخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع العجاف السمان نأكل ما جمع في السنيـن الـمـخـصبة فـي السـنيـن المجدبة، ولعله علم ذلك بالوحي، أو بأن انتهاء الجدب بالخصب، أو بأن السنة الآلهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم.

﴿وَقَـالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ﴾ بـعد ما جاء ه الرسول بالتعبير ﴿فَـلَمَّا جَآءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليـخرجه ﴿قَـالَ ارْجِـعْ إِلَـى رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ إنـما تأنى في الخروج، وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براء ة ساحته، ويعلم أنه سجن ظلمًا فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره، وفيه دليل على أنه ينبغى أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبثت لأسـرعت الإجابة، وإنما قال: فاسأله ما بال النسوة، ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث، وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به.

---

قـولـه: تطبيقه بين المعبروالمعبر به: المعبر هو قو له:﴿ يأكلهن سبع عجا ف﴾ والمعبر به﴿ يأكلهن سبع شداد﴾ فكماأسند الأكل إلى السبع العجا ف كذلك أسند إلى السبع الشداد.

قوله: من الغيث :قا ل الجو هري: الغيث ـ المطر،وقدغا ث الغيث الأرض إذا أصابتها

قوله: أو بتضمينه معنى المطر:أي ضمنت معنى مطرت فيعدي تعديته.

قـولـه:تهييجاً له على البحث وتحقيق الحا ل: يعني أن السوال مما يهيج الإ نسا ن ويـحـر كه للبحث عما سئل عنه، فأرادأن يورد عليه السوا ل عن حا لهن الذي هو المقصود ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة، وقيل: فاسأله، يحتمل أن يكون بمعنى المسئلة أي سله عن حقيقة شأ نهن وأن يكو ن بمعنى الطلب وهو أن يفتش عن شأ نهن فحين قيده.

كرما ومراعاة للأدب ، وقرىء النسوة بضم النون ﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ[ ٥٠]﴾ حين قلن لي: أطع مولاتك، وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه، وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ قال الملك لهن ما شأنكن، والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيه له، وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ من ذنب ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْـَٔنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ، قال:

فحصحص في صم الصفا ثفناته     وناء بسلمى نوأة ثم صمما

أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه، وقرىء على البناء للمفعول ﴿أَنَاْ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ الصَّٰدِقِينَ[ ٥١]﴾ في قوله: هي راودتني عن نفسي.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن: أي ذلك التثبت ليعلم العزيز ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه، وأنا غائب عنه ،أو وهو غائب عني، أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَآئِنِينَ[ ٥٢]﴾ لا ينفذه ولا يسدده ، أو لا يهدى الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة، وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لأمانته ولذلك عقبه بقوله ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ أي لا أنزهها تنبيهًا على أنه لم يرد بذلك

---

قوله: فحصحص في صم: الصم، جمع 'أصم' وهو الحجر المصمت الشد يد، والثفنات: جمع 'الثفنة' وهو ماولي الأرض من ذي الأ ربع إذا برك مثل الر كبتين والكلكل ـوناء الجمل أي أثقله ـ والتصميم المضي في الأ مرـ يقول: هذا البعير ألقى ثفناته، ثم قا م بسلمى وقصد السفر ومضى في السفر .

قوله: فأوقع الفعل على الكيد مبا لغة: أي مبا لغة في الخيا نة بمعنى أنهم با لغوا في الخيا نة با لكيد حتى خا نوا نفس الكيد كما في جدجده .

قوله: وتوكيد لأ ما نته: اذلوكا ن خا ئنا لما هدى الله كيده ولا سدده، ولأ جل التوكيد لأ ما نته عقبه بقوله: ﴿ وما أبرىء نفسي﴾ لأن توكيد أما نته وتقريرها يقتضي تنزيهها بهما فيحب إثبا ت الكيد ليو سف عليه السلا م ليظهر به أمانته ويند فع عنه الخيا نة التي نسبت إليه .

تزكية نفسه، والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق، وعن ابن عباس أنه لما قال ﴿ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ قال له جبريل ولا حين هممت، فقال: ذلك ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ﴾ من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ إلا وقت رحمة ربي، أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك، وقيل: الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة، وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف وأضرابه، وعن ابن كثير ونافع بالسوّ على قلب الهمزة واوًا ثم الادغام ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ[٥٣]﴾ يغفر همّ النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه، ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ أجعله خالصا لنفسى ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أي فلما أتو به فكلمه وشاهد من الرشد والدهاء ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ﴾ ذو مكانة ومنزلة﴿أَمِينٌ[٥٤]﴾ مؤتمن على كل شيء، روي أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابًا جددًا فلما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك من خيره، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ، ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية ، فقال الملك :ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها، فتعجب منه فقال: أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له بالبقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على

---

قوله: الآية حكاية قول راعيل :أي ذلك الذي قلت :وهوالآن حصحص الحق الخ ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة۔ فإني خنته حين قذفته وقلت:﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلّا أن يسجن﴾ وأودعته السجن، تريد الاعتذار مما كان منها، إن كل نفس لأماره بالسوء إلا نفساً رحمه الله بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام .

قوله:اجعله خالصاً لنفسي: أي خاصاً به .

قوله:والدهاء: أى جودة الرأى .

قوله:ونعت له بالبقرات والسنابل وأماكنها على ما رأها: من ألوأن البقرات وأحوالها وأماكنها وهيئات السنابل .

السرير وفوض إليه أمره، وقيل: توفي قطفير في تلك الليالى فنصبه منصبه وزوّج منه راعيل فوجدها عذراء، وولد له منها أفرائيتم وميشا.

﴿قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَآئِنِ الْأَرْضِ﴾ ولّني أمرها، والأرض أرض مصر ﴿إِنِّى حَفِيظٌ﴾ لها ممن لا يستحقها ﴿عَلِيمٌ[٥٥]﴾ بوجوه التصرف فيه، ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده، وفيه دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها، والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به، وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ﴾ في أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ينزل من بلادها حيث يهوي، وقرأ ابن كثير 'نشاء' بالنون ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[٥٦]﴾ بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ[٥٧]﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه. ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ روي أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات، وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشأم ونواحيهما وتوجه إليه الناس فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها، ثم بالحلي والجواهر، ثم بالدواب، ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا، ثم عرض الأمر على الملك فقال: الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم، وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه للميرة ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ[٥٨]﴾ أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه، وتوهمهم أنه هلك، وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله

---

قوله: فنصبه منصبه:أي نصب الملك يو سف منصب قطفيروزوج الملك من يو سف را عيل.

قوله:والتولي :أي وفيه دليل على جوازالتولي فلايتوجه ما يقال: كيف جا ز أن يتولى عملا من يد كا فرويكو ن تبعاً له وتحت أمره وطا عته .

قوله: بعد تهم: المراد به عدة السفرمن الزادوالراحلة وما يحتا ج إليه المسا فرون وما يحمل من بلدة إلى أخرى مما جاء وا لأجله من الميرة .

وأصل الجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها، وقرئ 'بجهازهم' بالكسر ﴿قَالَ ائْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ روي أنهم لما دخلوا عليه قال: من أنتم وما أمركم؟ لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله إنما نحن بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية فهلك، قال: فكم أنتم هٰهنا؟ قالوا: عشرة، قال: فأين الحادى عشر؟ قالوا: عند أبينا يتسلى به عن الهالك، قال: فمن يشهد لكم، قالوا: لا يعرفنا أحد هٰهنا، فيشهد لنا، قال: فدعو بعضكم عندي رهينة، وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم، فاقترعوا فأصابت شمعون، وقيل: كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسألوه حملا زائدًا لأخ لهم من أبيهم، فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى الْكَيْلَ﴾ أتمه ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ[٥٩]﴾ للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ[٦٠]﴾ ولا تدخلوا دياري، وهو إما نهي أو نفي معطوف على الجزاء.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ[٦١]﴾ ذلك لا نتواني فيه.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ لغلمانه الكيالين جمع فتى، وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على أنه جمع الكثرة ليوافق قوله ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ فإنه وكل بكل رحل واحد، يعني فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدمًا، وإنما فعل ذلك توسيعًا وتفضلاً عليهم وترفعًا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم، وخوفًا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ لعلهم يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها ﴿إِذَا انقَلَبُوا﴾

---

قوله: لعلكم عيون: جمع 'عين' وهي الجاسوس أي لعلكم جاسوسون تنظرون خلل بلادي

قوله: معطوف على الجزاء: يعني على كلا التقديرين معطوف على الجزاء داخل في حكمه، لكن على تقدير النهي جزمه لأجل النهي.

قوله: سنجتهد: يعني أن المراد بالمراودة الاجتهاد لأن المخادعة والاحتيال يستلزم الاجتهاد.

قوله: وأدماً: جمع 'أديم' مثل أفيق وأفق.

انصرفوا ورجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفتحوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[٦٢]﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ حكم بمنعه هذا إن لم نذهب ببنيامين ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ نرفع المانع من الكيل، ونكتل ما نحتاج إليه، وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ: أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[٦٣]﴾ من أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ وقد قلتم في يوسف ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظاً﴾ فالله خير حافظا فأتوكل عليه، وأفوض أمري إليه، وانتصاب حافظًا على التمييز، وحافظاعلى قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله:'لله دره فارسا' وقرىء'خير حافظ وخير الحافظين ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[٦٤]﴾ فأرجوا أن يرحمني بحفظه، ولا يجمع عليّ مصيبتين.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾وقرىء 'ردت' بنقل كسرة الدال المدغمة إلى الراء نقلها في بيع وقيل ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا أو لا نطلب وراء ذلك إحسانا أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه، وقرىء'ما تبغي' على الخطاب أي أي شيء تطلب وراء هذامن الإحسان، أو من الدليل على صدقنا ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ استئناف موضح لقوله'ما نبغي' ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ معطوف على محذوف أي ردت إلينا

---

قوله:لعل معرفتهم تدعوهم إلى الرجوع : لأن التفضل أدعى إلى الرجوع .

قوله:نرفع المانع :يعني أن المراد رفع المانع من الكيل والاكتيال بما يحتاج إلا أن المقصود لما كان هوالاكتيال ذكر ذلك. وذلك أن يوسف عليه السلام لما علق المنع عن الكيل بعدم إتيان أخيهم فيقوله:﴿ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى﴾ كان الارسال رفعاً للمانع، وكان جواباً للأمر أيضاً .

قوله:أولا نبغي فيالقول: هذا على تفسير البغي بمعنى الكذب، وعلى أن يكون كلمة 'ما' نافية، على الأول يكون البغي بمعنى الطلب. وكلمة 'ما' للاستفهام. وعلى الوجه الثاني يكون كلمة 'ما' للنفي،والبغي بمعنى الطلب .

قوله:﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: أي نجلب لهم الميرة وهو طعام يحمل من غير بلدك .

فنستظهر بها، ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾ وسق بعير باستصحاب أخينا هذا إذا كانت 'ما' استفهامية فأما إذا كانت نافية احتمل ذلك، واحتمل أن تكون الجمل معطوفة على 'مانبغى' أي لا نبغي فيما نقول:'ونمير أهلنا ونحفظ أخانا'﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ[٦٥]﴾ أي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، ويجوز أن تكون الإشارة إلى كيل بعير أي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك، ولا يتعاظمه، وقيل: إنه من كلام يعقوب، ومعناه إن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد.

﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ﴾ إذ رأيت منكم ما رأيت ﴿حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي عهدا مؤكدا بذكر الله ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ جواب القسم؛ إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾ إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك، أو إلا أن تهلكوا جميعًا، وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال، والتقدير لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم، أو من أعم العلل على أن قوله لتأتنني به في تأويل النفي أي لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم: أقسمت بالله إلا فعلت أي ما أطلب إلا فعلك ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ عهدهم ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من طلب الموثق

---

قوله:هذا إذا كا نت كلمة 'ما' استفها مية: يعني إذا كا نت كلمة 'ما' للا ستفها م ويحمل ﴿ما نبغي﴾ على معنى المشورة والرأى ويكو ن ﴿هذه بضاعتنا﴾ جملة مؤ كدة على سبيل الا عترض والتذييل يصح عطف كل من الجمل على ﴿هذه بضا عتنا﴾ لأ ن المراد بقوله:﴿ هذه بضا عتنا﴾ العرض وما يرجعون به إلى طلب الميرة ـ وأما إذا كا نت كلمة 'ما' نا فية: و'نبغى' بمعنى الطلب احتمل ذلك ،إذ لا فرق بين المعنيين .وأما إذا كا ن 'ما نبغي' بمعنى 'لا نكذب ولا نزيد في القول' يكو ن ﴿هذه بضا عتنا ردت إلينا﴾ بياناً لقوله ﴿ما نبغي﴾ لكن ﴿نمير أهلنا ونحفظ أخانا﴾ لا يصلح أن يكو ن بيا ناً له ـ فلا يجوز العطف عليه ـ وحينئذ يكو ن معطو فاً على ﴿ما نبغي﴾ .

قو له: أي عهداً مؤ كداً بذكر الله: وهوأن تحلفوا با لله، وإنما جعل الحلف بالله موثقاً به،لأن الحلف مما يؤ كد به العهود ويسدد .

قوله: أومن أعم العلل: أي لا تمتعون لعلة من العلل إلا لعلة واحدة هي هذه .

قوله: كقو لهم أقسمت با لله: التمثيل به في الإ تيا ن المتأول با لنفي.

وإتيانه﴿وَكِيلٌ[٦٦]﴾ رقيب مطلع.

﴿وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا، ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى ؛لأنهم كانوا مجهولين حينئذ، أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين ، وللنفس آثار منها العين، والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته: اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامّة ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ مما قضي عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر لا يمنع القدر ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يصيبكم لا محالة إن قضي عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ[٦٧]﴾ جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب ؛فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم.

---

قوله:رقيب مطلع: أي توكل عليه فيحا فظ على عهدهم ووفا ئهم به، قا ل بعض المفسرين في قول يعقوب:﴿لن أرسله معكم﴾ دليل على أن التعلق با لأ سبا ب الظا هرة جا ئز مع صحة التوكل .

قوله:مشتهرين في مصر با لقربة والكرا مة عند الملك فخا ف: فكانوامظنة لطموح الأ بصار إليهم من بين الوفود وأن يشا رإليهم بالأ صا بع ويقال: هؤلا ء أضياف الملو ك ـانظروا إليهم ما أحسنهم من فتيا ن وما أحقهم بالإ كرام لأ مرما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوا فدين عليه، فخا ف عليهم أن يدخلوا كوكبة وا حدة فيصابوا با لعين بسبب جما لهم وجلا لة أمرهم في الصدور، قا ل الجو هري: عِنت الرجل: اصبته بعيني، فأنا عاين، وهو معين على النقص ، ومعيو ن على التما م ـ وقال في القا مو س:العين اللامة المصيبة بسوء .

قوله:﴿وما أغنى عنكم من الله من شيء﴾ أي ما أنفعكم شيئا من قضاء الله ـ قا ل الجو هري:يقال: ما يغني عنك هذا أي ما يجزىء عنك وما ينفعك.

قوله:بما أشرت به إليكم: من التفرق .

قوله:كا ن الواوللعطف والفا ء لإ فا دة التسبيب: يعنى جمع بين الحرفين لإ فا دة معنيين لالإفادة معنى هو العطف حتى يلزم الحشو .

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي من أبواب متفرقة في البلد ﴿مَّا كَانَ يُغْنِيْ عَنْهُم﴾ رأى يعقوب واتباعهم له ﴿مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ﴾ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب ﴿إِلَّا حَاجَةً فِيْ نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾ استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من أن يعانوا ﴿قَضَاهَا﴾ أظهرها ووصى بها ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ بالوحي ونصب الحجج، ولذلك قال: وما أغنى عنكم من الله من شيء ولم يغتز بتدبيره ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ[٦٨]﴾ سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضم إليه بنيامين على الطعام، أو في المنزل، روي أنه أضافه فأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدًا فبكى، وقال: لوكان أخي يوسف حيًا لجلس معي فأجلسه معه على مائدته، ثم قال: لينزل كل اثنين منكم بيتًا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده، وقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك ،قال: من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف، وقام إليه وعانقه و ﴿قَالَ إِنِّيْ أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ، افتعال من البؤس ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[٦٩]﴾ في حقنا فيما مضى.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ المشربة ﴿فِيْ رَحْلِ أَخِيهِ﴾ قيل: كانت مشربة جعلت صاعا يكال به، وقيل: كانت تسقى الدواب بها ويكال بها، وكانت من فضة، وقيل من ذهب صاعًا، وقرىء وجعل على حذف جواب فلما، تقديره :أمهلهم حتى انطلقوا ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ[٧٠]﴾ لعله لم يقله بأمر يوسف عليه الصلاة والسلام، أو كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين ، وقيل: معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه، أو أئنكم لسارقون ، والعير القافلة، وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تتردد، فقيل لأصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام: يا خيل الله

---

قوله: لعله لم يقله بأ مر يوسف عليه الصلاة والسلام :لأ نه افتراء، فكيف يأ مر به يوسف،أولأ نه برضا بنيا مين ولا يكو ن معصية له۔ قيل: هذا التوجيه يرد عليه ؛لأن قوله:﴿إنكم لسا رقون﴾ صيغة جمع فلا يكفي رضا بنيا مين وحده۔وأيضاً يرد على هذا التوجيه أن بهذا التوجيه يندفع معصية لكن لا يندفع معصية الله۔لأ ن الكذب منهي عنه .

اركبي، وقيل: جمع عير، وأصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة

الحمير ثم استعير لكل قافلة.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ[٧١]﴾ أي شيء ضاع منكم ، والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه، وقرىء ' تفقدون' من أفقدته إذا وجدته فقيدا.

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ وقرىء صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين و صواغ من الصياغة ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام جعلا له ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ[٧٢]﴾ كفيل أؤديه إلى من رده ، وفيه دليل على جواز الجعالة، وضمان الجعل قبل تمام العمل.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب التاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ[٧٣]﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ، ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعًا أو طعامًا لأحد.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُ﴾ فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ[٧٤]﴾ في ادّعاء البراءة.

﴿قَالُوا جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه، هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام، وقوله 'فهو جزاؤه' تقرير للحكم وإلزام له، أو خبر من ، والفاء لتضمنها معنى الشرط، أو جواب لها على أنها شرطية، والجملة كما هي خبر جزاؤه على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير، كأنه قيل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ[٧٥]﴾ بالسرقة.

---

قوله: فعل به ما فعل ببيض ـقال الجوهري : جمع الأبيض ، وأصله بُيض بضم الباء وإنماأبدلوا من الضمة كسرة ليَصح الياء .

قوله:بالفتح والضم :أي بفتح الصاد وضمها .

قوله:والعين والغين: أي المعجمة وغير المعجمة .

قوله:قسم فيه معنى التعجب :المعنى ماأعجب حالكم أنتم تعلمون علماً جلياً لاريب فيه لما شهدتم من حالنا، إننا بريئون مما تضيفون إلينا، ثم تنسبونه إلينا .

قوله:وكعم الدواب :الكعام شيء يجعل في فم الدابة، والكعم جعله فيه .

قوله:أوالصواع على حذف المضاف: أي سرقته .

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾ فبدأ المؤذن ، وقيل :يوسف؛ لأنهم ردوا إلى مصر ﴿قَبۡلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ بنيامين نفيًا للتهمة ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾ أي السقاية أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ وقرىء بضم الواو وبقلبها همزة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الكيد ﴿كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ملك مصر ؛لأن دينه الضرب، وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك ، فالاستثناء من أعم الأحوال، ويجوز أن يكون منقطعًا أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾بالعلم كما رفعنا درجته ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ[٧٦]﴾ أرفع درجة منه، واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته إذ لوكان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه، والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق ؛لأن الكلام فيهم، ولأن العليم هو الله سبحانه وتعالى ، ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ، ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم، وهو مخصوص.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾ بنيامين﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ يعنون يوسف، قيل: ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم عليه السلام ، وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها

---

قوله:وبقلبها همزة :أي إعاء أخيه .

قوله:﴿كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ بأن علّمناه إياه وأوحينا به إليه: الكيد المكروالخديعة وهو أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه، وهو في حق الله محمول على التمثيل. فكأن صنع الله تعالىٰ في تعليمه يوسف أن لا يحكم على إخوته حكم الملك بأن يغرم السارق مثل ماأخذه بل يجري عليهم الحكم على سنن مذهبهم بأن يستعبد السارق. شبه صورة من يوهم الغير خلاف ما يخفيه؛ لأن المقصود إيواء أخيه إليه، وكان لا يتم إلا بهذه الحيلة .

قوله:إذلوكان ذا علم :أي لوكان تعالىٰ ذا علم لكان من جملة ذوي علم، وفوق كل ذي علم عليم، فكان فوقه عليم أيضاً، فيكون عالماً بالذات لا بصفة زائدة .

قوله:وهومخصوص: بالخلق أي كل العلماء المخلوقين فكذا هذا .

قوله:فشدت المنطقة: أي فأرادت أن لا ينزعه منها فشدت المنطقة في وسطه تحت ثيابه ،ثم أظهرت ضياعها، وقالت فقدتها فتفحص عنها فوجدت محزومة: أي مشدودة عليه فصارت أحق به كما في حكم آل إبراهيم أن جزاء السرقة أخذ السارق.

فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم، وقيل: كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره وألقاه في الجيف، وقيل: كان في البيت عناق أو دجاجة فأعطاها السائل، وقيل: دخل كنيسة وأخذ تمثيلا صغيرا من الذهب ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ أكنها ولم يظهرها لهم والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة وقيل: إنها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ فإنه بدل من أسرها، والمعنى قال في نفسه: أنتم شر مكانًا أي منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع مما كنتم عليه، وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة ، وفيه نظر؛ إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير الشأن ﴿وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ[٧٧]﴾ وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون.

﴿ قَالُواْ يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً﴾ أي في السن أو القدر، ذكروا له حاله استعطافًا له عليه ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ بدله فإن أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ[٧٨]﴾ إلينا فأتمم إحسانك، أو من المتعودين بالإحسان فلا تغير عادتك

﴿قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ فإن أخذ غيره ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه ﴿إِنَّـا إِذاً لَّظَالِمُونَ[٧٩]﴾ في مذهبكم هذا وإن مراده إن الله أذن أن آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه، فلوأخذت غيره كنت ظالمًا.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ يئسوا من يوسف وإجابته إياهم زيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي: استياسوا بالألف من غير همز، وإذا وقف حمزة ألقى حركة الهمزة على الياء على أصله ﴿خَلَصُواْ ﴾ انفردوا واعتزلوا ﴿نَجِيّاً ﴾ متناجين، وإنما وحده: لأنه مصدر أو بزنته كما قيل

---

قوله: والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة إليه: أي لم يقل: أنا يوسف وماسرقت قط، فلم كذبتم إرادة التوبيخ .

قوله: أوفي سوء الصنيع: من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم .

قوله: وزيادة السين والتاء للمبالغة: أي في اليأس- لأن السين للطلب والتاء للتكلف فلا بد من رعاية معناهما .

قوله: وإنما وحده لأنه مصدر أو بزنة المصدر: يعني إنما وحد مع أنه محمول على الجماعة - إما لأنه مصدر بمعنى التناجي جعل بمنزلة الوصف كما تقول قوم رضى، وإنما الرضى فعلهم، يجعل المصدر بمنزلة الوصف، والمصدر جنس يحمل على القليل والكثير، وإما لأنه بمعنى الوصف منه ، فلما كان على زنة المصادر عومل معاملة المصدر كما يقال: هم صديق .

هم صديق وجمعه أنجية كندية وأندية ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن، وهو روبيل، أو في الرأى وهو شمعون، وقيل يهوذا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ﴾ عهدًا وثيقًا وإنما جعل لفهم بالله موثقا منه لأنه بإذن منه، وتأكيد من جهته ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ ومن قبل هذا ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ قصرتم في شأنه، و ما مزيدة، ويجوز أن تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا، ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف، أو على اسم أن وخبره 'في يوسف' أو 'من قبل' أو الرفع بالإبتداء والخبر من قبل، وفيه نظر، لأن قبل إذا كان خبرًا أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص، وأن تكون موصولة أي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتوه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ فلن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرجوع ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ أويقضي لي بالخروج منها أو بخلاص أخي منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه، وروي أنهم كلموا العزيز في إطلاقه فقال روبيل: أيها الملك والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة تضع منها الحوامل، ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه، فقال يوسف عليه السلام لابنه: قم إلى جنبه فمسّه، وكان بنو يعقوب عليه السلام إذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه، فقال روبيل: من هذا، إن في هذا البلد لنورًا من نور يعقوب ﴿وَهُوَ خَيْرُ

---

قوله:وإنما جعل حلفهم با لله موثقا منه: يعني أن الموثق كا ن من يعقوب عليه السلا م وجعله من الله؛ لأ نه كا ن بإذن من الله فكأ نه منه، أولأ ن المقصود من الحلف با لله التأكيد وهو نا ش من ذكر الله .

قوله:بالعطف على مفعول 'تعلموا': أي ألم تعلموا تفريطكم في يو سف .

قوله:لأ ن 'قبل' إذا كا ن خبراً أوصلة لا يقطع عن الإ ضا فة حتى لا ينقص: يعني أن الخبر متمم للمبتدأ والصلة متمم للموصول ولا يقطع الظرف المقطوع عن الإضا فة لئلايبقى نا قصة فلا يتمم غيره.

قوله: بمعنى ما قد متمو ه في حقه من الخيا نة: يعني على تقدير المو صول يكو ن 'ما فرطتم' بمعنى 'ماقدمتموه' لابمعنى 'ماقصرتمو ه' من فرط بمعنى سلف؛ لأن ما فعلوا من الخيا نة كا نت عظيمة لاتقصير فيها.

قوله:في الرجو ع: إليه بأن يدعو ني إليه .

قوله:أو بخلا ص أخي منهم: بسبب من الأ سبا ب .

﴿الْحَٰكِمِينَ[٨٠]﴾ لأن حكمه لا يكون إلا بالحق.

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ على ما شاهدناه من ظاهر الأمر وقرىء 'سرق' أي نسب إلى السرقة ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ بأن رأينا أن الصواع استخرج من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لباطن الحال ﴿حَافِظِينَ[٨١]﴾ فلا ندري أنه سرق الصواع في رحله ، أو وما كنا للعواقب عالمين فلم ندرحين أعطيناك الموثق أنه سيسرق، أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعنون مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى أرسل إلى أهلها واسألهم عنا لقصة ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وأصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ[٨٢]﴾ تأكيد في محل القسم.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي فلما رجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم قال: بل سولت أي سولت وسهلت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه فقد رتموه وإلا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ بيوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي وحالهم ﴿الْحَكِيمُ[٨٣]﴾ في تدبيرهما.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي يا أسفا تعال، فهذا أوانك، والأسف أشد الحزن والحسرة ، والألف بدل من ياء المتكلم، وإنما تاسف على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما؛ لأن رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه؛ ولأنه كان واثقًا بحياتهما دون حياته، وفي الحديث لم تعط أمة من الأمم ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ عند المصيبة إلا أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا ترى إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفى ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادهما، وقيل: ضعف بصره، وقيل عمي، وقرىء من الحزن ، وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ، ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك

---

قوله:فماأدرى الملك :أي فكيف أدرى الملك ذلك وهو في شرعنا لا في شرعه ـ

قوله:وإنما تأسف: جواب سوال، وهو أن يقال: كيف تأ سف على يو سف دون أخويه مع أن الرزء الأحدث أشد على النفس وأظهر تاثيراً.

نفسه عند الشدائد، ولقد بكى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ولده إبراهيم، وقال: القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ[٨٤]﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى ﴿وهو مكظوم﴾ من كظم السقاء إذا شده على ملئه، أو بمعنى فاعل كقوله: والكاظمين الغيظ 'من كظم الغيظ إذا اجترعه' وأصله كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه.

﴿ قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ أي لا تفتأ ولا تزال تذكرة تفجعًا عليه فحذف لا كما قوله "فقلت يمين الله أبرح قاعدا "لأنه لا يلتبس بالإثبات فإن القسم إذا لم يكن معه علامات الإثبات كان على النفي ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً﴾ مريضًا مشفيًا على الهلاك، وقيل: الحرض الذي أذابه هم أو مرض وهو في الأصل مصدر؛ ولذلك لا يؤنث ولا يجمع، والنعت بالكسر كدنف ودنف، وقد قرىء به وبضمتين كجنب ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَٰلِكِينَ[٨٥]﴾من الميتين.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِىٓ ﴾ همي الذي لا أقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى أحد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من صنعه ورحمته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجىء إليه، أو من الله بنوع من الإلهام ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ[٨٦]﴾ من حياة يوسف، قيل: رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال: هوحي، وقيل: علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخر له إخوته سجدًا.

﴿يَٰبَنِىَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الإحساس ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ ولا تقنطوا من فرجه

---

قوله:فقلت يمين الله:أوله.ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي ـ الأوصال جمع وصل بكسر الواو وهو المفصل، قيل:إن امرء القيس سرى إلى ليلى ابنة قيصر فقالت له: تريد أن تفضحني، ألست ترى السماء والرقباء راقدين حولي؟ فقال مجيباً لها:لا أبرح حتى آتيك وأقضي منك حاجتي ولو قطعت إرباً أرباً .

قوله:علامة الإثبات: من اللام وأن والنون .

قوله:﴿بَثِّي﴾ البث أصعب الهمّ الذي لا يصبرعليه صاحبه، فيبثه إلى الناس أي ينشر.

قوله:طلب الاحساس: وهو المعرفة .

وتنفيسه وقرىء 'من روح الله' أى من رحمته التي يحيا بها العباد ﴿إِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ[٨٧]﴾ بالله وصفاته، فإن العارف المؤمن لا يقنط من رحمته في شيء من الأحوال.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰأَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ بعدما رجعوا إلى مصر رجعة ثانية ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾شدة الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته إذا دفعته ، ومنه تزجية الزمان، قيل: كانت دراهم زيوفا، وقيل: صوفًا وسمنًا، وقيل: الصنوبر والحبة الخضراء ، وقيل :الأقط وسويق المقل ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾فأتم لنا الكيل ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ برد أخينا أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها، واختلف في أن حرمة الصدقة تعم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو تختص بنبينا - صلى الله عليه وسلم - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ[٨٨]﴾أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقًا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر: هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته، لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾أي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم بأخيه إفراده عن يوسف وإذلاله حتى لا يستطيع أن يكلمهم إلا بعجز وذلة ﴿ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ[٨٩]﴾ قبحه فلذلك أقدمتم عليه أو عاقبته وإنما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضًا على

---

قوله:من فرجه وتنفسه :قال الجوهري: الفرج من الغم بالتحريك، فرج الله عنك غمك تفريجاً، ونفس الله عنه كربته يفرجها .

قوله:أي من رحمته التي يحيي بها العباد: فيكون الروح مجازاً عن الرحمة والعلاقة كونه سبباً للحياة كما أن الروح سبب للحياة.

قوله:واختلف في أن حرمة الصدقة تعم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :فمن قال بعموم حرمتها أوّل بهذه التاويلات،ومن قال بعدم عمومها وخصوصها بنبيناﷺ لم يأول بها وقال: إن الصدقات كانت حلالاً لهم فطلبوا إليه أن يتصدق عليهم .

قوله:وإنما قال ذلك تنصيحاً: والمعنى هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه؛ لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يدعو إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم ونصيحة لهم ، والباعث عليه مارأى من عجزهم وتمسكنهم لا تثريبًا عليهم، لأن المقام مقام تشفي الغيظ والشفقة .

التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاقبةً وتثريبًا ، وقيل: أعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو في من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك، وإنما جهلهم ؛لأن فعلهم كان فعل الجهال ، أو لأنهم كانوا حينئذ صبيانًا شياطين.

﴿قَالُواءَ إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ استفهام تقرير ولذلك حقق بأن ودخول اللام عليه، وقرأ ابن كثير على الإيجاب، قيل: عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به، وقيل: تبسم فعرفوه بثناياه، وقيل: رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ من أبي وأمي ذكره تعريفًا لنفسه به وتفخيماً لشأنه وإدخالا له في قوله ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي بالسلامة والكرامة ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ أي يتق الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البليات، أو على الطاعات وعن المعاصى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[٩٠]﴾ وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة ﴿وَإِن كُنَّا لَخَطِئِينَ[٩١]﴾ والحال أن شأننا أنا كنا مذنبين بما فعلنا معك.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ لا تأنيب عليكم، تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للإزالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه ﴿الْيَوْمَ﴾ متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا أثربكم

---

قوله:فقال لهم ذلك :تثريبًا؛ لأ نه عليه السلا م لا يتمالك صبره وأعجزه الصبر حين ذكروا ما في الكتاب من حزن يعقوب عليه السلام على فقد يوسف عليه السلام.

قوله: ذكره تعريفا لنفسه :جواب سوال. وهوأن يقال: إنهم إنما استفهموا عنه فلا حا جة إلى ذكرأخيه، أجا ب بأنه إنما ذكره تعريفًا لنفسه؛ لأن فيذكره يتبين أنه يو سف بن يعقوب الذي فقده

قوله: ﴿مَنْ يَتَّقِ﴾: أي يخف الله .

قوله:للإزالة: هوأصل الفعل كا لتجليد، فا ستعير للتقريع لما فيه من تمزيق العرض وإزالته.

قوله: متعلق بالتثريب: رد عليه بأ نه حينئذ يكو ن مشابهًا للمضا ف، فكيف يبنى على الفتح .

قوله:أوبالمقدر للجار الواقع خبرًاللا تثريب:وهو'عليكم' والمقدرهوالا ستقراء .

اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الأيام أو بقبوله ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ لأنه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ[٩٢]﴾فإنه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ، ومن كرم يوسف عليه الصلاة والسلام أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا:إنك تدعونا بالبكرة والعشي إلى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال: إن أهل مصر كا نوا ينظرون إليّ با لعين الأولى ويقولون: سبحا ن من بلغ عبداً بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم اخوتي وأني من حفدة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ القميص الذي كان عليه، وقيل: القميص المتوارث الذي كان في التعويذ ﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾ أي يرجع بصيرا أي ذا بصر ﴿وَأۡتُونِي﴾ أنتم وأبى ﴿بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ[٩٣]﴾بنسائكم وذراريكم ومواليكم.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ من مصر وخرجت من عمرانها ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ لمن حضره﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل به عليه يهوذا من ثمانين فرسخا﴿لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ[٩٤]﴾ تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ، ولذلك لا يقال: عجوز مفندة ؛لأن نقصان عقلها ذاتى ، وجواب 'لولا' محذوف، تقديره لصدقتموني أو لقلت إنه قريب.

﴿قَالُواْ﴾ أي الحاضرون ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ[٩٥]﴾ لفي ذهابك عن الصواب قدما بالإفراط فيمحبة يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقائه.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ﴾يهوذا، روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه بحمل هذا إليه ﴿أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾ عاد بصيرًا لما انتعش فيه من القوة ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ[٩٦]﴾من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام

---

قوله:القميص المتوارث الذي كا ن فيالتعويذ: وكا ن من الجنة أمره جبرئيل عليه السلا م أن ير سله إليه، فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عو في.

قوله: أوجده الله ريح ما عبق من قميصه: أيجعله الله واجدًا ما لزق بقميصه، قال الجو هري : أوجده مطلوبه،أيأظفره وعبق الطيب به با لكسر لزق به عبقا وعبا قة .

قوله: بإلافراط في محبة يوسف: متعلق بذهابك و'قدمًا' حا ل منه.

وإنزال الفرح ، وقيل: إني أعلم' كلام مبتدأ والمقول :ولا تيأسوا من روح الله ،أوأني لأجد ريح يوسف.

﴿قَالُواْ يَٰأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَٰطِئِينَ[٩٧]﴾ ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ[٩٨]﴾ أخره إلى السحر، أو إلى صلاة الليل، أو إلى ليلة الجمعة تحريًا لوقت الإجابة، أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم، فإن عفو المظلوم شرط المغفرة، ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائمًا يدعو، وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل، وقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة ، وهو إن صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾روي أنه وجه إليه رواحل وأموالًا ليتجهز إليه بمن معه استقبله يوسف والملك بأهل مصر، وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة، وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذرية والهرمى ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الأم تنزيل العم منزلة الأب في قوله تعالى:﴿وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾[البقرة:١٣٣]أو لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام تزوجها بعد أمه والرابة تدعى أمًا ﴿وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ[٩٩]﴾ من القحط وأصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول، الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم.﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ تحية وتكرمة له فإن السجود كان

---

قوله: وكا نوا حين خر جوا مع مو سى: أي من مصر في زمن فر عون .

قوله:والرابة :الرابة زوجة الأ ب .

قوله: والمشية متعلقة بالدخول المكيف با لأ من: لأن القصد إلى اتصافهم بالأ من في دخولهم فكأ نه قيل: أسلموا وآمنوا في دخولكم انشاء الله- ونظيره قولك للغا زي: ارجع سالمًا غانمًا إن شاء الله، فلا تعلق المشية با لرجوع مطلقًا بل مقيداً بالسلا مة والغنيمة مكيفاً بهما.

قوله:فإن السجود كان عندهم يجري مجراها: أي مجرى التحية والتكرمة- قا ل الزجاج: سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم فأعطى الله هذه الأ مة السلا م تحية أهل الجنة .

عندهم يجري مجراها وقيل: معناه خروا لأجله سجدًا لله شكرًا، وقيل: الضمير لله تعالى والواو لأبويه وإخوته والرفع مؤخر عن الخرور وإن قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ التي رأيتها أيام الصبا ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ صدقا ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ ولم يذكر الجبّ لئلا يكون تثريبًا عليهم ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ من البادية لأنهم كانوا أصحاب المواشي وأهل البدو ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ أفسد بيننا وحرش من نزغ الرابض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ لطيف التدبير له إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته، ويتسهل دونها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بوجود المصالح والتدابير ﴿ٱلۡحَكِيمُ[١٠٠]﴾ الذي يفعل كل شيء في وقته، وعلى و جه يقتضي الحكمة، روي أن يوسف طاف بأبيه عليهما الصلاة والسلام في خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال: يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال: أمرني جبريل عليه السلام، قال: أو ما تسأله، قال: أنت أبسط مني إليه فاسأله فقال جبريل: الله أمرني بذلك لقولك ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ قال فهلا خفتني.

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ بعض الملك وهو ملك مصر ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ الكتب أو الرؤيا ومن أيضا للبغيض لأنه لم يؤت كل التأويل ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مبدعهما وانتصابه على أنه صفة المنادى أو منادى برأسه ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ ناصري ومتولي أمري ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾ اقبضني ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ[١٠١]﴾ من آبائي أو بعامة الصاحلين في الرتبة والكرامة، روي أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعا وعشرين سنة، ثم توفي وأوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه فذهب به ودفنه ثمة، ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ،ثم تاقت نفسه

---

قوله: خرّوا لأجله سُجّداً لله تعالىٰ شكراً: أي شكرًا له تعالىٰ لأجل يو سف؛ لما أنه نعمة عظيمة في حق أبويه وكذا في حق الإخوة دفع عنهم بلاء القحط والجوع فلا يتجه ما قيل :إن في هذا الوجه بنوة؛ لأن السجدة تكرمة له .

قوله: لأ نهم كانوا أصحاب الموا شي وأهل البدو: ينتقلون في المياء والمناجع .

قوله: يقتضي الحكمة :أي يقتضي الحكمة فعل ذلك الشيء في ذلك الوقت وعلى ذلك الوجه .

إلـى الـملك الـمـخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر في مدفنه حتى هـمـوا بـالقتال فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعا فيه ثـم نقله موسى عليها الصلاة والسلام إلى مدفن آبائه وكـان عـمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيتم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليهاا لصلاة والسلام.

﴿ذَٰلِكَ﴾إشـارـة إلى ما ذكر من نبأ يوسف عليهاا لصلاة والسلام، والخطاب فيه للرسول ـ صـلى الله عليه وسلم ـ وهو مبتدأ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبران له﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ[١٠٢]﴾كالدليل عليهما، والمعنى أن هذا النبأ غيـب لـم تعرفه إلا بالوحي؛ لأنك لم تحضر إخوة يوسف حين عزموا على ما هم به من أن يـجعلوه في غيابة الجب، وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم، ومن المعلوم الذي لا يخفى عـلى مكذبيك إنك ما لقيت أحدًا سمع ذلك فتعلمته منه، وإنما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله: ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ ﴾عـلى إيمـانهـم وبـالـغت في إظهار الآيات عليهم﴿بِمُؤْمِنِينَ[١٠٣]﴾ لعنادهم وتصميمهم على الكفر.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ على الإنباء أو القرآن ﴿ مِنْ أَجْرٍ﴾من جعل كما يفعله حملة الإخبار﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة من الله تعالى﴿لِّلْعَٰلَمِينَ[١٠٤]﴾ عامة.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ وكـم مـن آية ، والـمـعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده﴿ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على الآيات ويشاهدونها﴿ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ[١٠٥]﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها، وقرىء:والأرض بالرفع على أنه مبتدأ خبره يمرون، فيكون لها الضمير في'عليها' وبالنصب عـلى ويـطئون الأرض، وقرىء:والأرض يمشون عليها أي يتـرددون فيـه فيرون آثار الأمم الهالكة. ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ ﴾في إقـراراهـم بـوجـوده وخـالقيتـه ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ[١٠٦]﴾بعبادة غيره أو باتخاذ الأحبار أربابا، ونسبة التبني إليه ،

---

قـولـه:ليـكـون شـرعـاً فيه: أي سواء فيه ويصل بركته إليه ـ قا ل الجو هري:النا س في هذا شرعًا أي سواء يحرك ويسكن ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

قوله:وإنما حذف هذا الشق :وهو قوله: ومن المعلو م الخ .

أوالقول بالنور والظلمة أو النظر إلى الأسباب ونحو ذلك، وقيل: الآية في مشركي مكة، وقيل: في المنافقين، وقيل: في أهل الكتاب.

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾فجأة من غير سابقة علامة﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ[١٠٧]﴾بإتيانها غير مستعدين لها.

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾ يعني الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد، ولذلك فسر السبيل بقوله ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾وقيل: هو حال الياء﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء﴿أَنَا﴾ تأكيد للمستتر في'أدعو'أو في'على بصيرة' لأنه حا ل منه، أو مبتدأخبره على بصيرة ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ عطف عليه ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١٠٨]﴾وأنزهه تنزيهًا من الشركاء.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ رد لقولهم'لو شاء ربنا لأنزل ملائكة 'وقيل: معناه نفي استنباء النساء ﴿نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ كما يوحى إليك، ويميزون بذلك عن غيرهم ،قرأ حفص 'نوحي'في كل القرآن، ووافقه حمزة والكسائي في سورة الأنبياء ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك أو من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ﴾ولدار الحال أو الساعة أو الحياة الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك والمعاصي ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[١٠٩]﴾ يستعملون عقولهم ليعرفوا أنها خير، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله ﴿قل هذه سبيلي﴾أي قل لهم أفلا تعقلون.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم تمادي أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا، أو عن إيمانهم؛لإنهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾أي كذبتم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الإيمان وقيل: الضمير

---

قوله:لأ ن أهلهاأعلم وأحلم :بخلا ف أهل البد و، فإن فيهم الجهل والجفا ء والقسوة

قوله:من غير وا ز ع :وهم الولا ة الما نعون من محا رم الله كذا في القا مو س .

قوله:أوكذبهم القوم بو عد الإ يما ن: كأ نهم وعدوا الإيمان با لرسل ثم لم يو منوا وكذبوهم في ذلك الوعد .

للمرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد، وقيل: الأول للمرسل إليهم، والثاني للرسل، أي وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الأمر عليهم، وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر إن صح فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب عن طريق الوسوسة هذا وأن المراد به المبالغة في التراخي والإمهال على سبيل التمثيل، وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له أثرًا.

﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ النبي والمؤمنين، وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم لا يشركهم فيه غيرهم ، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول، وقرىء فنجا﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ[١١٠]﴾إذا نزل بهم وفيه بيان للمشيئين .

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ﴾ في قصص الأنبياء وأممهم، أو في قصة يوسف وإخوته﴿عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ لذوي العقول المبرأة من شوائب الإلف والركون إلى الحس ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ ما كان القرآن حديثا يفترى ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾

---

قوله:أي وظن المرسل إليهم :أيظن الأمم أن الرسل كذبوا إيا هم بالدعوة والوعدبأنهما ليسا من الله ولم يصدقوهم فيها، والمعنى وظن الأ مم أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد الله لهم من النصرة عليهم، وعلى هذا فا لوجها ن متحدان، وإنما الاختلاف بحسب المعنى.

قوله:فقدأراد با لظن ما يهجس فيالقلب على طريق الوسوسة: من حديث النفس بما يقتضيه الطباع البشرية، أوالمبا لغة في التراخي والإمها ل على سبيل الاستعا رة التمثيلية، أو على سبيل الكنا ية ،لا الظن الذي هو تر جيح أحد الطرفين على الآ خر،فا ن ذلك بعيد فيالأ نبياء كذا قا ل الزجا ج .

قوله:وفيه بيا ن المشيتين: يعني أن الذين دخلوا تحت مشية النجاة هم غير المجرمين .

من الكتب الإلهية ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط ﴿وَهُدٗى﴾من الضلال ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ ينال بها خير الدارين ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ[١١١]﴾ يصدقونه .وعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ علموا أرقاء كم سورة يوسف، فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما.

---

قوله:إذما من أمر ديني إلا وله سند فيالقرآن بو سط أو غيروسط :لأنه القانو ن الذي يستند إليه السنة والإجما ع والقيا س .

# سورة الرعد

مدنيةوقيل مكية إلا قوله:﴿ويقول الذين كفروا﴾ الآية وهى ثلاث وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓرٰ﴾قيل:معناه أنا الله أعلم وأرى ﴿تِلْكَ آيٰتُ الْكِتٰبِ﴾يعني بالكتاب السورة و﴿ تلك ﴾ إشارة إلى آيـاتها أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن﴿ وَالَّذِىَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ هـو الـقـرآن كـله ومحله الجر بالعطف على﴿الكتاب﴾ عطف العام عـلـى الـخـاص أو إحـدى الـصفتين على الأخرى أو الـرفـع بـالابتداء وخبره﴿الْـحَقُّ ﴾ والـجـمـلة كـالـحـجة عـلى الجملة الأولى، وتعريف الخبر وإن دل على اختصاص المنزل بـكونه حقا فهو أعم من المنزل صريحا أو ضمنا، كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه﴿وَلـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ[١]﴾ لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه.

---

قوله:أي تلك الآ يا ت آيا ت السور الكاملة: ووجهه على ما قيل:إن خبرالمبتدأ إذا عـرف بـلام الـجـنس أفاد المبا لغة وإن هذا المحكو م عليه اكتسب من الفضيلة ما يو جب جـعـلـه نـفـس الـجـنـس ، وإنـه ليس نو عًا من أنوا عه ، ومن ثم قا ل في البقرة:إن ذلك هو الـكتـاب الـكـامـل ،كـأنه ماعداه من الكتب في مقا بلته ناقص، وإنه الذي أن يستا هل أن يسمى كتا بًا .

قـولـه:عـطف الـعـام على الخا ص أو إحدى الصفتين على الأخرى: فالأ ول على تـقديرأن يراد با لكتاب السو رة، والثا ني على تقديرأن يراد به القرآن، والصفتا ن هما كو نه مكتوبًا و كونه أ نزل إليك من ربك .

قـولـه:فهـو أعـم مـن الـمـنـزل صـريـحًـا أو ضـمـنًا: فيتنا ول الحق الكتاب والسنة والإجماع والقيا س مما هو المنزل ضمنًا لاستناد ها إلى الكتاب النا طق يحسن اتباعه.

﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمٰوٰتِ﴾ مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر يدبر الأمر ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أساطين جمع عماد كإهاب وأهب، أو عمود كأديم وأدم، وقرىء عمد كرسل ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة ل عمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك، وهو دليل على وجود الصانع الحكيم، فإن ارتفاعها على سائر الأجسام المساوية لها في حقيقة الحرمية، واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وأن يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بإرادته ، وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ﴿ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بالحفظ والتدبير ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها، ﴿كُلٌّ يَجْرِىْ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لمدة معينة يتم فيها أدواره أو لغاية مضروبة ينقطع دونها سيرة وهي ﴿إذا الشمس كورت .وإذا النجوم انكدرت﴾ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك ﴿يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ﴾ ينزلها ويبينها مفصلة، أو يحدث الدلائل واحدًا بعد واحدٍ ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُوْنَ[٢]﴾ لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدرعلى خلق هذه الأشياء وتدبيرها قدرعلى الإعادة والجزاء.

﴿وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بسطها طولاً وعرضًا لتثبت عليها الأقدام ويتقلب عليها الحيوان ﴿وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِىَ﴾ جبالا ثوابت من رسا الشيء إذا ثبت جمع راسية والتاء

---

قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة لعمد: أي بغير عمد مرئية وعلى هذا تعمدها قدرة الله تعالىٰ فيتناول النفي الصفة ويجوز أن يتناول الصفة والموصوف جميعًا كقوله: ما رأيت رجلاً صالحاً، فإن صدقه يحتمل أن يكون لانتفاء الرجل والصلاح جميعاً أو لانتفاء الصلاح وحده

قوله: بإرادته: فيدل. على وجود الصانع، وأما أنه حكيم فظاهر أن مثل هذا الوضع لا يكون بدون الحكمة .

قوله: لمدة معينة يتم فيها أدواره :وهي للشمس أكثر من سنة قمرية وللقمر ثمانية وعشرون يومًا

قوله: ينزلها ويبينها: يعني أن المراد بالآيات القرآنية المنزلة والمبينة في القرآن أوالدلائل والعلامات الدالة على كمال قدرته .

قوله: جمع راسية: وذلك أن فاعلة بالتاء يجمع على 'فواعل' فالتاء إماللتانيث بناء على أن موصوفه أجبل لا جبل راسية وجبال رواسي۔ فجبال جمع أجبل جمع بل، وإما للمبالغة كعلامة بناء على أن موصوفه جبل .

لـلتـأنيـث على أنها صفة أجبل أو للمبالغة ﴿وَأَنْهٰراً﴾ ضـمهـا إلى الجبال وعلق بهما فعلا واحدًا من حيث إن الجبال أسباب لتولدها ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرٰتِ﴾ متعلق بقوله ﴿جَعَلَ فِيْهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي وجـعـل فيهـا مـن جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والأسـود والأبيض والصغير والكبير ﴿يُغْشِيْ اللَّيْلَ النَّهٰرَ﴾ يـلبسه مكانه فيـصير الجو مظلما بـعـدمـا كان مضيئا ، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يغشي بالتشديد ﴿إِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ[٣]﴾ فيهـا فـإن تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر أمرها وهيأ أسبابها.

﴿وَفِيْ الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجٰوِرٰتٌ﴾ بـعـضـهـا طيبة ، وبعضها سبخة، وبعضها رخوة، وبـعضها صلبة، وبعضها تصلح للزرع دون الشجر، وبعضها بالعكس ، ولولا تخصيص قادر مـوقع لأفعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك؛ لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية ومـا يـلـزمهـا ويـعـرض لها بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية من حيث إنها متضامة متشـاركة في النسب والأوضاع ﴿وَجَنّٰتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيْلٌ﴾ وبسـاتين فيها أنواع الأشـجار والزروع، وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص 'وزرع ونخيل' بالرفع عطفا على'وجنات' ﴿صِنْوَانٌ﴾ نخلات أصلها واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ متـفـرقـات مختلفات الأصول، وقرأ حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كـ'قنوان' في جمع قنو ﴿يُسْقٰى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلٰى بَعْضٍ فِيْ الْأُكُلِ﴾ في التمر شكلاً وقدرًا ورائـحة وطـعـمًـا، وذلك أيضـا مـمـا يـدل عـلـى الـصـانع الحكيم ،فـإن اختلافهـا مع ا

---

قوله:من حيث إن الجبا ل أسبا ب لتو لد ها: أيالأ نهار،قال الله تعالىٰ:﴿ وإنّ مِنَ الحِجَا رَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنهُ الأ نهَارُ﴾ .

قـولـه:يلبسه مكا نه: تقديره يلبس الليل مكان ضوء النها ر يدل عليه ترتب ، فيصير الجومظلمًاأسود بعد ما كا ن منيرًاأبيض .

قـولـه:دليـل عـلـى وجـو د صـا نع حكيم دبرأمرهاوهيّأ أسبا بها: لاأنها تستند إلى الأوضـا ع الفلكية كما زعمت الفلاسفة،لأنهامتضامة متشاركة في الأوضاع الفلكية ، قال الامـام:إنـه تـعـالـىٰ فـي غـا لـب الأمـر يـذكـر الـدلائل الموجودة في العالم السفلي وتجعل مقطعها﴿ إن فيذلك لآ يا ت لقوم يتفكرون﴾ أوما يقرب منه، والسبب فيه أن الفلا سفة سند ون حوادث العالم السفلي إلى اختلا فات الواقعة فيالأشكا ل الفلكية .

اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب 'يسقى' بالتذكير على تأويل ما ذكر. وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله: يدبر الأمر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٤]﴾ يستعملون عقولهم بالتفكير.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يامحمد من إنكارهم البعث ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ حقيق بأن يتعجب منه، فإنّ من قدر على إنشاء ما قص عليك كانت الإعادة أيسر شيء عليه، والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على إمكان الإعادة من حيث إنها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لأنواع تصرفاته ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدل من قولهم أو مفعول له، والعامل في 'إذا' محذوف دل عليه أئنا لفي خلق جديد ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ لأنهم كفروا بقدرته على البعث ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم، أو يغلون يوم القيامة ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [٥]﴾ لا ينفكون عنها، وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعقوبة قبل العافية، وذلك لأنهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاءً ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم، والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وأمثلت الرجل من صاحبه إذا اقتصصته منه، وقرىء 'المثلات' بالتخفيف والمثلت باتباع الفاء العين و'المثلات' بالتخفيف بعد الاتباع، و'المثلات' بفتح الثاء على أنها جمع

---

قوله: والعامل في 'إذا' محذوف دل عليه ﴿ء إنا لفي خلق جديد﴾ إذ لا يجوز أن يعمل جديد، إذ لا خلاف في أن ما بعد 'إن' و'إذا' لا يعمل فيما قبلها.

قوله: بالضلالة: أي مقيدون بقيد الضلالة لا يرجى خلاصهم، لأنهم أصحاب النار خالدون فيها.

قوله: قبل العافية: أي الإحسان إليهم بالإمهال.

قوله: لأنها مثل المعاقب عليه: أي موافق له من حيث الظاهر وجزاء سيئة سيئة مثلها وإلا فجزاء السيئة حسنة.

قوله: وقرىء 'المثلات' بالتخفيف: أي وقرىء بفتح الميم وسكون الثاء.

مثلة كركبة وركبات ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ مع ظلمهم أنفسهم، ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة، والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة، فإن التائب ليس على ظلمه، ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر، أوأول المغفرة بالستر والإمهال ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ[٦]﴾ للكفار أو لمن شاء، وعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لا تكل كل أحد.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ لعدم اعتدا هم بالآيات المنزلة عليه واقتراحًا لنحو ما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ مرسل للإنذار كغيرك من الرسل ، وما عليك إلا الإتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ[٧]﴾ نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق، ويدعوهم إلى الصواب ،أو قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي إلا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات، ثم أردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيهًا على أنه تعالى قادرعلى إنزال ما اقترحوه، وإنما لم ينزل لعلمه بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد، وأنه قادر على هدايتهم ، وإنما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من

---

قوله: كركبة وركبات :قا ل الجو هري : الركبة معروف، وجمع القلة ركبا ت وجمع الكثرة ركب .

قوله: ومن منع ذلك: أي ومن منع جوازالعفو قبل التو به وهو صا حب الكشا ف خص الظلم الخ ،بناء على مذهب الا عتزال .

قوله: لعدم اعتدادهم بالآ يا ت المنزلة: أي لعدم اعتدادهم بها عنا دًاواقتراحهم لنحوماأوتي مو سى وعيسى من انقلا ب العصا حية وإحياء المو تى .

قوله: أي حملها أوما تحمله: يعني يحتمل أن يكو ن كلمة 'ما' مصدرية أوموصولة، وعلى تقدير أن يكو ن موصولة يكو ن المعنى:الله يعلم ما تحمل أنه على أي حال من الأحوال من الذكورة والأنوثة والتما م والخداج والسعا دة والشقاوة والحسن والقبح وطول العمر وقصره وغير ذلك .

الأحوال الحاضرة والمترقبة ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ وما تنقصه وما تزداده في الجنة

والمدة والعدد، وأقصى مدة الحمل أربع سنين عندنا، وخمس عند مالك، وسنتان عند أبى حنيفة. روي أن الضحاك ولد لسنتين ، وهرم ابن حيان لأربع سنين، وأعلى عدده لا حد له، وقيل نهاية ما عرف به أربعة، وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه، وقال الشافعي رحمه الله أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة، وقيل: المراد نقصان دم الحيض وازدياده ، و'غاض' جاء متعديًا ولازمًا وكذا 'ازداد' قال تعالى: وازدادوا تسعا' فإن جعلتهما لازمين تعين إما أن تكون مصدرية وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز، فإنهما لله تعالى أو لما فيها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ[٨]﴾ بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى: ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾فإنه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين، وهيأ له أسبابًا مسوقة إليه تقتضي ذلك. وقرأ ابن كثير'هاد' و'وآل' و'واق' وما عند الله باق بالتنوين في الوصل، فإذا وقف وقف بالياء في هذه الأحرف الأربعة حيث وقعت لا غير، والباقون يصلون ويقفون بغير ياء.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ الغائب عن الحس ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ الحاضر له ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء﴿ الْمُتَعَالِ[٩]﴾المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذى كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه.

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾في نفسه﴿ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾لغيره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۢ بِالَّيْلِ﴾ طالب للخفاء في مختبأ بالليل﴿وَسَارِبٌۢ﴾ بارز﴿بِالنَّهَارِ[١٠]﴾ يراه كل أحد من سرب سروبا إذا برز، وهو عطف على 'من' أو 'مستخف' على أن 'من' في معنى الاثنين

---

قوله:فإ نهما لله تعالىٰ أولما فيها: الأول على تقدير أن يكو نا متعديين، والثا ني على تقدير أن يكو نا لا زمين.

قوله:أوالذي كبر عن نعت المخلو قين وتعالىٰ عنه: يعني الكبيرالمتعال بالنظر إلى مردوفه وهوعا لم الغيب والشها دة هو العظيم الشأن المستعلي على كل شيء بقدرته، وبالنظر إلى ما سبق وهو ما تحمل كل أنثى الخ أن يقال: كبرو تنزّه عن صفا ت المخلو قين ليفيد تنزيهًا عما يقوله النصارى والمشر كو ن .

قوله: وهو عطف على 'من' أو'مستخف' على أن 'من' فيمعنى الا ثنين: إشا رة إلى دفع ما يقال: حق العبا رة أن يقا ل:ومنه وهو مستخف بالليل ومن هو سا رب بالنها ر حتى

كقوله "نكن مثل من يا ذئب يصطحبان "كـأنه قال: سواء منكم اثنين مستخف بالليل وسارب بالنهار، والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله.

﴿لَهُ﴾لمن أسر أوجهر أو استخفى أو سرب﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ملائكة تعتقب في حفظه، جمـع معـقبة من عقبه مبالغة عقبة إذا جاء على عقبه، كأن بعضهم يعقب بعضا، أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها، أو اعتقب فأدغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة، أو لأن المراد بالمعقبات جماعات. وقرىء 'معاقيب' جمع معقب، أو معقبة على تعويض الياء من حـذف إحـدى القافين ﴿مِّـن بَيۡـنِ يَـدَيۡـهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ مـن جـوانبـه أو مـن الأعمال ما قدم وأخر ﴿يَحۡـفَـظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ مـن بـأسه متى أذنب بـالاستمهال أو الاستـغفار له، أو يـحـفـظـونه من المضار، أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى. وقد قرىء به، وقيل: مِن بـمـعـنـى البـاء، وقيل: من أمر الله' صفة ثانية لـ' معقبات' وقيل: المعقبات الحرس والجوازة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من العافية والنعمة﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ مـن الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ فـلا راد له فالعامل في 'إذا' ما دل عليه الجواب ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ[ ١١ ]﴾ممن يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء. وفيه دليل على أن خلاف مراد الله تعالى محال.

﴿هُـوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفًا﴾ من أذاه ﴿وَطَمَعًا﴾فـي الـغيث وانتصابهما على

---

يتـنـا ول معنى الا ستواء المستخفي والسارب وإلافقد تنا ول واحداً، ووجه الدفع أن سا رب إما عطف على 'من هو مستخف' أو عطف على 'مستخف' إلا أن 'من' في معنى الا ثنين .

قوله :تـكن مثل من يا ذئب يصطحبان: أوله: تعالى فا ن عا هد تني لا تخو نني ،يقول إن عـا هـد تـنـي على أن لا تخو نني كنا مثل رجلين يصطحبا ن ويصطحبا ن صلة، ويا ذئب، نداء اعترض بين الصلة والمو صول .

قوله:أو اعتقب: عطف على 'عقب' .

قـولـه:أولأن الـمـراد بـالـمـعقبا ت جماعات :وعلى هذا فا لتاء في معقبة للتا نيث، وعلى الأ ول للمبا لغة .

قوله:با لاستمها ل: أي بمسألتهم ربهم أن يمهله رجا ء أن يتوب .

قوله: في تو همه: أي في تو همه أن الحرس يحفظونه لا في الوا قع .

قوله:من أذاه: أي أذى البرق ،إذ وقوع الصواعق يخا ف عند لمع البرق.

الصواعق العلة بتقدير المضاف أي إرادة خوف وطمع، أو التأويل بالإخافة والإطماع ، أو الحال من 'البرق' أو' المخاطبين' على إضمار ذو، أو إطلاق المصدر بمعنى المفعول، أو الفاعل للمبالغة، وقيل: يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه ﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ﴾ الغيم المنسحب في الهواء ﴿ الثِّقَالَ[١٢]﴾ وهو جمع ثقيلة ، وإنما وصف به السحاب؛ لأنه اسم جنس في معنى الجمع.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ ﴾ويسبح سامعوه ﴿بِحَمْدِهِ ﴾ملتبسين به فيضجون بـ سبحان الله والحمد لله، أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته. وعن ابن عباس رضى الله عنهما سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الرعد فقال: ملك موكل بالسحاب معه مخازين من نار يسوق بها السحاب ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ من خوف الله تعالى وإجلاله: وقيل: الضمير لـ ﴿الرعد﴾ ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ فيهلكه ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِى اللَّهِ﴾ حيث يكذبون رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فيما يصفه به منه كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية إعادة الناس ومجازاتهم، والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل، والواو إما لعطف الجملة على الجملة أو للحال، فإنه روي أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد وفداعلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قاصدين لقتله، فأخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف، فتنبه له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال: اللهم اكفنيهما بما شئت ، فأرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية، وكان يقول غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية فنزلت ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ

---

جمع صا عقة وهى نار بلا دخا ن .

قوله: بتقد يرالمضا ف: أي إرادة خو ف وطمع، أوالتاويل بالاخا فة والا طما ع ليكو ن فا عل الفعل المعلل به والمفعول له واحدًا .

قوله: سامعوه: أي سامعوا الرعد من العبا د الراجين للمطر، والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كذا في الصحاح ، والمخاريق جمع مخراق وهو المنديل الملتف .

قوله: أوللحال: أي ﴿فيصيب بها من يشاء﴾ في حا ل جدالهم .

قوله: بغدة: الغدة الطا عون للإبل وقلما يسلم منه، يقال: اغدالبعير فهومغدود، السلولية امرأة، والسلول قبيلة من العرب عندهم أقل العرب وأذلهم .

الْمِحَالِ[١٣]﴾المماحلة المكايدة لأعدائه،من محل فلان بفلان إذا كايده وعرضه للهلاك، ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيلة، ولعل أصله المحل بمعنى القحط ، وقيل: فعال من المحل بمعنى القوة، وقيل: مفعل من الحول أو الحيلة أعلّ على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال، ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد و موساه أحد.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره، أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه ويؤيده ما بعده و﴿الحق﴾على الوجهين ما يناقض الباطل، وإضافة الدعوة إليه لما بينهما من الملابسة، أو على تأويل دعوة المدعو الحق ، وقيل: الحق هو الله تعالى وكل دعاء إليه دعوة الحق والمراد بالجملتين إن كانت الآية في إربد وعامر أن إهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله إجابة لدعوة رسوله

---

قوله:أعل على غير قيا س: لأ ن القيا س عدم اعلا ل نحو'المخيط،ويؤيده أنه قرئ بفتح الميم؛ لأنه قياس كما في'مقام ومقال' .

قوله:فيكو ن مثلاًفيالقوة والقدرة: لأن الفقارعمودالظهروقوامه كما أن قولهم: ساعد الله أشدّ وموساه أحدّ، مثل فيالقوة .

قوله:الدعاء الحق: يعني أن المراد بدعوة الحق ، إما الدعاء الحق، وهو ما يكون ما يدعى إليه حقاً، وهوههناعبادته تعالى ،أو الدعوة المجابة ؛ لأن حق الدعوة الإجابة، فالدعاء إلى عبادة غيره تعالى باطل، كالدعاء إلى عبادة الأصنام، وكذا الدعاء بد ون الإجابة با طل؛ فإنه يحق أن يكو ن مع الدعاء الإ جا بة،إذ لايجدي ولاينفع بد ون الإ جا بة كدعا ء الا صنا م؛ فإنه لا يجدي ولا ينفع دعا ء هم، فا لدعاء على الوجهين بمعنى نقيض الحق ، وأن إضافة الدعوة إلى الحق للملابسة، وإلاف‍إضا فة الدعاء إنما تكو ن إلى المدعوالحق كما فيالوجه الثا لث، ومعنى الوجه الثا لث دعوة المدعو الحق دعوة الله؛ لأنه المدعو الحق دو ن الأ صنا م، وقيل: الحق هو الله بناء على أن الحق من أسما ء الله تعالىٰ، والمعنى أن دعوة الله ثا بت؛ لأ نه يجيب ويعطي الداعي سؤ له بخلاف دعوة الأ صنا م، فإنهم لايجيبو ن ﴿وما دعاء الكافرين إلا فيضلا ل﴾ .

قوله:والمراد با لجملتين: أي﴿شديد المحا ل﴾ و﴿ له دعوة الحق﴾ وفيه بيا ن اتصال "له دعوة الحق" بـ "شديد المحا ل" .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو دلالة على أنه على الحق وإن كانت عامة، فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون، فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول لدلالة ﴿مِن دُونِهِ﴾ عليه ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ من الطلبات ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾ إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه ﴿إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ يطلب منه أن يبلغه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ لأنه جاد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته والإتيان بغير ما جبل عليه، وكذلك آلهتهم، وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه. وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ[١٤]﴾ في ضياع وخسار وباطل.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرهًا حال الشدة والضرورة ﴿وَظِلَالُهُم﴾ بالعرض وأن يراد به انقيادهم

---

قوله: ودلالة على أنه: أي الرسول.

قوله: أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون: فالضمير في 'يدعون' للمشركين والعائد إلى 'الذين' محذوف.

قوله: كاستجابة من بسط كفيه: الوجه الأول التشبيه التمثيلي، شبه حاله عدم استجابة الأصنام دعاءهم، وأنهم لم يفوزوا من دعائهم الأصنام بالإجابة، وعدم النفع بحالة عدم استجابة الماء لمن بسط كفيه إليه، أي إلى الماء يطلب منه، أي من الماء أن يبلغ فاه، ووجه الشبه عدم استطاعة إجابة الدعاء مع العجز عن إيصال النفع، وهذا كما ترى منتزع من عدة أمور، والوجه الثاني من تشبيه المركب العقلي شبهوا بشخص يطلب من الماء للشرب، فيغرف الماء بيديه فبسطهما ناشراً أصابعه، فلم يلق كفاه منه شيئًا، ووجه الشبه قلة جدوي دعائهم لآلهتهم.

قوله: ﴿وَظِلَالُهُم﴾ بالعرض: أي يسجد لهم ظلالهم بتبع سجودهم؛ لأنهم إذا سجدوا يقع ظلالهم على الأرض على هيئة السجود، فيكون سجود ظلالهم تبعاً لسجودهم، وقيل: كل شخص مؤمن أو كافر فإن ظله يسجد لله ولا يقف على كيفيته.

لإحداث ما أراده منهم شاؤوا أو كرهوا، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب 'طوعا وكرها' بالحال أو العلة وقوله ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ[١٥]﴾ ظرف لـ 'يسجد' والمراد بهما الدوام، أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين، لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما، والغد و جمع غداة كقنى جمع قناة، والآصال جمع 'أصيل' وهو ما بين العصر والمغرب، وقيل: الغد و مصدر، ويؤيده أنه قد قرىء و'الإيصال' وهو الدخول في الأصيل.

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خالقهما ومتولي أمرهما ﴿قُلِ اللّٰهُ﴾ أجب عنهم بذلك ؛إذ لا جواب لهم سواه، ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه، أو لقنهم الجواب به ﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ ثم ألزمهم بذلك ،لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل ﴿أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً ﴾ لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعًا أو يدفعوا عنها ضرًا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه، وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاءً أن يشفعوا لهم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ ﴾ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك، وقيل: المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمٰتُ وَا لنُّورُ ﴾ الشرك والتوحيد. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلّٰهِ شُرَكَاء ﴾ بل أجعلوا، والهمزة للإنكار وقوله ﴿ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ﴾ صفةلشركاء داخلة في حكم الإنكار ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ خلق الله وخلقهم، والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق، فيقولوا: هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها، ولكنهم اتخذ وا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدرعليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق ﴿قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة، جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ المتوحد بالألوهية ﴿ الْقَهَّارُ[١٦]﴾ الغالب على كل شيء.

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً ﴾ من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فإن المبادىء منها ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ ﴾ أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه

---

قوله:وهو دليل ثان: والأ ول ﴿والذين يدعون من دو ن الله﴾ .

قوله:ليدل على قوله:﴿ وَهُوَ الْوَا حِدُ الْقَهَّا رُ﴾: أي ليكو ن دليلاً عليه .

قوله:فا ن المبا دي منها: وهي الأ وضا ع الفلكية .

بكثرة فاتسع فيه، واستعمل للماء الجاري فيه، وتنكيرها؛ لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ بمقدارها الذى علم الله تعالى أنه نافع غير ضار أو بمقدارها فى الصغر والكبر ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً ﴾ رفعه والزبد وضر الغليان ﴿رَّابِياً ﴾عاليا﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ﴾ يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها إظهارًا لكبريائه ﴿ابْتِغَاء حِلْيَةٍ ﴾ أى طلب حلى ﴿أَوْ مَتَاعٍ ﴾ كالأواني وآلات الحرب والحرث، والمقصود من ذلك بيان منافعها ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ ﴾ أي ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه، و'من' للابتداء أو للتبعيض. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به ﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾مثل الحق والباطل فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية على قدرالحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع، ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنى والآبار، وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلى واتخاذ الأمتعة المختلفة، ويد وم ذلك مدة متطاولة، والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء ﴾ يجفأ به أي يرمي به السبيل والفلز المذاب، وانتصابه على الحال. وقرىء جفالا والمعنى واحد ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ ﴾ ينتفع به أهلها﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ[١٧]﴾لإيضاح المشتبهات.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا ﴾للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لِرَبِّهِمُ الْحُسْنٰى ﴾ الاستجابة الحسنى ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾وهم الكفرة، واللام متعلقة بـ 'يضرب' على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل: للذين استجابوا خبر الحسنى وهي

---

قوله:لأ ن المطريأ تي على التناؤب بين البقاع :فتسيل الأودية على تناول، فتسيل بعض أودية دو ن بعض ، ولا تسيل جميع الأودية .

قوله:على وجه التها ون: لأ ن قوله: ﴿مما يوقدون﴾ عدول عن الا سم إلى تصويرحالة هي أحط الحا لات من حالات هذه الجواهر التي تر فعون أنتم من مقدارها، وتعدونها أنفس الجواهروهي حا لة الحطب أيإلا يقاد .

قوله:على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما: أيضرب الله المثل للحق والبا طل جعل ضرب المثل للذين استجا بوا والذين لم يستجيبوا.

المثوبة أو الجنة، والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ﴾ وهو على الأول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ﴾ وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ مرجعهم ﴿ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ[١٨]﴾ المستقر والمخصوص بالذم محذوف.

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾فيستجيب﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾عمى القلب لايستبصرفيستجيب، والهمزة لإنكار أن تقع شبهة فى تشابههما بعدما ضرب من المثل﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ[١٩]﴾ذ ووالعقول المبرأة عن مشايعة الألف ومعارضة الوهم.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا: بلى، أوما عهد الله تعالى عليهم في كتبه﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ[٢٠]﴾ ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وعيده عموما ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ[٢١]﴾ خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ طلبًا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ المفروضة ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه ﴿سِرّاً ﴾ لمن لم يعرف بالمال

---

قوله:والمخصوص با لذم محذوف :أي جهنم .

قوله:من المواثيق بينهم وبين الله وبين العبا د: أي من المواثيق التي بينهم وبين الله، والمواثيق التي بينهم وبين النا س .

قوله:وهو تعميم بعد تخصيص: لأن قوله:﴿الذين يو فو ن بعهد الله﴾ مختص بالمواثيق التي بينهم وبين الله وهذاأعم منه .

قوله:على ما تكرهه النفس ويخا لفه الهوى: من المصائب في النفوس والأ موال ومشاق التكلى.

﴿وَعَلَانِيَةً﴾ لمن عرف به ﴿وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ ويدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان، أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ[٢٢]﴾ عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة، والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات.

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ بدل من 'عقبى الدار' أو مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ والعدن الإقامة أي جنات يقيمون فيها، وقيل: هو بطنان الجنة ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ عطف على المرفوع في يدخلون، وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعًا لهم وتعظيمًا لشأنهم، وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم، وفي التقييد

---

قوله:﴿وَعَلاَ نِيَّةً﴾: عرف به نفيًا للتهمة.

قوله:فتمحوها: أي الحسنة السيئة، قا ل الله تعالىٰ:﴿إن الحسنا ت يذهبن السيئا ت﴾

قوله:وما ينبغي أن يكو ن ما ل أهلها: يعني أن المراد بعا قبة الدار الدنيا لا ما يترتب عليه مطلقا، قال الله تعالىٰ:﴿ تريدون عرض الحيوة الدنيا والله يريد الآ خرة﴾ .

قوله:أومبتدأخبره ﴿يَدخُلُونَهَا﴾: والجملة بيا ن لجملة ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أو بدل منها، فلا يرد ما قيل: إن كو نه مبتدأ محل بحث .

قوله:بطنان الجنة: قا ل الجو هري:بطنا ن الجنة وسطها .

قوله: وهو دليل على أن الدرجة تعلو با لشفا عة: لأن فيه تعظيمًالشأنهم أيضاً، وعلى أن آبا ئهم وأزواجهم وذريا تهم المو صوفين بتلك الصفا ت يقرن بهم كذا قيل، وعلى هذا ينبغي أن يتا مل ما وجه قوله: يقرن بعضهم ببعض؟لأ نهم ليسوا بعض آبا ئهم وأزوا جهم وذريا تهم المو صو فين بتلك الصفا ت، فالأولى أن يقال:إن المعنى المو صوفون بتلك الصفات أعم منهم ومن آبا ئهم وأزواجهم وذرياتهم المو صو فين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض فيدخو ل جنة وا حدة زيا دة فيأنسهم .

بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا تنفع ﴿وَالْمَلٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ[٢٣]﴾ من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ بشارة بدوام السلامة ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بـ 'عليكم' أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بـ 'سلام' فإن الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ[٢٤]﴾ وقرئ 'فنعم' بفتح النون والأصل 'نَعِم' فسكن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ﴾ يعني مقابلي الأولين ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالظلم وتهييج الفتن ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ[٢٥]﴾ عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا؛ لأنه في مقابلة عقبى الدار.

﴿اللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسعه ويضيقه ﴿وَفَرِحُوا﴾ أي أهل مكة ﴿بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ بما بسط لهم في الدنيا ﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ﴾ أي في جنب الآخرة ﴿إِلَّا مَتَاعٌ[٢٦]﴾ إلا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي، والمعنى أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة، واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ[٢٧]﴾ أقبل إلى الحق ورجع عن

---

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب المنا زل: أي با لتحية قا ئلين هذا الثواب بسبب صبر كم عن الشهوات أو على أوامر الله .

قوله: والباء للسببية أو البدلية: أي هذا الثواب بسبب صبر كم أو بدل صبر كم.

قوله: بنقل كسر تها إلى الفا ء وبغيره: أي بغير النقل والأول في القراء ة المشهورة والثا ني في القراء ة الشا ذة .

قوله: عذاب جهنم: فا لمراد با لدار جهنم، وبسوء ها عذابها .

قوله: كعجا لة الراكب: قا ل الجو هري: العجالة، با لضم ما تعجلته من شيء، والتمر عجا لة الرا كب .

قوله: أنساً به واعتماداً عليه : لأنهم إذا سمعوا ذكر الله أو ذكروا الله أحبوه واستا نسوابه واعتمدوا عليه في أمو رهم من غير اضطرابهم فيها .

العناد، وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال: قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم و إن أنزلت كل آية، ويهدي إليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدل 'من' أو خبر مبتدأ محذوف ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه ،أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه، يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ[٢٨]﴾ تسكن إليه.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾مبتدأ خبره﴿طُوبَى لَهُمْ﴾وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوًا لضمة ما قبلها، مصدر لـ"طاب" كـ"بشرى وزلفى" ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرىء ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ بالنصب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك يعني إرسال قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا﴾ تقدمتها﴿أُمَمٌ﴾أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليهم ﴿لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحيناه إليك ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم، وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم، وقيل: نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم:اسجد وا للرحمن قالوا: وما الرحمن ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾أي الرحمن خالقي ومتولي أمري ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾لا مستحق للعبادة سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾في نصرتي عليكم﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ[٣٠]﴾مرجعي ومرجعكم.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾شرط حذف جوابه، والمراد منه تعظيم شأن القرآن، أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي ولوأن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ تصدعت من خشية الله عند قراءته، أو شققت فجعلت أنهارًا وعيونًا﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾فتسمع فتقرؤه ،أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن، لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار، أو لما آمنوا به كقوله:﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ الآية، وقيل: إن قريشا قالوا: يا محمد، إن سرك أن نتبعك فسير

---

قوله:ويجو ز فيه الرفع والنصب :كما في سلا مًا لك وسلا مٌ لك، أي طاب جئنا لك وطيب لك، وهوظا هر كلا م صا حب الكشا ف وقيل: النصب بفعل مضمر .

بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع، أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام، أو ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت، وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها بالسير وقيل: الجواب مقدم وهو قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ وما بينهما اعتراض، وتذكير 'كُلِّمَ' خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي ﴿بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً﴾ بل لله القدرة على كل شيء وهو إضراب عما تضمنته لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم، ويؤيد ذلك قوله ﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم، وذهب أكثرهم إلى أن معناه: أفلم يعلم لما روي أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرؤوا 'أفلم يتبين' وهو تفسير، وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم؛ لأنه مسبب عن العلم فإن الميئوس عنه لا يكون إلا معلوما، ولذلك علقه بقوله: ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾ فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم، وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره 'أفلم ييئس الذين آمنوا عن إيمانهم' علما منهم 'أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا' أو بآمنوا ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا﴾ من الكفر وسوء الأعمال ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم وتقلقهم ﴿أَوْ تَحِلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفرعون منها ويتطاير إليهم شررها، وقيل: الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالو ن مصابين بما صنعوا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث السرايا عليهم

---

قوله: وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها با لسير: لأن المراد حينئذ المزارعة، والقطائع جمع قطيعة، وهي الأرض التي يزرع فيها.

قوله: والجواب متقدم: وكلمة 'لو' للتا كيد.

قوله: وهوإضراب عما تضمنه 'لو' من معنى النفي: يعني لم يتعلق إرا دته بما اقترحوه من الآ يا ت لعلمه بأنه لا يلين شكيمتهم، لا لعدم قدرته بل لله القدرة على كل شيء.

قوله: فإن الميئوس منه لا يكو ن إلا معلومًا: أي بأ نه لا يكون، فإن اليأس عن الشيء لا يكو ن إلا إذا علم أن ذلك الشيء لا يكو ن.

قوله: ولذلك علقة بقوله: ﴿أن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ﴾ أي ولأجل أن اليأس بمعنى العلم علّقه بأن لو يشاء على أنّ 'أن' خفيفة من الثقيلة قائمة مقام المفعولين.

فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم ، وعلى هذا يجوز أن يكون 'تحل' خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فإنه حل بجيشه قريبًا من دارهم عام الحديبية ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ الموت أو القيامة أو فتح مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ[٣١]﴾ لا متناع الكذب في كلامه.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تسلية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه، والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ[٣٢]﴾ أي عقابي إياهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ رقيب عليها ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ استئناف أو عطف على 'كسبت' إن جعلت 'ما' مصدرية، أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾ بل أتنبئونه وقرىء 'تنبئونه' بالتخفيف ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقًا،

---

قوله: والخبر محذوف الخ: يعني قوله: ﴿أفمن هو قائم﴾ مبتدأ لا بد له من خبر، فإمّا يقدر 'كمن ليس كذلك' وحينئذ يكون ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ كلاماً مستانفاً غير متصل بما قبله ،أو عطفاً على 'كسبت' أويقدر ما يصح عطف 'وجعلوا' عليه ليكون من عطف الخبر على الخبر، وحينئذ يكون 'لله' من وضع المظهر موضع المضمر ،أي لم يوحدوا وجعلوا له شركاء .

قوله: صفوهم فا نظروا: أي صفوهم بما فيهم لتعلموا أنها لا تكون آلهة .

قوله: وهذا احتجاج بليغ في أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز: حيث نفى أولاً امكان التسوية بين الله وبين كل نفس بأنه القائم بأمرهم وإغمارهم دون شركائهم فانتج قبح الشريك، وأيضاً هذا قياس فاسد لفقد الجهة الجامعة، ثم وضع الظاهر

أو كيدهم للإسلام بشركهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر 'وصدوا' بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان، وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يخذله ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ[٣٣]﴾ يوفقه للهدى.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ لشدته ودوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ من عذابه أو من رحمته ﴿مِن وَاقٍ[٣٤]﴾ حافظ.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صفتها التي هي مثل في الغرابة، وهو مبتدأ خبر محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة، وقيل: خبره ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ على طريقة قولك: صفة زيد أسمر، أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الأنهار، أو على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد أو المحذوف أو من الصلة ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ لا ينقطع ثمرها ﴿وِظِلُّهَا﴾ أي وظلها وكذلك لاينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تِلْكَ﴾ أي الجنة الموصوفة ﴿عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ مآلهم ومنتهى أمرهم ﴿وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ[٣٥]﴾ لا غير وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين.

---

موضع المضمر للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد، لا يشاركه احد في اسمه كقوله تعالىٰ: ﴿هل تعلم له سميا﴾ ثم أفاد بقوله: ﴿قل سموهم﴾ إن ما زعموه شركاء ليس لهم استحقاق اسمهم وصفتهم، ففضحهم في هذا الزعم، ثم أفاد أنهم انبأؤا للعلام العيوب الذي يعلم أنه لا شركاء له أن له شركاء، وهذا ارتكاب لأقبح المحالات، ثم أفاد بقوله: ﴿أم بظاهر من القول﴾ أنهم أنبأؤا بمجرد القول من غير حقيقة ومعنى.

قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ذكر ابن قتيبة أن الملحدين قداعترضوا على هذه الآية وقالوا: ذكر المثل ولم يقل كمثل كذا، والجواب عنه أن المراد بالمثل الصفة التي هي مثل في غرابة الشأن وأن الخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم، أو الخبر تجري، وصح الحمل عن الصفة كما في قولك: صفة زيد اسمر، أو يحمل على حذف الموصوف تمثيلاً للغائب بما يشاهد في الدنيا، أو الجنة مبتدأ والخبر 'تجري' وكلمة 'مثل' زائدةً، وعلى كل من الوجوه لا حاجة إلى أن يقول: كمثل كذا .

قوله: وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين: حيث حصر عقبى

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا،أربعون بنجران، وثمانية باليمن، واثنان وثلاثون بالحبشة ، أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول اللهـ صلى الله عليه وسلم ـبالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾وهو من يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ جواب المنكرين أي قل لهم: إني أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره ، وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخلفة الشرائع والكتب الإلهية في جزيئات الأحكام ، وقرىء :ولا أشرك بالرفع على الاستئناف ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾لا إلى غيره ﴿ وَإِلَيْهِ مَآبِ[٣٦]﴾ وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء، وأما ماعدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها﴿أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا﴾ يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة ﴿عَرَبِيًّا﴾مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدماحولت عنها ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ

---

المتقين فيتلك الجنة الموصوفة وعقبى الكافرين في النار، فلم يبق للمومنين عاقبة إلا الأمر العظيم الذي هي تلك الجنة الموصوفة، ولم يبق للكافرين عاقبة إلا النار،ولا يخفى ما فيهما من الإطماع والإقناط .

قوله:تحزبوا على رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم: أياجتمعوا لعداوته .

قوله:ومثل هذا الإنزال المشتمل: إشارة إلى قوله:﴿ إليه أدعو وإليه مآب﴾ وهو مشبه به، والمشبه إنزال الحكم العربي، ووجه الشبه كونه مكشوفاً على وجه محكم وصين، والحصر مستفاد من إضافة اسم الجنس إلى المعرفة الدالة على العموم والاستغراق كما في'ضربى زيداً قائماً' .

قوله:وانتصابه على الحال: أيانتصاب 'حكماً' على أنه حال موطية كقوله تعالىٰ:﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربياً﴾ .

مِنَ الْعِلْمِ﴾ بنسخ ذلك ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ[٣٧]﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ﴾ بشرًا مثلك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾ نساء وأولادا كما هي لك ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ وما يصح له ولم يكن في وسعه ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ تقترح عليه وحكم يلتمس منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإنه المليء بذلك ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ[٣٨]﴾ لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم.

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿وَيُثْبِتُ﴾ما تقتضيه حكمته، وقيل: يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها، وقيل يمحو من كتاب الحفظة مالا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا، أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل: يمحو قرنا و يثبت آخرين، وقيل :يمحو الفاسدات الكائنات. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي 'ويثبت'بالتشديد﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ[٣٩]﴾أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهومكتوب فيه.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما أوعدناهم أو توفيناك قبله ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ لا غير﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ[٤٠]﴾ للمجازاة لا عليك، فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فإنا فاعلون له وهذا طلائعه

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾أرض الكفرة﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نفتحه على المسلمين منها﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال ، ومنه قيل لصاحب الحق معقب ؛لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء، والمعنى أنه

---

قوله:يمحومن كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء: أيما ليس بحسنة ولا سيئة؛ لأنهم ما مورون بكتبة كل قول وفعل،كقولك:أكلت وشربت ودخلت ونحوهامن الكلا م.

قوله: أو يثبت ما رأه وحده فيصميم قلبه: أيخا لص قلبه ويمحوما لا يكو ن فيصميم قلبه، قا ل عليه السلا م: رفع عن أمتي السهو والنسيان .

قوله:وكيف مادارت الحا ل أرينا ك بعض ماأوعدنا هم: أي كيف دارت الحا ل أعني أرينا ك بعض ماأوعدنا من إنزال العذاب عليهم، أوتوفيناك قبل ذلك، فما عليك إلا تبليغ الرسا لة فحسب، فقوله: أرينا ك أوتو فينا ك أن المراد بسرعة الحساب انقضائه فيزمان قليل؛لأ نهم جوزوا فيالدنيا فبقي قليل لم يجزبه فحو سب فيزما ن قليل.

حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفر بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل 'لا' مع المنفى النصب على الحال، أي يحكم نافذًا حكمه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ[٤١]﴾ فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بأنبيائهم والمؤمنين به منهم ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً﴾ إذ لا يؤبه بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعد جزاء ها ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ[٤٢]﴾ من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه، وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم، واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة إلى الدار كما عرفت. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكافر على إرادة الجنس ، وقرىء الكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله وسيعلم من أعلمه إذا أخبره.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ قيل: المراد بهم رؤساء اليهود ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ[٤٣]﴾ علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز، أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه، أو علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى أي كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إلا هو شهيدا بيننا فيخزى الكاذب منا، ويؤيده قراءة من قرأ ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾ بالكسر و ﴿عِلْمُ الْكِتٰبِ﴾ وعلى الأول مرتفع بالظرف فإنه معتمد على الموصول ، ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثاني ، وقرىء ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾ ﴿عِلْمُ الْكِتٰبِ﴾ على الحرف والبناء للمفعول.

عن رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضي وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة من الموفين بعهد الله.

---

قوله: إذلا يؤبه بمكردون مكره؛ فإ نه القادر على ما هوالمقصود منه دو ن غيره: فبعد جزاء ه فهو المكر كله لله؛لأ نه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عمايراد بهم .

قوله:ويؤيده قراء ةمن قرأ 'ومن عند ه 'با لكسر :أيمن لدنه علم الكتاب؛ لأ نه يدل على أن عا لم الكتاب هو الله تعالىٰ .

قوله:وهو متعين لـلثا نية: أيالوجه الثا ني متعين للقراء ة الثانية إذلوكا ن فا علاً للظرف لا يكو ن الكلا م تا مًا .

# سورة إبراهيم عليه السلام

وآياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾أي هو كتاب ﴿أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ بدعائك إياهم إلى ما تضمنه ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾من أنواع الضلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إلى الهدى ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الأذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة 'لتخرج' أو حال من فاعله أو مفعوله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ[١]﴾ بدل من قوله'إلى النور'بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأله عنه، وإضافة الصراط إلى الله تعالى إما لأنه مقصده أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله،.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر، أو الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته، وعلى قراءة الباقين عطف بيان لـ'العزيز' لأنه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ[٢]﴾وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور، والويل نقيض الوأل وهو

---

قوله:أواستئنا ف على أنه جواب لمن يسأل عنه:كأنه قيل: إلى أي نور؟ فأجيب إلى نور معنوي هو صراط العزيز الحميد .

قوله:وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سا لكه: يعني أن من شأن من له العزة أن لا يحصل ذل لمن سلك في طريقه بخلا ف الذليل، وكذا من شأن من له الحمد أن لا يخيب من سأ له لئلا يترك حمده .

قوله:أو"الله" خبر مبتدأ محذوف: أي هوالله .

قوله: لاختصا صه با لمعبو د: يعني أن الله في الأ صل للمعبود مطلقا ثم غلب على المعبو د الحق واختص به كا لنجم في الثريا- قيل فيه بحث على ما سبق في أول الكتاب .

النجاة ، وأصله النصب لأنه مصدر إلا أنه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لإفادة الثبات.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ يختارونها عليها فإن المختار للشيء يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها من غيره ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بتعويق الناس عن الإيمان ، وقرىء 'ويصدون' من أصده وهو منقول من صد صد ودًا إذا تنكب وليس فصيحًا؛ لأن في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ ويبغون لها زيغًا ونكوبًا عن الحق ليقدحوا فيه، فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه، أو على أنه مبتدأ خبره ﴿أُوْلَـٰئِكَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ[٣]﴾ أي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة ،أو للأمر الذي به الضلال فوصف به لملابسته.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ إلا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ، ثم ينقلوه ويترجموه إلى غيرهم فإنهم أولى الناس إليه بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم ، ولذلك أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإنذار عشيرته أولا، ولو نزل على من بعث إلى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الإعجاز ولكن أدى إلى اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها، والعلوم المتشبعة منها وما في أتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب. وقرىء بـ 'لسوه' لغة فيه كـ 'ريش' ورياش و'لُسُن' بضمتين وضمة

---

قوله: إلا أنه لم يشتق منه :فينصب بهلك على غير لفظه.

قوله: وهو منقول من صدصدوداً إذاتنكب: يعني أن الهمزة دخلت على 'صد' لتنقله من غير المتعدي إلى المتعدي وليس فصيحاً،لأن 'صده' جاء متعدياً كمنعه، فاستغنى الفصحاء بصده عن تكلف التعدية با لهمزة .

قوله: والبعد في الحقيقة للضا ل:لأنه الذي يتبا عد عن الحق لاالضلا ل الذي هو فعله لاالأ مر الذي بسببه الضلا ل، فهومن الإ سنا د المجازي، إمامن قبيل "جد جده" أومن قبيل "أنبت الربيع البقل" .

قوله: استقل ذلك بنوع من الإ عجا ز:وهو أن رجلاً واحداً تكلم بالأ لسن التي لا تكا د تنحصر كثرة .

قوله: وإضاعة فضل الا جتها د: أي فضل السعي في تعلم الأ لفا ظ العربية .

وسكون على الجمع كعمد وعمد، وقيل: الضمير في قومه لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن الله تعالى أنزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام أو كل نبي بلغة المنزل عليهم، وذلك ليس بصحيح يرده قوله: 'ليبين لهم' فإنه ضمير القوم، والتوراة والإنجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب ﴿ فَيُضِلُّ اللّٰهُ مَن يَشَآءُ ﴾ فيخذله عن الإيمان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتوفيق له ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ فلا يغلب على مشيئته ﴿الْحَكِيمُ[٤]﴾ الذي لا يضل ولا يهدي إلا لحكمه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيٰتِنَا ﴾ يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ بمعنى أي أخرج لأن في الإرسال معنى القول، أو بأن أخرج فإن صيغ الأفعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح أن توصل بها 'أن' الناصبة ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيّٰمِ اللّٰهِ﴾ بوقائعه التي وقعت على الأمم الدارجة وأيام العرب حروبها، وقيل: بنعمائه وبلائه ﴿ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ[٥]﴾ يصبر على بلائه ويشكر على نعمائه، فإنه إذا سمع بما أنزل على من قبل من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر، وقيل: المراد لكل مؤمن، وإنما عبر عنه بذلك تنبيهًا على أن الصبر والشكر عنوان المؤمن.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجٰكُم مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي اذكروا نعمته عليكم وقت إنجائه إياكم، ويجوز أن ينتصب بـ'عليكم' إن جعلت مستقرة غير صلة للنعمة، وذلك إذا أريد به العطية دون الأنعام، ويجوز أن يكون بدلا من 'نعمة الله' بدل الاشتمال ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾

---

قوله: بمعنى أي أخرج: فيكون 'أن' مفسرة، لأن الإرسال فيه معنى القول، كأ نه قال: أرسلنا وقلناله أخرج، إذ شرط 'أن' المفسرة أن يكو ن تفسيراً لما في معنى القول لا نفس القول.

قوله: فإن صيغ الأ فعال سواء في الدلالة على المصدر: أي يستوى فيه الأ مر وغيره

قوله: وأيا م العرب حروبها: يعني يقال: أيا م العرب بمعنى حروبها، قال في الكشاف: ومنه أيا م العرب لحروبها أي من قبيل استعما ل الأيا م للواقع.

قوله: إذا أريدت به العطية دو ن الإنعام: لأ نه حينئذ يكو ن ظرفاً لغواً لا مستقراً فلايتعلق به الظرف .

أحوال من آل فوعون ، أو من ضمير المخاطبين، والمراد بالعذاب هٰهنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف؛ لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه بالتذبيح هٰهنا، وهو إما جنس العذاب أوا ستعبادهم أو استعمالهم بالعمال الشاقة ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم ﴾ من حيث إنه بإقدار الله إياهم وإمهالهم فيه ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ[٦]﴾ ابتلاء منه، و يجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء والمراد بالبلاء النعمة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أيضًا من كلام موسى - صلى الله عليه وسلم- و' تأذن ' بمعنى آذن كـ' توعد وأوعد، غير أنه أبلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الإنجاء وغيره بالإيمان والعمل الصالح ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ نعمة إلى نعمة ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ ما أنعمت عليكم ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ[٧]﴾ فلعلي أعذبكم على الكفران عذابا شديدا، و من عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد، والجملة مقول قول مقدر أو مفعول 'تأذن' على أنه جار مجرى قال؛ لأنه ضرب منه.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ من الثقلين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿ حَمِيدٌ[٨]﴾ مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات، فما ضررتم بالكفر إلا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الإنعام وعرضتموها للعذاب الشديد.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ من كلام موسى عليه الصلاة والسلام ، أو كلام مبتدأ من الله ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ جملة وقعت اعتراضًا ، أو 'الذين من بعدهم' عطف على ما قبله و'لا يعلمهم' اعتراض، والمعنى أنهم لكثرتهم لا يعلم عددهم إلا الله، ولذلك قال ا بن مسعود رضى الله تعالى عنه: كذب النسابون ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ فعضوها غيظا مما جاء ت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى: ﴿عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ أو وضعوها عليها تعجبا منه أو استهزاء عليه كمن غلبه الضحك، أو إسكاتا للأنبياء عليهم

---

قوله: غير أنه أبلغ: كأ نه قيل: وإذا آذن ربكم إيذاناً بليغاً تنتفي عنه الشكوك وتنزح عنه الشبه .

قوله: ويعرض با لوعيد: حيث لم يقل لأ عذّ بنّكم .

الصلاة والسلام وأمرًا لهم بإطباق الأفواه، و أشاروا بها إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم ﴿ إنا كفرنا﴾تنبيها على أن لا جواب لهم سواه ، أو ردوها في أفواه الأنبياء يمنعونهم من التكلم، وعلى هذا يحتمل أن يكون تمثيلاً وقيل: الأيدى بمعنى الأيادي أي رد وا أيادي الأنبياء التي هي مواعظهم وما أوحى إليهم من الحكم والشرائع في أفواههم؛ لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاء ت منه ﴿وَقَالُوٓا إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾على زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ﴾ من الإيمان وقرىء 'تدعونا' بالإدغام ﴿مُرِيبٍ[٩]﴾ موقع في الريبة أو ذي ريبة وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الشيء .

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أدخلت همزة الإنكار على الظرف؛ لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك، أي إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه، وأشاروا إلى ذلك بقولهم ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾وهو صفة أو بدل، وشك مرتفع بالظرف ﴿ يَدۡعُوكُمۡ ﴾ إلى الإيمان ببعثه إيانا ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم﴾ أو يدعوكم إلى المغفرة كقولك: دعوته لينصرني، على إقامة المفعول له مقام المفعول به ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى، فإن الإسلام يجبه دون المظالم،

---

قوله:وأشاروا بها إلى ألسنتهم ومانطقت به: أي أشاروا بأيديهم إلى ما نطقت به ألسنتهم وهو قولهم: إنا كفرنا.

قوله:وعلى هذا يحتمل أن يكو ن تمثيلاً: شبه حالة منعهم الأنبياء عن التكلم بحال من يرد وا أيديهم في أفواه الأ نبيا ء، لاوضع اليد هنا ك في أفواه الأ نبياء .

قوله:مو قع في الريبة أوذي ريبة:من أرابه أومن أراب الرجل. قا ل الجو هري: رابني فلا ن إذا رابت منه ما يريبك وتكرهه، وهذيل تقول:أرابني فلا ن وأراب الرجل صار ذاريبة .

قوله:لأن الكلا م في المشكو ك فيه: يعني من حق الا ستفها م أن يدخل على فعل الشك لا على الظرف الذي هو متعلقه ، وإنما دخل عليه لأن التردد إنماو قع في المشكو ك فيه لا في الشك،لأن الشك موجو د متحقق لاإنكا ر فيه .

قوله:على إقا مة المفعول له مقام المفعول به:يعني أن المدعو إليه هو المغفرة وهو المفعول به غير الصريح وقد حذف وأقيم مقا مه ﴿ليغفرلكم﴾ .

وقيل: جيء بـ' من' في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين

الخطابين، ولعل المعنى فيه أن المغفرة حيث جاء ت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان، وحيث جاء ت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتناول الخروج عن المظالم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعماركم ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله أن يبعث إلى البشر رسلا لبعث من جنس أفضل ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ بهذه الدعوى ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ[١٠]﴾ يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية، أو على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاء وا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتًا ولجاجًا

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنّه عليهم، وفيه دليل على أن النبوة عطائية ، وأن ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس إلينا الإتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه ، وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ[١١]﴾ فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم، عمموا الأمر للإشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدًا

---

قوله:تفرقة بين الخطابين: وأن لا يسوى بين الفريقين في الميعاد كذا في الكشاف، وتوضيحه ما ذكره المصنف وهو أن المغفرة للكفار مرتبة على مجرد الإيمان، فكان المغفور به هو الشرك دون غيره وهو بعض الذنوب، ومغفرة المومنين مرتبة على الإيمان المشفوع بالطاعة فيما أمروا به والتجنب عن المعاصي فيما نهوا عنه، كرد المغصوب فكان المغفور لهم جميع الذنوب، وقيل: الإسلام يهدم ما كان قبله على الإطلاق مظلمة كبيرة كانت أو صغيرة .

قوله:من جنس أفضل: وهم الملائكة .

قوله:للإشعار بما يوجب التوكل: وهو فاطر السموات والأرض الخ ـ وقصد لهم به قصدًا أوليًا كأنهم قالوا: ونحن أحق وأولى بالتوكل على الله، لأنا مختصون بالهداية نعرفه بهم ونعلم أن الأمور كلها بيده .

أوليًا ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ التي بها نعرفه ونعلم أن الأمور كلها بيده. وقرأ أبو عمرو بالتخفيف ههنا، وفي العنكبوت ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ جواب قسم محذوف أكد وا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ[١٢]﴾ فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن إيمانهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ حلفوا على أن يكون أحد الأمرين، إما إخراجهم للرسل ، أو عودهم إلى ملتهم، وهو بمعنى الصيرورة لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط،ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾أي إلى رسلهم﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ [١٣]﴾على إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجراه لأنه نوع منه.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ أي أرضهم وديارهم كقوله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾وقرىء:'ليهلكن' و'ليسكننكم' بالياء اعتبارا لأوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الموحى به، وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة، أو قيامي عليه لا علمه، وقيل: المقام مقحم ﴿وَخَافَ وَعِيدِ[١٤]﴾أي وعيدي بالعذاب أوعذابي الموعود للكفار.

---

قوله:فليثبت المتوكلو ن على ما استحدثوه: جواب سوال، وهو أن يقال: كيف كررالأ مر؟ فأجا ب بأن المراد بالأ ول استحداث التوكل، وبالثا ني الثبا ت عليه .

قوله:وهو بمعنى الصيرورة: واستعمال 'عاد' بمعنى 'صار'كثير في كلا مهم كثرة فاشية ـ قيل:لو كا ن 'عا د' بمعنى 'صار' لقيل: لتعودن إلى ملتنا ـ أجيب بأنه إنما يلزم ذلك لو كا ن 'في ملتنا' صلة 'لتعودن' وليس كذلك،لأن 'عا د' إذا كا ن بمعنى 'صار'لم يكن 'من' صلته ـ وإنما هوخبر عنه .

قوله:فغلبوا الجما عة على الوا حد: فنسبوا العود إلى المجموع .

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ سألوا من الله الفتح على أعدائهم ،أو القضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة كقوله ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾وهو معطوف على ﴿فأوحى﴾ والضمير للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقيل: للكفرة، وقيل: للفريقين، فإن كلهم سألوه أن ينصر المحق ويهلك المبطل، وقرىء بلفظ الأمر عطفًا على 'ليهلكن' ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ[١٥] ﴾أي ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل جبارعات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح، ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع.

﴿مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ﴾أي من بين يديه فإنه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة ، وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآء﴾ عطف على محذوف ، تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى، ويسقى من ماء ﴿صَدِيدٍ[١٦]﴾ عطف بيان لـ'ماء' وهو ما يسيل من جلود أهل النار.

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتكلف جرعه وهو صفة لماء، أو حال من الضمير في'يسقى' ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه، والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة، وقبول نفس ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات ، وقيل: من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح ﴿وَمِن وَرَآئِهِ﴾ ومن بين يديه ﴿ عَذَابٌ

---

قوله:من الفتاحة :وهي الحكو مة.

قوله:وقيل:للكفرة :ظناً منهم أنهم على الحق والأ نبيا ء على الباطل .

قوله:كا ن أوقع :لأن ادعاء هم للنفع فعا د عليهم با لضر فهذا كما ل الخيبة بخلاف ما إذا كا ن الضمير للأ نبيا ء؛ فإ نه حينئذ يكو ن لهم مجرد الخيبة .

قوله:فإ نه مرصدبها: قا ل الجو هري: الرصد للشيء الرا قب له، يقال: رصده يرصده رصدًا، والمرصد مو ضع الرصد .

قوله:من وراء حياته: فكا ن 'وراء' بمعنى الخلف، قا ل الجو هري : وراء بمعنى خلف، وقديكو ن بمعنى قدام .

قوله:عطف بيا ن لما ء: لأ نه مبهم فبين بقوله ﴿صديد﴾ .

قوله:من كل مكا ن من جسده: يعني ليس في جسده مو ضع إلا ويأتيه المو ت من شدة العذاب حتى يجد طعم الموت كر به .

غَلِيظٌ[١٧]﴾أي يستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه، وقيل: هو الخلود في النار، وقيل: حبس الأنفاس، وقيل: الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في أهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي أرسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله، فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم أن يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾مبتدأ خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مَثَل في الغرابة، أو قوله﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾وهو على الأول جملة مستأنفة لبيان مثلهم، وقيل: أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾حملته وأسرعت الذهاب به. وقرأ نافع :الرياح ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم: نهاره صائم، وليله قائم .شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباء منثورا، لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها إليه .أوأعمالهم للأصنام برماد طيرته الريح العاصف ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾من أعمالهم ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لحبوطه فلا يرون له أثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ[١٨]﴾ فإنه الغاية في البعد عن طريق الحق.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾خطاب للنبي- صلى الله عليه وسلم- المراد به أمته، وقيل: لكل واحد من الكفرة على التلوين ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾والحكمة والوجه الذي يحق أن تخلق عليه. وقرأ حمزة والكسائي:خالق السموات ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ[١٩]﴾يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم، رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والأرض استدلالا به عليه فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم

---

قوله:وقيل:الآ ية منقطعة: يعني قوله:﴿واستفتحوا﴾ ليس من قصه الرسل .

قوله:طلبوا الفتح الذيهوالمطر: قا ل الجو هري: الفتح الما ء يجرى من عين أو غير ها

قوله:صفتهم التي هي مثل في الغرا بة: فا لمثل مستفاد للصفة التي فيها غرا بة .

قوله:فإ ن من خلق أصو لهم: المراد با لأصول العناصرالأ ربعة التي يتر كب منها المر كبا ت وبما يتوقف عليه تخليقهم الفلكيا ت، أي بالأفلا ك ، وما فيها من الكواكب، فإن آبا ئهم العلويا ت وأمهاتهم السفليا ت يؤثرالعلويا ت، ويتأ ثر منها السفليا ت، وبتكوينهم بتبديل الصور، وتغيير الطباع حصول المزاج من كسر العنا صر بعضها طبيعة الآخر.

بتبديل الصور وتغيير الطبائع قد ر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ[٢٠]﴾ بمعتذر أو متعسر فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقد ور د ون مقدور، ومن كان هذا شأنه كان حقيقًا بأن يؤمن به ويعبد رجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه يوم الجزاء ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لأمر الله تعالى ومحاسبته، أولله على ظنهم؛فإنهم كانوا يخفون أرتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفى على الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم ، وإنما ذكر بلفظ ا لماضي لتحقق وقوعه ﴿فَقَالَ الضُّعَفَٰٓؤُا﴾ الأتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي، وإنما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة في يميلها إلى الواو ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ لرؤوسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم ، وهو جمع تابع كغائب وغيب ، أو مصدر نعت به للمبالغة ، أو على إضمار مضاف ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ دافعون عنا ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾من الأولى للبيان واقعة موقع الحال، والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله، ويجوز أن تكونا للتبعيض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله، والإعراب ما سبق، ويحتمل أن تكون الأولى مفعولاً والثانية مصدرًا أ ي فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء ﴿قَالُوا﴾ أي الذين استكبروا جوابا عن معاقبة الأتباع واعتذارعما فعلوا بهم ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ للإيمان ووفقنا له﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا ،أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ مستويان علينا الجزع والصبر ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ[٢١]﴾منجي ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدل على جهة الفرار، وهو يحتمل أن يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب، ويجوز أن يكون قوله :'سواء علينا' من كلام الفريقين ، ويؤيده ما روي أنهم يقولون: تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم، فيقولون: تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النارخطيبا في الأشقياء من الثقلين ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ وعدًا من حقه أن

---

قوله:في الأ شقياء من الثقلين: أيقا م خطيبا في الجن والا نس مشر فًا عليهم في النار بحيث يرو نه ويسمعون كلا مه ويجتمع عليه الكفار باللايمة فيقول لهم:إن الله وعدك الخ

ينجزه أوعداً وهو الوعد بالبعث والجزاء﴿ وَوَعَدتُّكُمْ ﴾ وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لكم ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ جعل تبين خلف وعده كالأخلاف منه ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ تسلط فألجئكم إلى الكفر والمعاصي﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾ إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله: تحية بينهم ضرب وجيع.. ويجوز أن يكون الإستثناء منقطعًا ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِيْ﴾أسرعتم إجابتي﴿فَلَا تَلُومُونِيْ﴾ بوسوستي فإن من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك ﴿ وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ حيث أطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم، واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بأفعاله وليس فيها ما يدل عليه؛ إذ يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله أصحابنا ﴿مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾بمغيثكم من العذاب﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ بمغيثي. وقرأ حمزة بكسر الياء على الأصل في التقاء الساكنين ، وهو أصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياء ين وثلاث كسرات مع أن حركة ياء الإضافة الفتح، فإذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحري أن لا تكسر.

---

قوله:وعداً من حقه أن ينجز:أنه وعد بما في الوا قع وفي نفس الأمر بخلاف الوعد بغير الوا قع .

قوله:جعل تبين خلف وعده كالإخلا ف منه: إذ لا خلا ف منه حقيقة إذ لا قدرة له على الإ نجاز والإخلا ف .

قوله:وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قو له : يعني جعل السلطنة نوعين: متعارفًا وغير متعارف، وجعل هذاأحد نوعيه ثم استثنى منه كما جعل التحية نو عين متعارفًا وهو مايقال عند الا لتقاء، وغير متعارف وهو الضرب الوجيع على التهكمية والادعاء فا ستثنى منه.

قوله:لايلا م بأمثال ذلك:أي با لوسوسة والدعاء إلى القبيح بالتسويل والتزيين .

قوله:واحتجت المعتزلة بأ مثال ذلك على استقلا ل العبد بأ فعاله: حيث أضا ف الشيطان اللو م إلى أنفسهم .

قوله:مع أن حركة يا ء الإ ضا فة الفتح: يعني أن الا صل في حركة ياء الإ ضا فة الفتح، فإذا لم يكسر إذا كا ن قبلها ألف نحوعصا ي فاولى أن لا يكسرإذا كان قبلها يا ء. لأن اليا ء بمنزلة الكسرة بل بمنزلة الكسرتين فيجتمع الكسرتا ن .

وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الإضافة إجراء لها مجرى الهاء، والكاف في ضربته وأعطيتكه ، وحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾'ما' إما مصدرية و'من' متعلقة بأشركتموني أي كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله :﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ أو موصولة بمعنى 'من' نحو 'ما' في قولهم: سبحان ما سخركن لنا، و'من' متعلقة بـ'كفرت' أي كفرت بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم إياي فيما دعوتكم إليه من عبادة الأصنام وغيرها من قبل إشراككم ،حين رددت أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام، وأشرك منقول من 'شركت زيدا' للتعدية إلى مفعول ثان ﴿إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٢٢]﴾ تتمة كلامه، أو ابتداء كلام من الله تعالى، و في حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتد بروا عواقبهم.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بإذن الله تعالى وأمره والمدخلون هم الملائكة. وقرىء: وأدخل على التكلم فيكون قوله ﴿بإذن ربهم﴾متعلقا بقوله﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ[٢٣]﴾ أي تحييهم الملائكة فيها بالسلام بإذن ربهم.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ كيف اعتمده ووضعه ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾

---

قوله:أوعلى لغة من يزيدياء على ياء الإضافة: زعم قطرب أنه لغة بني يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء .ووجهه في القياس أن الياء فيه كالهاء والكاف في ضربته واعطيناك. فكما أن الهاء والكاف قد لحقتهما الزيادة ويقال: ضربته واعطيتكاه كذلك لحقت الزيادة في هذا .

قوله:أوموصولة بمعنى 'من' نحو ما في قولهم :يريد أن 'ما' على أن يكون موصولة يراد به الله عزوجل و'ما' لا يستعمل في ذوى العلم إلا باعتبار الوصفية وتعظيم شأنه كمافي قولهم ـسبحان ما سخركن لنا أي سبحان العظيم الشأن الذي سخركن لنا .

قوله:أي كفرت بالذى أشركمتونيه: أي كفرت بالله الذي جعلتموني شريكًا له بالطاعة في زمن رددت أمره بالسجود لآدم .

قوله: والمدخلون هم الملائكة: أي أدخلتهم الملائكة في الجنة بإذن ربهم وأمره

قوله:كيف اعتمده: أي كيف جعل المثل ما يعتمد عليه في إيضاح المقصود فوضعه واعتمدت على الشيء اتكأت عليه، أي اعتمد الله على المثل في إيضاح المقصود فوضعه .

أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ﴿ضرب الله مثلا﴾ ويجوز أن تكون 'كلمةً' بدلاً من 'مثلا' و'شجرة' صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة وإن تكون أول مفعولي ضرب إجراء له مجرى جعل، وقد قرئت بالرفع على الابتداء ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ضارب بعروقه فيها ﴿وَفَرۡعُهَا﴾ وفروعها وأعلاها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ[٢٤]﴾ ويجوز أن يريد وفروعها أي أفنائها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الإضافة. وقرئ: ثابت أصلها، والأول على أصله ولذلك قيل إنه أقوى ولعل الثاني أبلغ.

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾ تعطى ثمرها ﴿كُلَّ حِينِۢ﴾ وقته الله تعالى لإثمارها ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهَا﴾ بإرادة خالقها وتكوينه ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ[٢٥]﴾ لأ ن في ضربها زيادة إفهام وتذكير، فانه تصوير للمعاني وإدناء لها من الحس.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كمثل شجرة خبيثة ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية ﴿مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ لأن عروقها قريبة منه ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٖ[٢٦]﴾ استقرار واختلف في الكلمة والشجرة، ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الإسلام والقرآن ، والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى والدعاء إلى الكفر وتكذيب الحق، ولعل المراد بهما ما يعم ذلك، فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أو دعا إلى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك ، وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة. وروى ذلك مرفوعًا وبشجرة في

---

قوله: ويجوز أن يريد وفروعها: يعني أن الفرع إما أن يحمل على أعلى الشجرة أوعلى أغصان الشجرة بأن يكتفي بلفظ الجنس عن الجمع لاكتسابه الاستغراق من إضا فة اسم الجنس كما تقررعندهم.

قوله: والأول على أصله ولذلك قيل: إنه أقوى: قا ل صا حب الكشا ف: قرأة الجماعة أقوى معنى؛ لأن فيها أجريت الصفة على الشجرة. وإذا قلت: مررت برجل قائم أبوه؛ أن المخبر عنه إنما هو الأ ب لا الرجل. قا ل الطيبي: الفقه فيه أن الصفة إذا كا نت في المعنى لما هو من سبب المو صوف جرت عليه. وإذا كا نت الثبا ت في الحقيقة إنما هو للأصل، فا لمعتمد با لثبات هوالأ صل فالأ حسن تقدم الاصل ومن ثم قا لوا: زيداً ضربت فقدموا المفعول؛ لأن الغرض هنا ليس ذكر الفا عل والمقصودذكر المفعول فقدم عناية بذكره، وأما أن الثا ني أبلغ فلما فيه من التفصيل بعدالاجمال الذي أوقع من التفصيل ابتداءً .

قوله: وأخذت جثتها با لكلية: لأن حقيقة الاجتثا ث أخذ الجثة كلها .

الجنة ، والخبيثة بالحنظلة والكشوث، ولعل المراد بهما أيضًا ما يعم ذلك.

﴿يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ﴿فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يزالون إذا فتنوا في دينهم كزكريا ويحي عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم أصحاب الأخدود ﴿وَفِي الاٰخِرَةِ﴾فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف، ولا تدهشهم أهوال يوم القيامة. وروي أنه ـصلى الله عليه وسلم ـ ذكر قبض روح المؤمن فقال: ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره، ويقولان له من ربك ؟وما دينك؟ ومن نبيك ؟فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله:﴿يثبت الله الذين آمنوابالقول الثابت﴾[ابراهيم:٢٧] ﴿وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰلِمِيْنَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون إلى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ﴿ وَيَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَآءُ[٢٧]﴾من تثبيت بعض وإضلال آخرين من غير اعتراض عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّٰهِ كُفْراً﴾ أي شكر نعمته كفرًا بأن وضعوه مكانه، أو بدلوا نفس النعمة كفرًا ، فإنهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها ،كأهل مكة خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا أذلاء ، فبقوا مسلوبي النعمة وموصوفين بالكفر. وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية: فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين ﴿وَأَحَلُّوْا قَوْمَهُمْ﴾ الذين شايعوهم في الكفر﴿دَارَ الْبَوَارِ[٢٨]﴾دار الهلاك بحملهم على الكفر.

﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لها﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حال منها أو من القوم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ[٢٩]﴾ أي وبئس المقر جهنم.

﴿وَجَعَلُواْ لِلّٰهِ أَنْدَاداً لِّيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيْلِهٖ﴾ الذي هو التوحيد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الإضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن لماكان نتيجته

---

قوله:أومفسر لفعل مقدر: أي يصلون جهنم يصلونها .

قوله:وبئس المقرجهنم :قال الجو هري:القرار المستقر من الأرض .

جعل كالغرض ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا ﴾ بشهواتكم أو بعبادة الأوثان، فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدد به، وأن الأمرين كائنان لا محالة ، ولذلك علله بقوله ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ[ ٣٠]﴾ وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من أمر مطاع.

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ خصهم بالإضافة تنويهًا لهم وتنبيهًا على أنهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول 'قل' محذوف دل عليه جوابه أي قل: لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا ﴿يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ فيكون إيذانًا بأنهم لفرط مطاوعتهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره، وأنه كالسبب الموجب له ، ويجوز أن يقدرا بلام الأمر ليصح تعلق القول بهما ، وإنما حسن ذلك هٰهنا ولم يحسن في قوله "محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا "لدلالة قل عليه وقيل:هما جوابا أقيموا وأنفقوا قائمين مقامهما وهو ضعيف؛ لأنه لا بد من

---

قوله:جعل كا لغرض :وشبه به في الترتب، فاستعير اللا م المو ضو عة للغرض له كما في قو له تعالىٰ: ﴿فا لتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنًا﴾ ـ

قوله: فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها: الظا هر أن لفظ التمتع يستعمل في الشهوات التي يتمتع بها، ولهذا قا ل ذو النو ن: التمتع أن يقضي العبد مااستطا ع من شهو ته.

قوله: إيذان بأ ن المهددعليه كالمطلوب: يعني إنما أورد بصورة الأ مر إيذا نًا بأن المهدد عليه وهوالتمتع كالمطلوب؛لإفضائه إلى المهدد الذي هو المقصود وهو دخول النا ر وهوالمخا طب؛لإنهما كه فيه كالمأ مور من أمر مطا ع لا يسعه أن يخا لفه.

قوله: على أنهم المقيمو ن لحقوق العبودية:بايمان بي ومخا لفة الذين أشر كوابي غيري.

قوله:دل عليه جوا به :وهو'يقيموا' أيقل لهم: يقيموا الصلوة، ولما توجه الا عتراض عليه من أن الإ قامة ليست بلا زمة ولا مسبب له، أجا ب عنه بأن الخطا ب للمو منين وهولفرط مطاوعتهم له بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره كا ن قوله كا لسبب المو جب لفعله وهو لا زم له .

قوله:لدلا لة قل عليه:يعني أن تقديم صيغة الأ مر قرينة تدل على أن'تقيموا' أمر واللام مقدرة.

قوله:قا ئمين مقامهما: يعني حذفا وأقيم جوابهما مقامهما۔ والتقدير 'اقيموا' إن تقيموا يقيموا،وهو ضعيف؛ لا تحا د الشرط والجزاء .

مخالفة ما بين الشرط وجوابه، ولأن أمر المواجهة لإيجاب بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحدًا﴿سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾ منتصبان على المصدر أي إنفاق سر وعلانية، أو على الحال أي ذوي سر وعلانية ، أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية والأحب إعلان الواجب وإخفاء المتطوع به ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره، أو يفدي به نفسه ﴿وَلَا خِلَلٌ[٣١]﴾ ولا مخالة فيشفع لك خليل أو من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله تعالى. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام.

﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ مبتدأ وخبر ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج و' من الثمرات' بيان له و حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة أو المصدر؛ لأن أخرج في معنى رزق ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بمشيئته إلى حيث توجهتم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَٰرَ[٣٢]﴾ فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم، وقيل: تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية اتخاذها.

﴿وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ﴾ يدأبان في سيرهما وإنارتهما وإصلاح ما يصلحانه من المكونات ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ[٣٣]﴾ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى، ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقيا بأن يسأل لاحتياج الناس إليه سئل أو لم يسأل، و'ما' يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول .وقرئ:من كل

---

قوله:والأحب إعلان الواجب وإخفاء المتطوع به:دفعاً للتهمة واحترازاً عن الريا .

قوله: أومن قبل أن يأتي يوم لاانتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة :أي يوم لا ينفع فيه مبايعة ومخالة في الدنيا، وإنما ينفع فيه الإنفاق لوجه الله في الدنيا.

قوله:على النفي العام: أي لنفي الجنس .

قوله:حال منه:الظاهر أن يكون 'من' على هذا تبعيضية.

قوله:ويحتمل عكس ذلك :أي يجوز أن يكون 'من الثمرات' مفعول و'رزقًا' حال. فعلى هذا يكون 'من' تبعيضية أي أخرج بعض الثمرات حال كونه رزقًا لكم .

بالتنوين أي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم إليه وسألتموه بلسان الحال، ويجوز أن تكون 'ما' نافية في موقع الحال أي وآتاكم من كل شيء غير سائليه﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن إفرادها فإنها غير متناهية، وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ ﴾ يظلم النعمة بإغفال شكرها أو بظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان﴿كَفَّارٌ[٣٤]﴾ شديد الكفران، وقيل: ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ﴾ بلدة مكة ﴿ آمِناً ﴾ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله:﴿ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَآمِنا﴾[البقرة:١٢٦] أن المسؤول في الأول وإزالة الخوف عنه وتصييره آمنا، وفي الثاني: جعله من البلاد الآمنة ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ بعدني وإياهم ﴿ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ[٣٥]﴾ واجعلنا منها في جانب، وقرىء:واجنبني، وهما على لغة نجد، وأما أهل الحجاز فيقولون: جنبني شره، وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله وحفظه إياهم ، وهو بظاهره لا يتناول أحفاده وجميع ذريته، وزعم ابن عيينة أن أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبد وا الصنم محتجا به، وإنما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون: البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾فذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من إضلالهن وإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله تعالى ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾[الانعام:٧٠]﴿فَمَن تَبِعَنِي ﴾على ديني ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾أي بعضي لا ينفك في أمر الدين﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[٣٦]﴾ تقدرأن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة، وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعد فرق بينه وبين غيره

---

قوله:أيوآتاكم من كل شيء:غير سائليه-قيل فيه بحث -لأنه يستلزم إيتاء بعض كل شيء، وذلك الإيتاء غير ظاهرالتحقق .

قوله:أن المسؤول في الأول: يعني أن مكة كان بلدًا فيالاول -وكان مخوفًا خائفًا أهلها فسأله أن يجعله آمنًازائلا عنه الخوف- وفيالثاني لم يكن بلدا فسأله أن يجعله بلدًا من جملة البلاد الآمنة.

قوله:إلا أن الوعد فرق بينه وبين غيره: وهو﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ .

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم إسماعيل ومن ولد منه فإن إسكانه متضمن لإسكانهم ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ يعنى وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي حرمت التعرض له و التهاون به، أو لم يزل معظما ممنعاًيهابه الجبابرة ،أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه، ولذلك سمي عتيقا أي أعتق منه و دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول إليه . روي أن هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبتها لإبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل عليه السلام فغارت عليها فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة، فأظهر الله عين زمزم، ثم إن جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا: لا طير إلا على الماء فقصد وه فرأوهما وعندهما عين، فقالوا: أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ اللام لام كي وهي متعلقة بـ'أسكنت'أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم، وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات من إسكانهم ثمة، والمقصود من الدعاء توفيقهم لها، وقيل: لام الأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة، كأنه طلب منهم الإقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ ﴾ أي أفئدة من أفئدة الناس، و من للتبعيض؛ ولذلك قيل: لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى، أو للابتداء كقولك: القلب مني سقيم أي أفئدة ناس، وقرأ هشام:أفئيدة يخلف عنه بياء بعد الهمزة. وقرىء:آفدة، وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدؤر، وأن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم و'أفدة'

---

قوله:بعض ذريتي أوذرية من ذريتي: يعني يحتمل أن يكو ن 'من' للتبعيض، وأن يكون للابتداء بتقدير ذرية والمعنى واحد .

قوله:ود عا بهذا الدعاء :يعني لودعا هذا الدعا وهو قوله تعالى: ﴿ربناإني أسكنت ـإلى ـ قوله: فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ أول ما قدم مكة قبل بناء كعبة كا ن ذلك با عتبار ما كا ن في زمن سا لف كا ن ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام يعرفه؛ لأن آدم عليه السلا م بنا ه فرفع في زمن الطوفان .

قوله:وتكر ير النداء وتوسيطه: أيتكريره بطريق التو سيط للاشعارلا مجرد التكرير، مثل ربنا ربنا إنيأسكنت .

بطرح الهمزة للتخفي وإن كان الوجه فيه إخراجها بين بين ويجوز أن يكون من أفد ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تسرع إليهم شوقًا ووداًا. وقرىء تهوى على البناء للمفعول من أهوى إليه غيره، و'تهوي'من هوى يهوى إذا أحب وتعديته بإلى لتضمنه معنى النزوع ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَٰتِ﴾ مع سكناهم واديا لا نبات فيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ[٣٧]﴾ تلك النعمة فأجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرمًا آمنا يجيء إليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ تعلم سرنا كما تعلم علننا، والمعنى إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا بأنفسنا فلا حاجة لنا إلى الطلب لكنا ندعوك إظهارًا لعبوديتك وافتقارًا إلى رحمتك واستعجالاً لنيل ما عندك، وقيل: ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع إليك والتوكل عليك، وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ إلى الله تعالى ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ[٣٨]﴾ لأنه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته إلى كل معلوم ومن للاستغراق.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ﴾ أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد،قيد الهبة بحال الكبر استعظامًا للنعمة وإظهارًا لما فيها من آلائه ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ روي أنه ولد له إسماعيل لتسع وتسعين سنة وإسحاق لمائة واثنتى عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ[٣٩]﴾ أي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي إذا اعتد به وهو من أبنية

---

قوله:وإن كا ن الوجه فيه إخراجها بين بين: أي بين مخرجها وبين مخرج الحروف التي منها حركتها وهى هنا الياء وهو مشهور وغيرمشهور. قيل:فيه نظر، لأن بين بين إما ساكن أو قريب من الساكن على اختلا ف المذهبين، فعند الكوفيين همزة بين بين سا كنة وعندنا متحركة حركة ضعيفة يجيء بها نحوا لساكن، فلوجعل هذه الهمزة بين بين لزم التقاء الساكنين أوفي حكمه .

قوله: من أفد: بمعنى دنا وأزف .

قوله: من وجد الفرقة: أي بيني وبين سا رة .

قوله:لمجيبه: يعني أن السماع هنا بمعنى الإ جا بة من قولك سمع الملك كلا مى إذا اعتدبه وقبله .

المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله على إسناد السماع إلى دعاء الله تعالى على المجاز، وفيه إشعار بأنه دعا ربه وسأل منه الولد فأجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها.

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ ﴾معدلًا لها مواظبًا عليها﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه بإعلام الله أو استقراء عادته في الأمم الماضية أنه يكون في ذريته كفار﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ [٤٠]﴾ واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ﴾ وقرئ ولأبوي، وقد تقدم عذر استغفاره لهما، وقيل: أراد بهما آدم وحواء ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ[٤١]﴾ يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم :قامت الحرب على ساق، أو يقوم إليه أهله فحذف المضاف أو أسند إليه قيامهم مجازا.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّلِمُونَ ﴾ خطاب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد به تثبيته على ما هو عليه من أنه تعالى مطلع على أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه خافية، والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة، أو لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارًا بإمهاله، وقيل: إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ يؤخر عذابهم. وعن أبى عمرو بالنون ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ[٤٢]﴾ أي تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما ترى.

﴿مُهْطِعِينَ ﴾أي مسرعين إلى الداعي أو مقبلين بأبصارهم لا يطوفون هيبة وخوفًا وأصل الكلمة هو الإقبال على الشيء ﴿مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ ﴾رافعيها﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ بل تثبت عيونهم شاخصة لا تطرف أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم

---

قوله:أوفا عله على أن السما ع إلى دعا ء الله على المجا ز: أي لسميع دعاء ه أي دعاء الله .

قوله:بإعلا م الله: وذلك قوله :﴿لا ينال عهدي الظا لمين﴾ .

قوله:مستعارمن القيا م على الرجل: شبه ثبوت الحساب في الثبوت والوقوع بحا ل انسان هي اقوى حال وهو القيا م على الرجل .

قوله:أي تشخص فيه أبصارهم :يقال شخص بصر فلا ن واشخصه صاحبه إذا فتح عينه ولم يطرف جفنتيه .

﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآء[٤٣]﴾ خلاء أى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ، ومنه يقال للأحمق وللجبان قلبه هواء أي لا رأى فيه ولا قوة قال زهيرهواء "من الظلمان جؤجؤه " وقيل: خالية عن الخير خاوية عن الحق.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ يا محمد﴿يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾يعني يوم القيامة أو يوم الموت فإنه أول أيام عذابهم وهومفعول ثان لـ'أنذر'﴿ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ بالشرك والتكذيب ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾ أخر العذاب عنا أو ردنا إلى الدنيا ومهلنا إلى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونحبك ونجيب دعوتك ﴿نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ جواب للأمر ونظيره"لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين"﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ[٤٤]﴾ على إرادة القول و'ما لكم 'جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية ، والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا

---

قوله:من الظلما ن:صدره:كأن الرجل منها فوق صعل . الصعل: الصغيرالراس والعنق من الرجا ل والنعام ومن غير هما.فسر العنق-والظلمان- جمع ظليم والجؤجؤ من الطائر، والسفينة صدرهما يهمز ولا يهمز-يصف مطية با لقلق ويقول: كان رجل هذه المطية فوق ظليم أي نعا مة لا قوة في قلبه- لأن النعا مة يضرب بها المثل في الجبن .

قوله:وهومفعول ثان 'لأنذر:لاظرف إذالانذارلا يكو ن في ذلك اليو م .

قوله:﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ با لشرك والتكذيب: أي ظلموا أنفسهم أنفسهم .

قوله:أوأخرآجالنا: هذا على تقدير أن يراد بـ﴿يو م يأ تيهم العذاب﴾ يو م المو ت، والأول على تقدير ذلك يراد به يو م القيمة أي سألوا أن يؤخرهم فلا يمسهم في ذلك اليو م المو ت ويبقيهم إلى أجل قريب مقدار ما يجيبون دعوتك فيه إلى الإ سلا م ويتبعون الرسل على دينهم

قوله:جا ء بلفظ الخطاب: يعني أن الظا هرأن يقال: مالنا من زوال على طريق الحكاية للفظ المقسمين إلاأنه أورد بلفظ الخطا ب ليطابق قوله: اقسمتم إنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء .

قوله:ولعلهم أقسموابطرًا وغرورًا:أي أولم تكونوا بطرين مغرورين قا ئلين: والله ما لنا من زوال- أولم تكونوا قا ئلين بلسا ن الحا ل ولا قول ثمة ولا قسم حيث بنوا القصر الشديد والأمل البعيد .

شديدًا وأملوا بعيدًا، وقيل: أقسموا أنهم لا ينتقلون إلى دار أخرى وأنهم إذا ماتوا لا يزالون على تلك الحالة إلى حالة أخرى كقوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾[النحل:٣٨]

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي كعاد وثمود وأصل سكن أن يعدى بـ' في' كقرّ وغني وأقام، وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بما تشاهد ونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ[٤٥]﴾ من أحوالهم أي بينّا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ المستفرغ فيه جهدهم لإبطال الحق وتقرير الباطل ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وإبطالا له ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ في العظم والشدة ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ[٤٦]﴾ مسوى لإزالة الجبال وقيل إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ على أن الجبال مثل لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحوه، وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتًا وتمكنًا من آيات الله تعالى وشرائعه، وقرأ الكسائي "لتزول" بالفتح والرفع على أنها المخففة ، واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم، وقرىء بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي، وقرأ:وإن كاد مكرهم

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ مثل قوله: إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، وأصله مخلف رسله وعده، فقدم المفعول الثاني إيذانا بأنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله: إن الله لا يخلف الميعاد، وإذا لم يخلف وعده أحدًا فكيف يخلف رسله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يماكر قادر لا يدافع ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ[٤٧]﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدل من ﴿يوم يأتيهم﴾ أو ظرف للانتقام أو مقدر بـ' اذكر' أو لا يخلف وعده، ولا يجوز أن ينتصب بمخلف ؛لأن ما قبل أن لا يعمل فيما بعده

---

قوله:أي بيننا لكم أن مثلكم :فعلى هذا يكون الأمثال جمع المثل بكسر الميم، وعلى الوجه الثاني يكون جمع المثل بفتح .

قوله:واللام مؤكدة لها: أي زائدة لتاكيدالنفي.

﴿وَالسَّمٰوٰتُ﴾ عطف على الأرض، وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم دنانير، وعليه قوله: بدلناهم جلودا غيرها، وفى الصفة كقولك: بدلت الحلقة خاتما، إذا أذبتها وغيرت شكلها، وعليه قوله ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ والآية تحتملهما فعن على رضى الله تعالى عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب . وعن ابن مسعود وأنس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطء عليها أحد خطيئة. وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها، ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا،

---

قوله: فقدم المفعول الثاني إيذاناً بأنه لا يخلف الوعد أصلاً :يعني أن المقصود والأهم بالنفي انتفاء إخلاف الوعد، فكأنه قال: إن الله لا يخلف الميعاد: وليس من شانه ذلك فكيف رسله الذين هم خيرته وصفوته ـ وكان ذلك الرسل تتميما لذلك التقييد مبالغة فيه ـ قال الجرجاني: مثل ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن﴾ وإنما قدم شركاء للإيذان بأنه لا ينبغي أن يتخذا لله شريكا مطلقا ـ ثم ذكره الجن تحقيراً لهم أي فالجن أحق بأن لا يتخذ شركاء، قال سيبويه: إنهم يقدمون الأهم وماهم بشانه أعني إذا قدم المفعول الثاني على المفعول الأول وقع الكلام فيه إصالة ويكون المفعول الثاني تبعًا ؛لأن الفعل يصير مطلقا .

قوله: والتبديل يكون في الذات الخ :وذلك بأن يجعل مكان الذات ذاتًا آخر كقولك: بدلت الدراهم بالدنانير: أي جعلت الدراهم مكان الدنانير ـ وعليه قوله: ﴿بدلناهم جلودًا غيرها﴾ أي جعلنا مكان جلودهم جلودًا أخرىٰ ـ وأما التبديل في الصفة بأن يكون الذات واحدًا والتغيير إنما يكون في صفتها، وعليه قوله: ﴿ يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ أي يجعل سيئاتهم حسنات، أي يجعل سيئاتهم كالزنا وشرب الخمر بمنزلة الحسنات، وبأن خلق استعداد الحسنات فيها، وذلك كما جعل جميع ذلك في الدنيا عند الاكراه الملجيء مباحًا بل بعضها واجبا، فإنما الإكراه الملجيء يكون لفوت النفس والعضو يمنع عن التكليف لزوال القدرة التي هي شرط التكليف، وزوال الشرط يقتضي زوال المشروط والمباح حسنة كذا في شرح المنهاج للعبري. فيترتب عليها ما ترتب على الواجب من الثواب، فهنا أصل المحمل باق والتغيير إنما وقع في وصفها، وهو جعله بمنزلته وخلق استعداد فيه ـ

واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسماء على الحقيقة، ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الأرض جهنم والسموات الجنة على ما أشعر به قوله تعالى:﴿كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين﴾ [المطففين:١٨]وقوله:﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾[المطففين:٧] ﴿وَبَرَزُوا﴾ من أجداثهم ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ[٤٨]﴾ لمحاسبته ومجازاته، وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر ف غاية الصعوبة كقوله ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾[غافر:١٦] فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والأعمال كقوله﴿وإذا النفوس زوجت ﴾[التكوير:٧] أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة، أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال، وهو يحتمل أن يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم﴿فِي الْأَصْفَادِ[٤٩]﴾ متعلق بـ'مقرنين' أو حال من ضميره والصفد القيد، وقيل: الغل، قال سلامة بن جندل:

وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق وأصله الشد.

﴿سَرَابِيلُهُم ﴾قمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ ﴾وجاء قطران لغتين فيه،وهوما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربي فيحرق الجرب بحدته، وهو أسود منتن تشتعل فيه

ا___________________________________

قوله:واعلم أنه لا يلزم على الوجه الأ ول أ ن يكو ن الحا صل با لتبديل أرضا وسماءً على الحقيقة :بل شيئاً آخر غير هما كما فيبدلت الدرا هم بالدينا ر، وعلى الثا ني يكونا ن أرضا وسماء إلا أنه تغير صفتها بأن يجعل الأرض جهنم ونارا والسموات الجنة وهي الآن فيالسموا ت.

قوله:وهو يحتمل أن يكو ن تمثيلاً لمؤا خذ تهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم: شبه مؤا خذ تهم الشديدة بمن يؤا خذ على مااقترفته أيديهم وأرجلهم فيقيد أيالأ يدي والأرجل بالأ صفاد .

قوله:يعضّ بسا عد وبعظم سا ق: أييعض تلك الصفاد بسا عد وبعظم سا ق ويقيدان به .

قوله:وجاء قطران:أي جاء سكو ن الطاء مع فتح القا ف وكسرها لغتين فيقطران .

قوله:من الأ بهل :وهو السرو.

النار بسرعة تطلى به جلود أهل النارحتى يكون طلاؤه لهم كالقمص، ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع إسراع النار في جلودهم، على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب إليها أنواعًا من الغموم والآلام. وعن يعقوب ﴿ قطران﴾ والقطر النحاس، أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره، والجملة حال ثانية أوحال من الضمير في ﴿ مقرنين﴾ ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ[٥٠]﴾ وتتغشاها؛ لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله كما تطلع على أفئدتهم ؛لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات، ونظيره قوله تعالى ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾وقوله تعالى﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾.

﴿لِيَجْزِىَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ أي يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة؛ لأنه إذا بين أن المجرمين يعاقبون لإجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم ، ويتعين ذلك أن علق اللام بـ ﴿برزوا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ[٥١]﴾ لأنه لا يشغله حساب عن حساب.

﴿هَـٰذَا﴾ إشارة إلى القرآن أو السورة، أو ما فيه العظة والتذكير، أو ما وصفه من قوله:﴿ولا تحسبن الله﴾ ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ كفاية لهم في الموعظة﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ﴾عطف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ، ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره: ولينذروا به أنزل أو تلى، وقرىء بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المبهمة على ما يدل عليه ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ[٥٢]﴾فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم

---

قوله: والآني المتناهي جره من أنى الشيء يأني أينًا وأنى مقصورومنه قوله تعالىٰ: ﴿غيرناظرين أناه﴾ أي بلوغه وإدراكه .

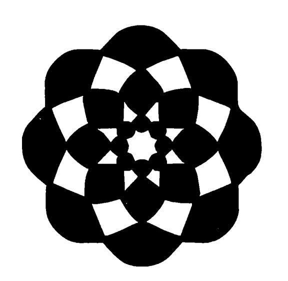
قوله:فتكون اللام متعلقة بالبلاغ: لأنه معطوف على 'لينصحوا' المتعلق به .

قوله:من نذربه إذا علمه واستعدله :يقال نذرت بالشيء إذا علمت به فاستعدت له، فهو في معنى فهمته وعلمت به وطفقت له في ردن ذلك .

واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب، تكميل الرسل للناس، واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد، واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى، جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما، وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد ها.

---

قوله: ثلث فوائد: احدها تكميل الرسل للأمة، وثانيها استكمال القوة النظرية التي غايته التوحيد والايمان بالله، وثالثها استكمال القوة العملية التي غايته التقوى.



# سورة الحجر

مكيةوهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ[١]﴾الإشارة إلى آيات السورة والكتاب هو السورة ، وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتابًا كاملاً وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانًا غريبًا.

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ[٢]﴾ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أوحلول الموت أو يوم القيامة. وقرأ نافع وعاصم 'ربما'بالتخفيف، وقرىء 'ربما' بالفتح والتخفيف، وفيه ثمان لغات: ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف، وبتاء التأنيث ودونها، وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه أن يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في إخبار الله تعالى كالماضي في تحققه أجري مجراه ، وقيل: ما نكرة موصوفة كقوله 'ربّما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال، ومعنى التقليل فيه بالإيذان بأنهم لو كانوا يودون لوكانوا يودون الإسلام مرة فبالحري أن يسارعوا اليه،

---

قوله:وكذا القرآن: هو السورة .

قوله:لكونه كتا باً كاملاً في بيا ن الرشد من الغي: والكمال مستفا د من التعريف الجنسي لأ نه تدل على أنه كل كتاب .

قوله:وحقه أن يدخل على الما ضي: قا ل ابن الحا جب: لأ نها لتقليل ماثبت وتحقيقه .

قوله:الإ يذان بأ نهم لوكا نوا يودون الإ سلا م :المقصو د من ذكر ودا تهم الإسلام في الدنيا المسا رعة إلى الإ سلا م فإذا ذكر القليل من الوداد علم أن الكثير منه أولى با قتضاء المسا رعة ، وهذا بناء على أنهم كا نوا يودون الا سلا م كثيرا .

فكيف وهم يودونه كل ساعة. وقيل: تدهشهم أهوال القيامة فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات تمنوا ذلك، والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك :حلف بالله ليفعلن.

﴿ذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[٣]﴾ سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه، والغرض إقناط الرسول - صلى الله عليه وسلم - من إرعوائهم وإيذانهم بأنهم من أهل الخذلان، وإن نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته ، وفيه إلزام للحجة وتحذير عن إيثار التنعم وما يؤدي إليه طول الأمل.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ[٤]﴾ أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ، والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية، والأصل أن لا يدخلها الواو كقوله: ﴿إلّا لها منذرون﴾ ولكن لما شابهت صورتها الحال أدخلت تأكيدًا للصوقها بالموصوف.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ[٥]﴾ أي وما يستأخرون عنه، وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ نادوا به النبي - صلى الله عليه وسلم - على التهكم، ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ[٦]﴾ ونظير ذلك قول فرعون :إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله تعالى نزل عليك الذكر، أي القرآن.

---

قوله: والغيبة في حكا ية ودادتهم: يعني لم يقل: لوكنا مسلمين- بناء على أن التقدير ﴿ر بما يود الذين كفروا﴾ الإ سلا م قائلين: لوكانوا مسلمين- لأنهم مخبرعنهم كقوللك: حلف ليفعلن.

قوله: تأكيداً للصوقها بالموصوف: فإن اللصوق فيه أشد من لصوقها في ﴿ما أهلكنا من قرية إلا لها منذ رون﴾ فإن إهلا ك قرية من القرىٰ لكون أجلها مقدرًا لا ينفك عن قضائه وقدره بخلا ف إهلا كها عن إنذارمنذر، فإنه قد ينفك عنه .

قوله: وتذكيرضميرأمة: يعني ذكّر ضمير 'أمة' حملا على المعنى؛ لأ ن الأ مة مذكرون والأناث تبع لها، ولوحمل على لفظ 'الأمة' لأنث كما أ نث ' تسبق' وقال: ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأ خرون﴾ .

﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا﴾ ركّب "لو" مع "ما" كما ركبت مع "لا" لمعنيين ،امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض ﴿بِالۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله تعالى: ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا﴾ أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الأمم المكذبة قبل ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ[٧]﴾ في دعواك.

﴿مَا نُنَزِّلُ الۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بالياء ونصب الملائكة على أن الضمير لله تعالى. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول، ورفع الملائكة .وقرىء تنزل بمعنى تتنزل ﴿إِلَّا بِالۡحَقِّ﴾ إلا تنزيلا ملتبسا بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته، ولا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسًا ولا في معالجتكم بالعقوبة فإن منكم و من ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان، وقيل :الحق الوحي أو العذاب ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ[٨]﴾ إِذًا جواب لهم و جزاء لشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا الذِّكۡرَ﴾ رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوهٍ وقرره بقوله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ[٩]﴾ أي من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزًا مباينًا لكلام البشر، بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان، أو نفي تطرق الخلل إليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفي أن يطعن فيه بأنه المنزل له، وقيل :الضمير في 'له' للنبي -صلى الله عليه وسلم-

---

قوله:لمعنيين: أي على سبيل البدل،إما الامتناع وإما التحضيض، فإن قوله: "لولا على لهلك عمر" ليس فيها سوى الامتناع كما أن قوله:﴿ لوما تأتينا﴾ ليس فيه سوى التحضيض .

قوله:بالياء مسنداً إلى ضمير اسم الله: هذه القراءة شاذة، وقد جعلها أصلية على خلاف ما اعتاده .

قوله:'إذا' جواب لهم وجزاء لشرط مقدر: أما كونه جوابًا لهم فظاهر، وأما كونه جزاء لشرط مقدر فلأنهم لما قالوا: هلاّ تأتينا بالملآئكة يشهدون بصدقك اجيبوا بما بين عن قولنا:إن جاءتكم الملائكة وشهدوا بصدقي فلم يؤمنوا ما أخرعذا بكم .

قوله:ولذلك أكده من وجوه:حيث صدر الجملة 'بأن' والضمير 'نحن' الدال على التعظيم وضمير الجمع الدال على التعظيم أيضًا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الْأَوَّلِينَ[١٠]﴾ في فرقهم، جمع شيعة، وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه إذا تبعه، واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار، والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ[١١]﴾ كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام،و'ما' للحال لا يدخل إلا مضارعًا بمعنى الحال، أو ماضيًا قريبًا منه وهذا على حاية الحال الماضية.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ ندخله﴿فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ[١٢]﴾ والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط، والرمح في المطعون، والضمير للاستهزاء، وفيه دليل على أن الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم، وقيل للذكر فإن الضمير الآخر في قوله:﴿لا يؤمنون به﴾له وهوخال من هذا الضمير.

---

قوله:وهذا على حكاية الحا ل الماضية:لأن المضارع هنا ليس بمعنى الحا ل ولا قريبًا منه بل ماضيًا بعيدًا من الحا ل .

قوله: له: أيللذكر.

........................................................................

........................................................................

هذه الحاشية المباركة لسيد العلماء والفضلاء الشيخ وجيه الدين العلوي ـ أسكنه الله تعالىٰ بحبوحة الجنان، وأفاض عليه شآبيب الغفران ـ على التفسير البيضاوي وقد فرغت وقت الضحوة من الاثنين في الشهر الشوال (نسخه كتب خانه آصفيه حيدرآباد)

........................................................................

تمام شد:حاشيه ميان شيخ وجيه الدين بر تفسر بيضاوى
بتاريخ ٢٢ شهر ذي حجه روز دوشنبه سنه ١٠٧٨هجرى در احمد آباد گجرات
(نسخه آزاد لائبريرى مسلم يونيورستى على جره)

تمت كا تب حروف : عبد الرحمن بن ميا ن صد يق

شهر ذوالقعده تا ريخ ثما نية وعشرون۔ سنة ثمانية واربعين والف(١٠٤٨)

(نسخه سالار جنگ ميوزيم حيدرآباد)

..........................................

وقد فرغت أنا من التبييض في شهر محرم الحرام سنة ثلاث وثلاثين وكنت شرعت في شهر رمضان المبارك سنة سبع وعشرين وأربع مائة بعد الألف من الهجرة النبوية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ألف ألف مرة وعلى اله وأصحابه أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين۔

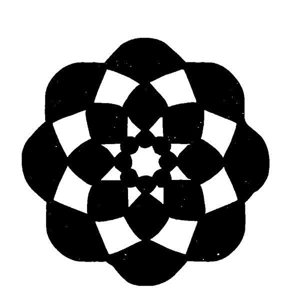
وأنا الفقير إلى الله الغني

محمد حنيف الرضوي البريلوي

٢٢/محرم الحرام ١٤٣٣هـ ــ ١٨ديسمبر ٢٠١١م

يوم الأحد

# سورة الأعراف

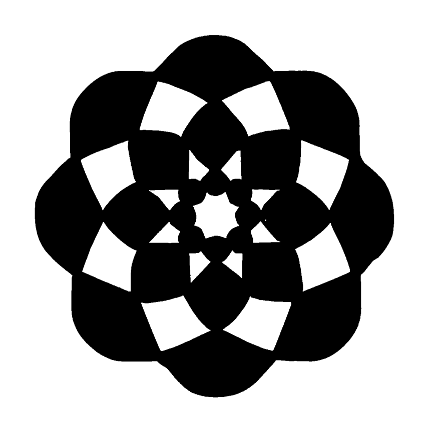


# سورة الأنفال

# سورة التوبة

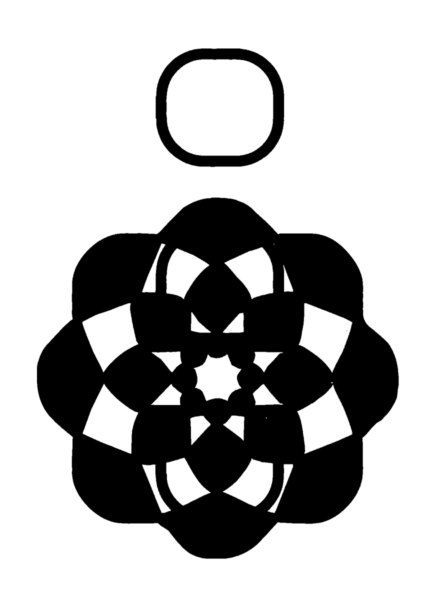
# سورة يُونس

# سورة هود

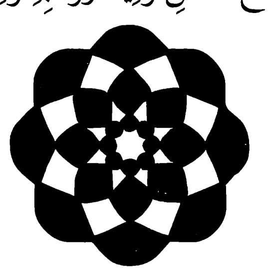


# سورة يُوسف

# سورة الرعد

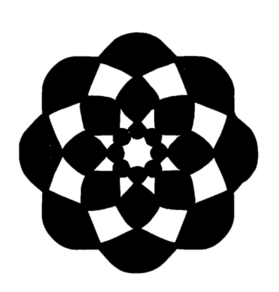


# سورة إبراهيم



# سورة الحجر





# مصنفا ت الشيخ و جيه الدين العلوي الاحمدآبادي

١ـ حاشية العلوى على تفسير البيضا وي . (المطبوعة)

٢ـ شر ح شر ح نخبة الفكر في أصول الحديث. (المطبوعة)

٣ـ حاشية على الهداية للمر غنياني.

٤ـ حاشية على شرح الوقاية.

٥ـ حاشية على شرح العقا ئد للتفتا زا ني.

٦ـ حاشية على شرح الموا قف للجر جاني.

٧ـ حاشية على شرح المقا صد.

٨ ـ حاشية على التلويح.

٩ـ حاشية على شرح المطول للتفتازاني.

١٠ـ حاشية على مختصر المعاني للتفتازاني

١١ـ الحقيقة المحمدية. (المطبوعة)

١٢ـ حاشية على أصول البزدوي.

١٣ـ حاشية على شرح العضدي على المختصر لابن الحا جب .

١٤ـ حاشية على شرح التجريد للأصفها ني.

١٥ـ حاشية على الحاشية القديمة للمحقق الدوّاني.

١٦ـ حاشية على حكمة العين.

١٧ـ حاشية على شرح الچغميني .

١٨ـ حاشية على شرح الشمسية للقطب الرازي.

١٩ـ حاشية على شرح الكا فية للجا مي. (المطبوعة)

٢٠ـ شرح إرشا د النحو للقا ضي شها ب الدين الدولة آبا دي.

٢١ـ شرح أبيا ت منهل للدماميني.

٢٢ـ شرح جا م جهان نما.

٢٣ـ شرح كليد مخازن للشيخ محمد غوث الگواليري.

٢٤ـ شرح رسالة الملا على القوشجي فى الهيئة. (المطبوعة)

٢٥ـ البسيط فى الفرائض.

٢٦ـ شرح على اللوائح لعبد الرحمن الجامي.

٢٧ـ شرح أبيا ت التسهيل .

٢٨ـ الملفوظات الشريفة. (المطبوعة)

